

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل -



كلية الآداب واللغات

العنوان:

التطرف الديني في رواية "فئران أمي حصة"

لسعود السنعوسي

مذكرة مقدمة استكمالاً لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي.
تخصص: أدب حديث ومعاصر.

إعداد الطالبة:

هاجر بوحشيشة

إشراف:

بوزنية رياض

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة جيجل	الأستاذة(ة): خالد أقيس
مشرفا ومقررا	جامعة جيجل	الأستاذة(ة): بوزنية رياض
ممتحنا	جامعة جيجل	الأستاذة(ة): بولخطوط

السنة الجامعية: 2018/2019

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل -



كلية الآداب واللغات

العنوان:

التطرف الديني في رواية "فئران أمي حصة" لسعود السنعوسي

مذكرة مقدمة استكمالاً لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي.
تخصص: أدب حديث ومعاصر.

إشراف:
بوزنية رياض

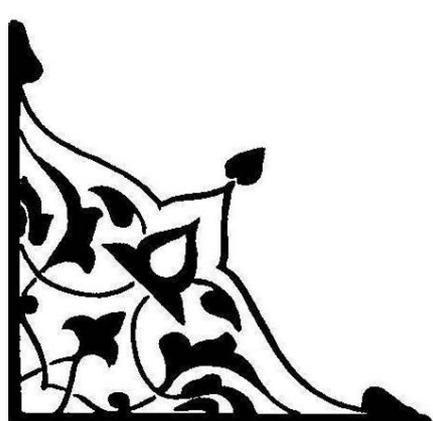
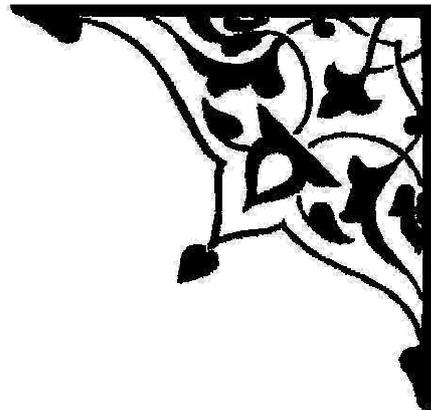
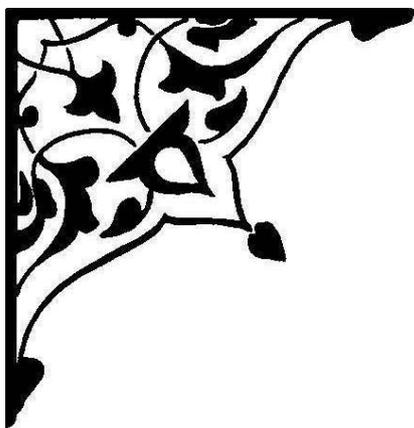
إعداد الطالبة:
هاجر بوحشيشة

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة جيجل	الأستاذة(ة): خالد أقيس
مشرفا ومقررا	جامعة جيجل	الأستاذة(ة): بوزنية رياض
ممتحنا	جامعة جيجل	الأستاذة(ة): بولخطوط

السنة الجامعية: 2018/2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الشكر والعرفان

أشكر لله عز وجل وأحمده حمدا كثيرا مباركا فيه على توفيقه لي لإنجاز هذا البحث المتواضع.

كما يشرفني أن أتقدم بالشكر الجزيل، والثناء الخالص، وكل التقدير والاحترام للأستاذ المشرف "بوزنية ياخ"، الذي كان له الإسماء الأكبر في رعاية هذا العمل، بما منحه من نصائح، وتوجيهات، وإرشادات، كانت خير معين لي، وأشكره على صبره، وإيمانه لي طيلة فترة إعدادي وإنجازي للمذكرة.

وأتوجه بالشكر كذلك إلى لجنة المناقشة على تجشهما بحناء قراءة المذكرة و تقويمها وتقييمها. والشكر موصول كذلك لكل الأساتذة الذين أفادوني طيلة مشواري الدراسي.

مقدمة

شهد العالم بعد حادثة 11 سبتمبر 2001 م توترا كبيرا في العلاقات بين المسلمين وغيرهم، إذ صارت كل أصابع الاتهام موجهة إليهم، خصوصا بعد اعتراف تنظيم القاعدة (المتنسب إلى الإسلام) بمسؤوليته الكاملة عن تلك التفجيرات، فصار الدين الإسلامي بذلك متهما بالتحريض على العنف والتعصب والإرهاب، والتطرف الديني، وصار العالم الإسلامي في موقفٍ محرجٍ إزاء ما تنفذه الجماعات الإرهابية المتطرفة من جرائم في حق الأبرياء، وحجتها في ذلك أنها تسير وفق الشريعة التي تدعو إلى الجهاد، وتطبيق أحكام الإسلام في هذا الشأن، واسترجاع أجماد الخلافة الإسلامية.

وفي ظل هذه الظروف، وتزايد وطأة الجماعات الإرهابية، تزايد الحديث عن التطرف الديني، الذي اعتُبر المرحلة التي تسبق تحول الأفراد المتطرفين إلى إرهابيين، فأسال الموضوع الكثير من الخبر، وأثار شهية العديد من الباحثين في تقصيه، فحاولوا تقديم الموضوع، والبحث عن أسبابه، ومظاهره، وطرق علاجه التي لا بد منها، في سبيل الحد من أزمة، لا تهم فئة واحدة، أو مجتمعا واحدا، بل صارت قضية كل المجتمعات.

ومع أن التطرف الديني من القضايا التي ارتبطت أكثر بالخطابات الدينية، والسياسية، والإعلامية، إلا أن الرواية العربية لم تُغفل القضية، واعتبرتها قضية لا تخص طرفا واحدا؛ إنما ينبغي معالجتها من زوايا متعددة لأن تأثيرها قد طال الجميع دون استثناء؛ بل وصار لزاما على المثقف أو الأديب طرح مثل هذه القضايا ومعالجتها من منظوره، حتى يكون للخطاب الأدبي إسهاماً هو الآخر في وضع حلول وتصورات للقضايا التي تهم المجتمعات والإنسانية عموما.

و قد واجهت الرواية العربية القضية (قضية التطرف الديني) وطرحتها كأزمة يمر بها العالم الإسلامي، فقدم بعض الأدباء العرب تصوراتهم وآراءهم حول القضية، ومن هؤلاء "واسيني الأعرج" في روايته "مملكة الفراشات"، و "يوسف زيدان" في روايته "عزازيل"، و "عز الدين ميهوبي" في روايته "إرهابيس"، إضافة إلى أسماء أخرى قدمت التطرف الديني وفق منظورها الخاص.

وهذه الدراسة المعنونة **بالتطرف الديني في رواية "فتران أمي حصة" للكاتب الكويتي "سعود السنعوسي"** تحاول أن تعرض جانبا من هذه الأفكار التي تبنتها الرواية، وتسلط في المقابل الضوء على وعي الكاتب وتصوره لهذه القضية، التي صارت محط اهتمام الكثير، خصوصا مع ما يعرفه العالم العربي من أحداث وتقلبات سببها الظاهرة.

وهكذا نجد أنفسنا أمام إشكالية تطرح نفسها:

ما طبيعة الرؤية الروائية الأدبية لظاهرة التطرف الديني التي تجلت في رواية "فتران أمي حصة"؟.

وبناء على هذه الإشكالية تتفرع بعض التساؤلات:

- هل الدين في نظر الرواية هو المتهم الوحيد؟ أم أن هناك مسببات أخرى؟
- كيف كان تصور "السنعوسي" للقضية؟ تصورا محايدا أم أن آراءه متأثرة بما حوله من ظروف؟
- هل يمكن أن تواجه رواية "فئران أمني حصة" التطرف الديني في العالم العربي؟ وإلى أي مدى يمكنها ذلك؟

ويتبع هذا البحث المنهج: الوصفي من خلال تقصي ظاهرة التطرف الديني، والبحث فيما ساقه لها الباحثون من تعريفات وأسباب ومظاهر، ثم اعتمدنا في التطبيق أداة التحليل لاستنطاق النصوص، واستخراج محتوى القضية المدروسة في الرواية، وبيان أبعادها، فكان ذلك بمثابة تحليل للمحتوى.

وأما عن الدوافع التي كانت سببا وراء اختيار الموضوع، فمنها ما هو ذاتي وما هو موضوعي؛ فأما الأسباب الذاتية فهي رغبة شخصية للبحث في الموضوع الذي بات حديث العام والخاص، فكان ذلك دافعا قويا للتعلم أكثر فيه، بالنظر إلى أن هذه القضية تمسنا نحن كمسلمين.

والدافع الموضوعي: هو ضرورة تسليط الضوء على مثل هذه القضايا من طرف الباحثين، لأن النصوص الأدبية ليست شكلا فحسب، وإنما مضمونا كذلك، ولا بد أيضا من الاهتمام بهذه المواضيع لإثراء البحث في مجال الأدب العربي من جهة، ومن جهة أخرى حتى يكون له إسهام في حل مثل هذه الأزمات.

وحتى تستوفي الدراسة شروط البحث العلمي، كان من الضروري أن تسير وفق خطة منهجية، وبناء على هذا قسمت الدراسة إلى فصلين اثنين: أحدهما نظري، والآخر تطبيقي.

فأما الفصل النظري والذي جاء تحت عنوان: مدخل إلى التطرف الديني، فقد اندرجت تحته خمسة مباحث، أولهما كان تحت عنوان: تعريف التطرف الديني والذي قدمت فيه التعاريف اللغوية والاصطلاحية، والمبحث الثاني الذي كان تحت عنوان: الفرق بين التطرف والمصطلحات المرادفة في الاستعمال، وقدمت فيه الفروق اللغوية والاصطلاحية بين التطرف والتنطع والتشدد والتعصب والغلو، وفي المبحث الثالث عرّجت على الجذور التاريخية للتطرف الديني وذلك عند اليهود والنصارى والمسلمين، ثم في المبحث الرابع ذكرت أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور التطرف الديني في العالم، وكذلك الملامح والمظاهر التي ترافق الظاهرة، وفي المبحث الخامس والأخير تعرضت إلى معالجة التطرف الديني من منظور إسلامي ورصدت فيه أهم الحلول الممكنة للتخلص من الأزمة.

والفصل التطبيقي جاء تحت عنوان: حضور التطرف الديني في رواية "فئران أمي حصة" والذي تضمن ثلاثة مباحث، فكان المبحث الأول تحت عنوان مظاهر التطرف الديني في الرواية، وهذا لرصد أهم الملامح التي رأى فيها "السنعوسي" أنها تطرف ديني، وفي المبحث الثاني تطرقت إلى مختلف الأسباب التي بدت من خلال الرواية أنها كانت وراء ظهور التطرف الديني وتفشييه، أما المبحث الثالث والأخير فكان تحت عنوان معالجة التطرف الديني من منظور الرواية، حيث عرضت فيه آراء الكاتب حول الأساليب والطرق التي يمكن من خلالها الحد من الأزمة، وقد أنهت الدراسة بخاتمة ضمت أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث.

هذا وقد اعتمدت في دراستي للموضوع على مراجع أثرت البحث أهمها كتاب "التطرف الديني الرأي الآخر" لـ "صلاح الصاوي"، وكتاب "الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة" لـ "عبد الرحمان بن معلا اللويحق"، وكتاب "الأصولية الدينية حول العالم" لـ "عبد الله أحمد لطفي الشقري"، وكتاب "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف" لـ "يوسف القرضاوي"، وغيرها من الكتب التي أعانتني في هذه الدراسة، إضافة إلى المدونة التي اعتمدها في الفصل التطبيقي: رواية "فئران أمي حصة" لـ "سعود السنعوسي".

وواجهت في البحث بعض الصعوبات كقلة المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع، إضافة إلى تعدد الآراء حوله وتشعبها، وهذا ما زاد من صعوبة البحث وجمع المادة العلمية.

وفي الأخير أتوجه بجزيل الشكر للأستاذ المشرف على جهوده، ومساندته، وصبره معي طوال فترة إنجازي للبحث، وعلى ملاحظاته وتوجيهاته القيمة التي كانت أكبر عون لي.

وكذلك أتوجه بالشكر للأساتذة المناقشين على اهتمامهم بالبحث وإطلاعهم عليه، كما أتمنى أن يلقي هذا الجهد القبول لديهم، وأن يقدم إضافة ولو كانت بسيطة.

الفصل الأول

مدخل إلى التطرف الديني

المبحث الأول: تعريف التطرف الديني

1- لغة:

يعتبر التطرف من الكلمات الشائعة التي كثر تداولها بين الناس في حاضرتنا، إلا أنه رغم شيوع استعماله، لازال مصطلحا يتسم بالغموض إلى حد ما، خصوصا وأن معانيه اللغوية التي وجدت في المعاجم العربية أو الأجنبية شحيحة جدا، ولا تقدم صورة جلية عن التطرف وفق الدلالات و المقاييس و الأبعاد التي يتم تداول الكلمة ضمنها في وقتنا الراهن.

ورد في "لسان العرب" في تعريف مادة "طَرْفٌ": «الطَرْفُ: طَرْفُ الْعَيْنِ (...). ورجل طِرْفٌ ومُتَطَرِّفٌ ومُسْتَطَرِّفٌ: لا يثبت على أمر»¹، وذهب الفيروز آبادي في "قاموسه المحيط" و"الزبيدي" في "تاج العروس" أن من معاني "طَرْفٌ": منتهى كل شيء²، ويقول "الجوهري": «والطَرْفُ: بالتحريك: الناحية من النواحي، والطائفة من الشيء...»³، والطَرْفُ أيضا: مصدر قولك طرفت الناقة بالكسر، إذا تَطَرَّفَتْ، أي رَعَتْ أَطْرَافَ المراعي ولم تختلط بالنوق»³، وكان لكلمة "طَرْفٌ" مدلولات متباينة في اللسان العربي، استخدمت في غالبها للدلالة على المحسوسات؛ وقد ورد في المعجم "الوسيط": «طَرْفَ الجندي: قاتل في الأطراف، وطَرْفَ الشيء: جعله طرفا و- جعل له طرفا»⁴، وفي المعاجم الحديثة وردت كلمة تَطَرَّفَ بمعنى جاوز حد الاعتدال والتوسط، فذكر في معجم "المنجد في اللغة والأعلام": «تَطَرَّفَ: أتى الطَّرْفَ وتَطَرَّفَ الشيء صار طرفا، جاوز حد

¹ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، مج9، ص ص 213 و215.

² مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ / 2005م، ص831. وانظر: مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الفتاح الحلو، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1406هـ / 1986، ص70.

³ إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1399هـ / 1979م، ج4، ص ص 1393-1394.

⁴ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004م، ص555.

الاعتدال ومنه تطرف في آرائه فهو متطرف أي جاوز حد الاعتدال فيها»¹؛ وهكذا يكون المعنى قد انتقل من المادي إلى المعنوي، فصرنا نقول: تطرف ديني، أو تطرف سياسي أو تطرف فكري.

2- اصطلاحاً:

وتحديد مفهوم للتطرف الديني ليس بالأمر الهين، خصوصاً أنه مصطلح يطلق في الأساس على بعض السلوكيات أو الآراء التي يرفض أصحابها أن يتسموا بتسمية كهذه، فما يراه بعضهم تطرفاً دينياً قد يراه الآخرون التزاماً، وما يراه أحدهم اعتدالاً يراه البعض تسيباً وإهمالاً، ولهذا فإن وجهات النظر بهذا الخصوص تختلف وتتعدد بحسب المذاهب، والطوائف، والإيديولوجيات.

وقبل أن نعرض ما قيل في مفهوم التطرف الديني، لا بد أن نعرض أولاً على تعريف التطرف في الاصطلاح، يقول "راشد المبارك" في تعريف التطرف: «هو الشطط في فهم مذهب أو معتقد أو فلسفة أو فكر، والغلو في التعصب لذلك الفهم، وتحويله إلى حاكم لسلوك الفرد أو الجماعة التي تتصف به، والاندفاع إلى محاولة فرض هذا الفهم والتوجه على الآخر بكل الوسائل ومنه العنف والإكراه»²، فحين ينتقل الاختلاف في الفكر أو المذهب أو المعتقد من مجرد اختلاف في الفهم أو القناعة إلى تعصب وغلو في الدفاع عن التوجه والرأي، بل وإلى فرضه على الآخرين وإكراههم على قبوله واتباعه، فهنا يكون لكل هذه المظاهر والسلوكيات مسمى واحد هو التطرف، وفي ذات السياق يقول "عبد الله بن عبد العزيز اليوسف": «التطرف هو الشدة أو الإفراط في شيء أو في موقف معين وهو أقصى الاتجاه أو النهاية والطرف هو الحد الأقصى، وحين يقال إجراء متطرف يعني ذلك الإجراء الذي يكون إلى أبعد حد، وهو الغلو. وحين يبالي شخص متطرف في موقفه أو معتقده أو مذهبه السياسي أو الديني أو القومي»³؛ فالتطرف لا يقتصر على جانب واحد من جوانب الحياة،

¹ المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط5، 45، 2012م، ص464.

² راشد المبارك: التطرف ... خبز عالمي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1427هـ / 2006م، ص21.

³ عبد الله بن عبد العزيز اليوسف: الأنساق الاجتماعية ودورها في مقاومة الإرهاب والتطرف، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، السعودية، ط1 1427هـ / 2006م، ص16.

وإنما طال الكثير من النواحي والتوجهات الفكرية، فظهر منه السياسي، والمذهبي، وأنواع أخرى لقيت الكثير من الاهتمام من طرف الباحثين والدارسين، وكان للتطرف الديني حصة كبيرة من هذا الاهتمام فسُلط الضوء على كل ما يرتبط به من سلوكيات ومظاهر، في محاولة لرصد أسبابه وآثاره، وبالتالي اقتراح حلول لاحتواء هذه الظاهرة ومنع تفشيها.

والتطرف الديني كمفهوم مرتبط بسلوك ظاهر، يتضح عند الشخص الذي لا يعترف بآراء الآخرين، ولا يراعي مقاصد الشرع أو ظروف العصر، ولا يترك فرصة للتداول أو الموازنة بينه وبين من يخالفونه في الرأي والمذهب.¹

وفي تعريف التطرف الديني يقول "جاد الحق علي جاد الحق": «فإن التطرف ظاهرة قديمة حديثة! ومعناه مجاوزة الحد بالإفراط أو التفريط فأما الإفراط فهو الغلو في قول أو فعل! وأما التفريط فهو التضييع وتعدي حدود الله ويكون بارتكاب المنكرات والإفساد في الأرض وإشاعة الفاحشة وغير ذلك من المحرمات».²

وهنا يظهر اتجاهان من التطرف؛ اتجاه موجب يتجاوز الحد في تطبيق الشرائع الدينية، التي نص عليها الكتاب والسنة، واتجاه سالب يتجلى في التفريط والإهمال وتجاهل الشرائع والحدود؛ «فكل شيء له وسط وطرفان، فإذا جاوز الإنسان وسط شيء إلى أحد طرفيه قيل له: تطرف في هذا الشيء، أو: تطرف في كذا، أي جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط. وعلى ذلك فالتطرف يصدق على التسبب، كما يصدق على الغلو، وينتظم في سلوكه الإفراط، ومجاوزة الحد، والتفريط والتقصير على حد سواء، لأن في كل منهما جنوحاً إلى الطرف وبعداً عن الجادة والوسط، فالتقصير في التكليف الشرعية والتفريط فيها تطرف، كما أن الغلو والتشدد فيها تطرف».³

¹ يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، كتاب الأمة، قطر، ط3، 1403هـ/1982م، ص24.

² جاد الحق علي جاد الحق: التطرف الديني وأبعاده أمنياً وسياسياً واجتماعياً، دار أم القرى للطباعة، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص3.

³ محمود حمدي زقروق: الموسوعة الإسلامية العامة، مطابع التجارية، القاهرة، مصر، 1424هـ/2003م، ص389.

فالتطرف الديني ليس غلوا وتشددا فقط، بل يمكن أن يكون تفريطا وإهمالا، وسواء كان هذا أو ذاك، فكلاهما بعيدان كل البعد عن الوسطية والاعتدال، وعن الطريق الذي حدده الشرع.

وما يلاحظ حول تداول المصطلح، أنه كثيرا ما يستعمل للدلالة على الإفراط، والغلو في العبادات والشرائع، إذ صار اهتمام الدارسين منصبا في هذا الجانب أكثر من جانب التفريط، وهذا لا يثبت أن أضرار الإفراط أشد من أضرار التفريط، فالأول يتجلى فيه التشدد وتجاوز الحد، وإلزام الآخرين وإكراههم على ما لم يلزمهم به الشرع، وهذا نتيجة للفهم السطحي والخطأ للنصوص الدينية، والتعصب للرأي، ورفض المحاورة أو الاطلاع على الآراء المخالفة، التي يمكن أن تكون هي الصحيحة والقريبة إلى الصواب، فينجر عن هذا التعصب الانحراف عن الغاية الحقيقية للدين، وبالتالي هلاك الأمة.

وأما الجانب الثاني -التفريط- فليس أقل ضررا من الجانب الأول، فالإهمال والتقصير في أداء العبادات وتطبيق أحكام الشريعة، وتجاوز حدودها بارتكاب المحرمات، والإصرار على ذلك، فيه ظلم للنفس و المجتمع لما يتفشى فيه من آفات و رذائل، و تدني للأخلاق، يعود بالضرر على الأمة، ولعل السبب وراء اهتمام الباحثين وتسليطهم الضوء على الجانب الأول (الإفراط والغلو)، هو وضوحه وتجليه للعيان، وتهديده الكبير للاستقرار بجميع جوانبه، وبسبب مما ينجر عنه من مظاهر وسلوكات خطيرة؛ يقول "صلاح الصاوي": «وقد دأب المفكرون المعاصرون على الحديث عن التطرف في أحد شقيه فحسب، فتحدثوا عن تطرف المغالاة والإفراط، وأغفلوا أو تجاهلوا الحديث عن تطرف التسيب والتفريط ربما لأن هذا الأخير لا يثير حساسية المجتمع ولا قلق الدولة، وقد أدى هذا التجاهل إلى تكريس التطرف الأول واستعار فنتته»¹.

وجل السياسة الذين يتحججون بمواجهة التطرف الديني وردع أخطاره، قد تطرفوا في عداوتهم لكل مظاهر الدين؛ «لكني لاحظت أن هناك فريقا من السياسة الخبثاء، وسמاسة الاستعمار الثقافي يعلنون الحرب

¹ صلاح الصاوي: التطرف الديني الرأي الآخر، الآفاق الدولية، د ب، ط1، 1993م، ص ص 8-9.

على الدين نفسه تحت عنوان محاربة التطرف الديني¹، فصاروا لا يفرقون بين التطرف و التدين، غافلين عن الضرر الذي يلحقونه بصورة الدين وبأهله، وهذا لا يخدم في النهاية إلا مصلحة من يرغب في منع انتشار الإسلام ومحوه من هذا العالم، وحسب آراء بعض العلماء المسلمين المعاصرين، فإن هذا السلوك العدواني نتيجة لعدم فهم هؤلاء (الساسة) واستيعابهم لحقيقة التطرف الديني، وتجاهلهم للنصوص الشرعية، واتباعهم المفاهيم والآراء الغربية التي تتبع هي الأخرى من الجهل بالدين، أو من الحقد عليه، أو من فراغ ديني بجد ذاته؛ إن الفراغ الديني في عصرنا هذا كفر بالله والمرسلين، وانسياق مع شهوات البشرية الجاحمة، أما التطرف فسوء فقه وقصر نظر، أو جهل بالدين وأهدافه وأصوله، ونحن نعاني الأمرين من كلا الفريقين، فالفارغون من الإيمان تربوا على موائد الاستعمار العالمي وحكموا على الأمور كلها بمنطقه، وهم يرتقبون تصرفاً أحقق من بعض المؤمنين ليجتاحوا حقيقة الإيمان كلها، والشعار الذي يرفعونه هو محاربة التطرف، والغاية التي ينشدونها نحو الإسلام ذاته...!!².

فالدعاة يرون أنه من الضرورة أن يتم وضع هذه الظاهرة في إطارها الصحيح، والتعامل معها وفق الفهم والاستيعاب الحقيقي لها، حتى لا يواجه الداء بداء أخطر منه، فيكون سبباً في ضياع و هلاك هذه الأمة، فالأجدر بمن يجارب التطرف أن يدرك الفرق الحقيقي بينه وبين التدين، الذي لا يرفضه الشرع ولا يسبب ضرراً للغير، وإلا كان هو الآخر متطرفاً ومتعصباً؛ وفي هذا يقول "محمد عمارة": "وفي بعض هذه البلاد الإسلامية تصل هيمنة الماركسيين وغلاة العلمانيين على أجهزة الثقافة إلى الحد الذي يجعل جوائز الدولة كلا مباحاً للماركسيين والعلمانيين - بل والبهاثيين - بينما هي حرام على علماء الإسلام ومفكره"³.

¹ محمد الغزالي: الحق المر، دار الشروق، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ج 1، ص 25.

² محمد الغزالي: الحق المر، مرجع سابق، ص 25.

³ محمد عمارة: الإسلام والآخر من يعترف بمن؟... ومن ينكر من؟، مكتبة الشروق الدولية، دب، دط، دت، ص 13.

وبهذا يكون مفهوم التطرف الديني بالنسبة للتيار الإسلامي مفهوما مزدوجا، يضم معنيين متضادين؛ أحدهما يعني الغلو والتشدد في الدين، والآخر يمثل التفريط والنفور من الدين، ونبذ كل ماله صلة به بأي شكل من الأشكال.

وهناك من المفكرين العرب من استبدل مصطلح التطرف بمصطلح التشرد الديني، وفضل أن يستخدم كلمة المشردين بدل المتطرفين؛ «من الذين أصابهم التشرد الذهني، واتجهوا نحوكم، فأخذوا عنكم، أسفر ذلك بدوره لديهم عن حالة "تشرد ديني" ينقلب حامله نتيجة سوء التوجيه فضلا عن الغواء، إلى "مهبوش!" يمكنه أن يضيف من خيالاته المريضة أشياء وهلوسات، ليفرضها على عقول البشر والمجتمع، على أنها من الإسلام... وإياك أن تحاول تصحيحه أو تفتح فمك، فأنت الكافر الزنديق، والجاهل الذي -أيضا!- لا يفقه أي شيء!»¹؛ والتطرف بهذا المعنى هو ابتعاد وانحراف عن الجوهر الحقيقي للدين، وغلو وتعصب لما ليس له صلة به، بل إن المتطرف أو المشرد يرفض أشد الرفض تقبل الآخر أو فتح باب للحوار، فالمخالفة لها مسمى واحد هو الكفر، وتوريث التطرف يولد تطرفا أسوأ منه، فالولاء للبدع عن جهل وسداجة أشد فتكا من خلق البدعة نفسها.

ويقول "فؤاد زكريا": «إن التعصب لوجهة نظر دينية واحدة، بل لاتباع طائفة أو جماعة معينة داخل وجهة النظر هذه، يلحق بالعقل تشويهاً خطيرة، ليس أقلها ذلك الانغلاق الفكري الذي يوهم المرء بأنه هو الذي يملك الحقيقة كاملة، وبأن كل من لا يسيرون في طريقه على باطل. هذا الإحساس باليقين المطلق شديد الخطورة على التكوين العقلي للإنسان، وخاصة إذا تملكه وهو ما يزال في شبابه المبكر، (...). وهكذا تجد الشاب الذي يخضع لمثل هذه المؤثرات ميالا إلى الجزم والتأكيد القاطع في كل شيء، لا يؤمن بتعدد طرق الوصول إلى الحقيقة».²

¹ سعاد منسي: هذا هو إسلامهم، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، د ت، ص45.

² فؤاد زكريا: الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة، مؤسسة هنداوي، دب، دط، دت، ص15.

ويعتبر "فؤاد زكرياء" إذا أن التطرف الديني توهم المتطرف للحقيقة في كل ما يقوله، والصواب في كل ما يفعله، فيكون متحجرا ومتحيزا لما يراه هو، ومعرضا عن كل ما يراه الآخرون.

وظهر مصطلح "الأصولية" في الغرب مقابلا لمعنى التطرف الديني، رغم أن "الأصولية" قد أخذت بعدا آخر في العالم الإسلامي، يختلف عن ما ذهب إليه الغربيون ونظرتهم اتجاه هذه الحركة، فالمعارضون منهم «ينظرون إليها نظرة تعميمية سلبية دموية جامدة»¹، أما الأصوليون فيرون فيها الخير والصلاح.

«أما الاستخدام الشائع في الوقت الحاضر لمصطلح "الأصولية"، فهو مطابق لترجمة

كلمة **FUNDAMENTALISM**² وهي الصفة التي أطلقت على مجموعة من البروتستانت الأمريكيين، ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت تدعو إلى التمسك بحرفية نصوص الكتاب المقدس عندهم وسعت إلى إلغاء تدريس مادة "تاريخ تطور العلوم الطبيعية" في المدارس لأن نتائج هذه العلوم تخالف ما ورد في "الكتاب المقدس" حول خلق العالم»².

وقد اشتقت هذه الكلمة بالفرنسية عام 1966م، ولها معنيين عام وخاص؛ فأما العام فيدل على القيام بأبحاث في الأصول، والمعنى الثاني معنى ديني يدل على الانتماء إلى الأصولية.³

والأصولية قد ظهرت كرد فعل ضد علماء اللاهوت الليبراليين الذين شككوا في قضية الخلق الواردة في سفر التكوين، التي تعارض ما وصلت إليه البحوث العلمية في الجيولوجيا والبيولوجيا، كما رأوا أن خطيئة الإنسان الواردة في الكتاب المقدس مجرد تفكير بدائي وصياني، وهكذا رفضت الأصولية أي تأويل للنص الديني، واعتبرته خيانة للحق.⁴

¹ عبد الله أحمد لطفي الشقري: الأصولية الدينية حول العالم "الأصولية الإنجيلية أمودحا"، مؤسسة وعي للأبحاث والدراسات، الدوحة، قطر، ط1، 2016م، ص31.

² محمود حمدي زفروق: الموسوعة الإسلامية العامة، ص162.

³ عبد الله أحمد لطفي: الأصولية الدينية حول العالم، ص34.

⁴ مراد وهبة: الأصولية والعلمانية، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، صص 23-24.

وفي تعريف الأصوليين يقول رئيس تحرير مجلة "نيويورك" و"تشان" أنهم أولئك الذين يناضلون بإخلاص من أجل الأصول.¹

«والموقف الفكري الذي ميز ويميز هذه الأصولية، هو التفسير الحرفي للإنجيل وكل النصوص الدينية الموروثة، والرفض الداخلي لأي لون من ألوان التأويل لأي نص من هذه النصوص- [حتى ولو كانت، كما هو حال الكثير منها، مجازات روحية ورموزاً صوفية]- ومعاداة الدراسات النقدية التي كتبت للإنجيل والكتاب المقدس».²

والجدير بالذكر أن مفهوم الأصولية تجاوز الجانب الديني وأخذ أبعاداً أخرى فكرية وسياسية، فصار من العبث أن يقتصر مفهوم الأصولية الدينية أو التطرف على كونه جموداً، وتصلباً، وتجاوزاً للحد في العبادة، أو في فهم النصوص الشرعية، فالأصولية الدينية المتطرفة انطلقت من الدين والمعتقد، لتبسّط هيمنتها وتفرض سيطرتها، مستغلة الدين لأغراض لا تمت له بصلة، وكانت نهاية أغلب هذه الأصوليات الدينية السياسية أن نحت منحى عدوانياً غدى كل أنواع العنف والإرهاب، وهدد الأمن والاستقرار العالمي؛ «الأصولية» كلمة استعملها أشيع من تعريفها، وهي لا تستعمل هنا للدلالة على المبالغة في التدين ولا للإيحاء بصور التعصب أو أساليب التفكير الساذجة، بل لتركيز الانتباه على ضرب معين من ضروب السياسة، ولا بد من تعريف الكلمة تعريفاً واضحاً واستعمالها استعمالاً متماسكاً.³

ولا نخص بالذكر هنا أصولية محددة عن باقي الأصوليات الأخرى، فقد ظهرت الأصولية كتيار يدعو إلى العودة إلى الأصل، فتبنته الكثير من الفرق الدينية، وصار الخلاف فيما بينها عن أي هذه الفرق يمثل الأصل أو الجوهر الحقيقي، وفي ظل هذا الخلاف زاد الصراع، وتقلصت فرص الحوار، وتطرف كل فريق لرأيه وعصبته،

¹ المرجع نفسه، ص 23.

² محمد عمارة: الأصولية بين الغرب والإسلام، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 1، 1418هـ / 1998م، ص 6.

³ إيان س. لوستنك: الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الأرض والرب، تر: حسني زينه، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، ط 1، 1991م، ص 9.

وكانت النتيجة ما نشهده اليوم من دموية في العالم وتدهور في العلاقات الإنسانية الدولية، وتراجع كل احتمال للتعایش السلمي.

لكن و في المقابل ظهرت الأصوليات المعتدلة في العالم، التي تدعوا إلى العودة إلى أصول الدين، باعتباره أكثر الحلول نجاعة لإخراج البشرية من الأزمات التي تتعرض لها تباعا، وهذا لا يعتبر تطرفا مادامت تراعي ظروف العصر، وتسعى إلى التماور مع الآخر، والتوافق معه بما يضمن لكل طرف حرته وخصوصيته.

ونحن بعرضنا لهذه الآراء المختلفة حاولنا أن نقرب مفهوم التطرف الديني، دون أن نتبنى وجهة نظر واحدة، وحتى لا يكون عرضنا متحيزا إلى جانب على حساب آخر، وهذا لتبين في الأخير حقيقة التطرف الديني وجوهه، كي لا تقع في المغالطات التي بموجها كثيرا ما توجه أصابع الاتهام لكل سلوك ديني على أنه تطرف حتى لو لم يكن كذلك.

المبحث الثاني: الفرق بين التطرف والمصطلحات المتقاربة في الاستعمال (التنطع، والتشدد، والغلو، والتعصب)

كثيراً ما يعبر عن التطرف الديني بمصطلحات أخرى: كالغلو والتعصب والتنطع والتشدد، وحتى ندرك قرب مدلول هذه المصطلحات أو بعدها عن معنى التطرف، لا بد أن نتقصى معانيها اللغوية في المعاجم العربية، ومعانيها الاصطلاحية وندرك في الأخير حدود هذه المصطلحات، وإلى أي مدى يمكن أن تعبر عن التطرف الديني أو مظاهره.

أولاً: المعنى اللغوي

أ- التشدد:

ورد في لسان العرب في تعريف مادة "شدد": «الشَّدَّةُ: الصلابة، وهي نقيض اللين تكون في الجواهر والأعراض، والجمع شِدْدٌ؛ عن سيبويه، قال: جاء في الأصل لأنه لم يشبه الفعل، وقد شَدَّ يَشُدُّ ويشُدُّ شُدًّا»

فَأَشْتَدُّ، وكل ما أحكم، فقد شُدَّ وشُدِّدٌ؛ وشَدَّدَ هو تَشَادَّ. وشيء شديدٌ؛ بين الشِدَّةِ، وشيء شديدٌ: مُشْتَدُّ قَوِيٌّ (...) والتَّشْدِيدُ خلاف التحفيف (...) والمشادَّة في الشيء: التَّشَدُّدُ فيه»¹.

فالتشدد في اللغة إذا ضد اللين والتخفيف والتساهل، وهو أخذ الأمور بالغلظة والصرامة، ومن معانيه كذلك إحكام القبضة على الشيء، فهو ضد التيسير، وقد تكون الشدة مع النفس، أو مع الآخرين، أو في التعامل مع الأشياء.

وكذلك يذهب "الرازي" في معجمه "مختار الصحاح" في تعريفه لمادة "ش د د" فيقول: «ش د د - شيء (شديد) بين الشدة بالكسر وقد (اشتد). و(شد) عَضُدُهُ قَوَاهُ و(شده) أَوْتَقَهُ يَشُدُّهُ وَيَشِدُّهُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ (شُدًّا) فِيهِمَا»²، ومنه فالتشدد من الشدة، وقد استعمل في اللغة للدلالة على كل ما ينافي اللين، واليسر، والمرونة في الممارسة والحكم على الأمور.

ب- التنطع:

وفي تعريف كلمة "التنطع" يقول "ابن منظور": «النَّطَعُ والنَّطَعُ من الأَدَمِ: معروف (...) والنَّطَعُ والنَّطَعُ والنَّطَعَةُ: ما ظهر من غار الفم الأعلى، والتَّنَطُّعُ في الكلام: التعمق فيه مأخوذ منه، وفي الحديث: هلك المنتطعون، هم المتعمقون المغالون في الكلام الذين يتكلمون بأقصى حلوهم تكبرا، (...) قال ابن الأثير: هو مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى في الفم، قال: ثم استعمل في كل تعمق قولاً أو فعلاً»³.

والتنطع في الأمور يعنى التعمق فيها والمبالغة في ذلك، وقد يكون بمعنى الوصول إلى أقصى الشيء كرفع الصوت عند الكلام والجهر به، والتنطع قد يكون في الكلام كما يكون في الفعل.

¹ ابن منظور: لسان العرب، مج3، ص233.

² الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص140.

³ ابن منظور: لسان العرب، مج8، ص357.

وكذلك يقول "الرازي" في معجمه "مختار الصحاح": «ن ط ع- (النَّطَعُ) فيه أربع لغات (نَطَعٌ) كقطع و(نَطَعٌ) كَتَبِعَ و(نَطَعٌ) كَدِرِعَ و(نَطَعٌ) كَضَلَعٍ والجمع (نُطُوعٌ) و(أَنْطَاعٌ). و(تَنْطَعُ) في الكلام تَعَمَّقُ».¹

ج- التعصب:

وفي معنى كلمة "التعصب" يقول "ابن منظور": «وَتَعَصَّبَ بِالشَّيْءِ، وَاعْتَصَبَ: تَقَنَّعَ بِهِ وَرَضِيَ (...) وَالتَّعَصَّبُ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ، وَالْعَصَبِيَّةُ: أَنْ يَدْعُوا الرَّجُلَ إِلَى نَصْرَةِ عَصَبِيَّتِهِ، وَالتَّأَلُّبِ مَعَهُمْ، عَلَى مَنْ يَنَاوِيهِمْ، ظَالِمِينَ كَانُوا أَوْ مَظْلُومِينَ، وَقَدْ تَعَصَّبُوا عَلَيْهِمْ إِذَا تَجَمَّعُوا، فَإِذَا تَجَمَّعُوا عَلَى فَرِيقٍ آخَرَ، قِيلَ: تَعَصَّبُوا. وَفِي الْحَدِيثِ: الْعَصَبِيُّ مَنْ يَعْينُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ (..) الْعَصَبِيَّةُ وَالتَّعَصُّبُ: الْحَمَامَةُ وَالْمُدَافَعَةُ، وَتَعَصَّبْنَا لَهُ وَمَعَهُ: نَصَرْنَا».²

إذا فالتعصب يعني الدفاع عن الرأي، أو التوجه، أو الطائفة التي ينتمي إليها حتى وإن كانت ظالمة، فهو ولاء أعمى لا اعتبار فيه للصواب أو الخطأ، فالتعصب على استعداد دائم للدفاع عن موقفه ونصرة عصبته، دون اكتراث لما ينجر عن ذلك من مضرة له أو لغيره.

د- الغلو:

جاء في لسان العرب: «غلا: الغلاءُ: نقيض الرِّخْصِ، غَلَا السُّعْرُ وَغَيْرُهُ يَغْلُو غَلَاءً، مَمْدُودٌ، فَهُوَ غَالٍ وَغَلِيٌّ، الْأَخِيرَةُ عَنْ كِرَاعٍ، وَأَغْلَاهُ اللَّهُ جَعَلَهُ غَالِيًا (...) وَيُقَالُ: غَالَيْتِ صِدَاقَ الْمَرْأَةِ أَيِ أَغْلَيْتِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا تَغَالُوا صِدَقَاتِ النِّسَاءِ، (...) أَيِ لَا تَبَالِغُوا فِي كَثْرَةِ الصِّدَاقِ، وَأَصْلُ الْغَلَاءِ الْارْتِفَاعُ وَمَجَاوِزَةُ الْقَدْرِ فِي كُلِّ شَيْءٍ (...) وَغَلَا فِي الدِّينِ وَالْأَمْرِ يَغْلُو غُلُوءًا: جَاوَزَ حُدُودَهُ، وَفِي التَّزْيِيلِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ (...) التَّهْذِيبُ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ غَلُوتَ فِي الْأَمْرِ غُلُوءًا وَغَلَانِيَّةً وَغَلَانِيًّا إِذَا جَاوَزْتَ فِيهِ الْحُدُودَ وَأَفْرَطْتَ فِيهِ».³

¹ الرازي: مختار الصحاح: ص 277.

² ابن منظور: لسان العرب، مج 1، ص ص 603 و606.

³ ابن منظور: مرجع سابق، مج 15، ص ص 131-132.

من معاني "الغلو" الغلاء بمعنى ارتفاع الثمن، وتجاوز الحد والإفراط والمبالغة، وهذا ما ورد كذلك في معجم "مختار الصحاح"؛ "و(غَلًا) في الأمر جاوز فيه الحد وبابه سما، وغلا السَّعْرُ يَغْلُو (غَلَاءً). و(غَلًا) بالسهم رمى به أبعد ما يقدر عليه وبابه عَدًا".¹

وبعد عرض أهم المعاني التي وردت في المعاجم اللغوية لهذه المصطلحات، يمكن القول أن هذه المعاني وإن تعددت واختلفت في ظاهرها إلا أنها تحمل في طياتها دلالة واحدة، هي الإفراط ومجاورة الحد؛ فالتعصب مبالغة في الدفاع عن العصبية، والتشدد إفراط في إحكام القبضة على الأمور، وكذلك التنطع الذي يعني التعمق ومجاورة الحد في رفع الصوت والجهر به، وفي كل هذا خروج عن المعقول وعدول عن الوسطية والاعتدال.

ثانيا: المعنى الاصطلاحي:

كثيرا ما يتم تداول هذه المصطلحات بمعنى التطرف الديني أو بمعنى قريب منه، والجدير بالذكر أن بعض هذه المفردات قد ورد في النصوص الشرعية الإسلامية سواء في الكتاب أو الحديث الشريف، إلا أن مصطلح التطرف لم يرد في أي من هذه النصوص²، ولهذا سوف نحاول عرض معانيها الاصطلاحية حتى نتبين في الأخير الفروق الموجودة فيما بينها.

أ- الغلو:

الغلو أكثر هذه المصطلحات قربا من معنى التطرف الديني، بل إن كثيرا من الباحثين، والدارسين، والعلماء لا يفرقون بين الغلو والتطرف، فيستعملان في مستوى واحد. وفيما سيأتي سنعرض بعض تعريفات الغلو:

¹ الرازي: مختار الصحاح، ص201.

² يوسف القرضاوي: الصحو الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص24.

ومن جهة أخرى يقول "عبد الرحمن حبنكة الميداني": «فالغلو في الدين خروج عن حدود الدين، مع زعيم الانتماء إليه وشدة الولاء له، ويكون من سوء التصور وفساده، أو من الكيد للدين والمكر به، ويصحب الغلو دائما جهل وتعصب وهوى، وتزينة وساوس الشيطان وتلبيسات إبليس».¹

ولا يوضح "الميداني" في تعريفه هذا معنى الغلو فقط، بل يبين كذلك حجم الفساد والجهل وقلة الوعي عند المغالين، وسوء فهمهم للمسائل، ومخالفة رأي الشرع في التعامل معها، وكما يكون سوء التقدير والسطحية في تفسير النصوص الشرعية سببا للمغالاة، كذلك يكون الكيد للدين والمكر به -حسب الميداني- عاملا آخر لغلو غايته إقصاء الدين واتباع هوى النفس.

ب- التشدد:

وهو الإلتقال على النفس في العبادة وتحميلها ما لا تطيقه، وهو ضد التيسير في أداء الشعائر الدينية وفي المعاملات.

وقد ورد هذا المعنى في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: «لَا تُشَدُّوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيَشَدَّ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالْدِّيَارِ».²

والتشدد لا يكون في رفض الآخر المختلف دينيا فقط، بل إن بعض المتشددين في العالم الإسلامي مثلا اتخذوا موقفا متشددا من كل من لا يطبق بعض الفروض، والشعائر، لدرجة اعتباره كافرا، أو خارجا عن الملة، بحيث لا يجوز السكن معه، ولا يغسل، ولا يكفن، ولا يدفن مع المسلمين، وهذه الثقافة تركز على التشدد في الشكليات، والمظاهر، من حيث أن لها دورا رمزيا، وتميزيا، و ولائيا، وعلى التشدد في الطقوس التعبدية،

¹ عبد الرحمن حبنكة الميداني: الالتزام الديني منهج وسط، ص46.

² أخرجه: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: السنن، كتاب الأدب، باب في الحسد، رقم الحديث 4823، دار التاصيل، القاهرة، مصر، ط1، 1436هـ / 2015م، مج 7، ص372.

وهذا ما يراه "محمد سبيلا" حين اعتبر أن ثقافة التشدد هي الحاضن الفكري الأساسي للعنف السياسي، وأن السريان الرهيب للتشدد والغلو في المجتمعات هو السبب في ظهور الإرهاب وانتشاره في العالم.¹

وسواء كان التشدد الديني سببا في ظهور الإرهاب وتفشيهِ أم لا، فإن ما يهمنا هو توضيح أن التشدد المذموم الذي يرفضه العاقل هو ذلك التشدد الذي يلزم به المرء نفسه، ويرغم غيره عليه، دون مراعاة لمقاصد الشرع الحقيقية في ذلك، أو الأخذ بعين الاعتبار ظروف العصر التي غيرت الكثير من مظاهر الحياة، والتي بات من الضروري تحقيق التوافق بينها وبين أحكام الشرع دون تجاوز لحدود الله في ذلك.

ج- التنطع:

والتنطع هو التعمق في الدين وتجاوز الحد فيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هلك المنتطعون»²، وفي شرح هذا الحديث يقول "النووي": أي: «المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم».³

والمنتطع في الدين عادة ما يتكلف في القول والفعل، ويتشدد فيما لا يجوز فيه ذلك، وفيما لا يحتمل التعمق فيه، وما لا يصح للعقل الخوض فيه.

د- التعصب:

والتعصب كذلك من المفردات التي ارتبطت بالتطرف الديني وعبرت عنه، فالتعصب في معناه العام يعني مجاوزة الحد في الدفاع عن الرأي، أو الفكر، أو التوجه، أو العصبية التي ينتمي إليها المتعصب، فيقابل الاختلاف بعدائية واحتقار؛ يقول "مصطفى زيور": «التعصب هو شعور داخلي يجعل الإنسان يرى نفسه على

¹ محمد سبيلا: ثقافة التشدد... والعنف السياسي <https://www.google.com/amp/s/www.alittihad.ae/articleamp/80699/2015>.

26 أغسطس 2015، 09:45.

² أخرجه: المحافظ أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشري النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المنتطعون، (7/2670)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1427هـ / 2006م، مج1، ص1231.

³ المحافظ محي الدين أبو زكرياء يحيى بن شرف بن مري النووي: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج شرح النووي على مسلم، كتاب العلم، باب هلك المنتطعون، بين الأفكار الدولية، الأردن، د ط، د ت، ص1580.

حق، ويرى الآخر على باطل ويظهر هذا الشعور بصورة ممارسات ومواقف متزمتة، ينطوي عليها احتقار الآخر، وعدم الاعتراف بحقوقه وإنسانيته»¹، أما التعصب الديني فهو الغلو في الدفاع عن المعتقد أو الجماعة الدينية، وليس كل تعصب ديني سببه الدين، فالتعصب الديني يظهر في ظل التأزم الفكري؛ يقول محمد الغزالي: «هو مصطلح لوصف التمييز على أساس الدين، وتظهر سلوكياته بادعاء تمايز أصحاب دين من الأديان على أصحاب الديانات الأخرى، من الممكن أن يكون ديننا بحتا عند البعض، أو غطاءً أيقنا للدفاع السياسي أو الثقافي الكامن وراء التعامل ضد حزب أو اتجاه سياسي آخر».²

وأما في "موسوعة السياسة" فقد ورد تعريف التعصب الديني على أنه: «التزمت والغلو في الحماس والتمسك الضيق الأفق بعقيدة أو فكرة دينية مما يؤدي إلى الاستخفاف بآراء ومعتقدات الآخرين ومحاربتها والصراع ضدها وضد الذين يحملونها، وهي حالة مرضية على المستوى الفردي والجماعي تدفع إلى سلوكية تتصف بالرعونة والتطرف والبعد عن العقل والاستهانة بالآخرين ومعتقداتهم، وكثيرا ما يؤدي التعصب الديني إلى شق وحدة الأمة وإنكار الحقوق الاجتماعية والسياسية للفئات الأخرى وهدم البنى الاجتماعية».³

وبعد إمعان النظر في معاني هذه المصطلحات اللغوية والاصطلاحية، صرنا ندرك تماهي هذه المفردات، وتقارب معانيها، صار من الصعب التمييز بينها، وأيها أقرب إلى مفهوم التطرف، لكن ورغم ذلك يمكن أن نقول أن أقرب هذه المعاني إلى مفهوم التطرف الديني هو مصطلح الغلو؛ وبالنظر إلى هذه الألفاظ نجد تقاربا بين لفظي الغلو والتطرف فهما بمعنى واحد وإذا قيل إن التطرف إتيان غاية الشيء ومنتهاه وبينهما عموم وخصوص إذا قيل إن التطرف إتيان حد الشيء بإطلاق إذ يصبح التطرف أعم من الغلو⁴، أما كلمات كالنتنوع، والتشدد، والتعصب، فتمثل مظاهر مصاحبة للتطرف الديني.

¹ محمد الغزالي: عن التعصب توثيق لتاريخ التعصب في الأديان السماوية والمجتمعات العربية، دار دُون للنشر والتوزيع، ص 17.

² محمد الغزالي: المرجع نفسه، ص 27.

³ عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، ج 1، ص ص 768-769.

⁴ عبد الرحمن بن معلا اللويحي: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 1412 هـ / 1992 م، ص 62.

المبحث الثالث: جذور التطرف الديني التاريخية

إن البحث في جذور التطرف الديني يعني الغوص في أعماق التاريخ، والعودة إلى بدايات ظهوره في الوجود الإنساني، والحقيقة أن الغلو في الدين ليس وليد اليوم أو الأمس القريب؛ بل إنه متوغل في القدم، قد تختلف مظاهره من حقبة إلى أخرى، ومن ديانة إلى أخرى، إلا أن مفهومه يبقى واحداً.

والخروج عن الوسطية، وتجاوز الحد في التدين، قد ظهر بداية الأمر عند قوم نوح عليه السلام، بعد أن تعلقوا بعباد صالحين، طائعين لله تعالى إلى حد المبالغة، فصنعوا لهم تماثيل بعد موتهم؛ حتى يتذكروا خصالهم الحميدة، ويقتدوا بأعمالهم وطاعتهم، إلا أنهم انحرفوا عن مجرد الاقتداء إلى درجة العبادة وإطلاق صفة

مع الآخر، ونظرهم لمن يخالفهم في المعتقد، وكان هذا النص -المقدس حسبهم- سببا مباشرا في تطرف هؤلاء وتعصبهم وإرهابهم، «وضع اليهود في توراتهم جذور العنصرية والتعصب والانعزالية، ورسخ في أنفسهم أهم شعب "يهوه" المختار، وأهم أفضل شعوب الأرض قاطبة، وأن يهوه اختارهم لأنه أحبهم واصطفاهم، وقد بلغ من تعصبهم وصلفهم وغرورهم أنهم اعتبروا يهوه إلهها خاص بهم، احتكروه لأنفسهم وحرموا بقية الشعوب من الاتصال بهم وتدرج التوراة في غرس حب الانعزال والتعصب من أيام إبراهيم عليه السلام إلى آخر سطر فيها»¹ وصار بنو إسرائيل نتيجة لذلك يبررون أفعالهم، وجرائمهم بأن دينهم نص على ضرورة ترويع الآخر وسفك الدماء، وحرصا منهم على نيل رضا إلههم الذي جعلهم شعبا مقربا مختارا دون الآخرين، «هذه الإبادة مرتبطة بأمر إلهي، فهي إبادة مقدسة، وما قامت به دولة إسرائيل من أعمال وحشية وما ستقوم به ما هو إلا تنفيذ لأمر إلهي منوط بإسرائيل»²، فالله -حسبهم- هو من أمرهم بتهديد أمن الآخرين، واستيطان أراضيهم، والاستيلاء على ممتلكاتهم، يقول "الحاخام يهودا كوك": «اللَّهُ قد أمرنا بأن نستولي على الأرض ونستوطنها، ومعنى الاستيلاء هو الغزو، فأدأنا لفريضة الغزو هو الذي يمكننا من أداء فريضة الاستيطان»³.

ولم تحمل التوراة وحدها بذور التطرف والعنصرية، بل كان للتلמוד كذلك يد في زرع ما نشاهده اليوم من إرهاب وتعصب عند اليهود، والتلمود كتاب يقده اليهود، يحوي شروحات للتوراة إلا أنه يتعارض في مواضع مع ما جاء فيها، «معناه في العربية النظام، وهو كتاب فقه اليهود ويتكون من مجموعة من التعاليم التي قررها أحبار اليهود شرحا للتوراة واستنباطا من أصولها وقد يخالف بعض نصوص التوراة وهو مقسم إلى كتابين من القرن الحادي عشر وهما: تلمود أورشليم - وتلمود بابل»⁴، وقد ورد في التلمود أن اليهود أحب إلى الله من الملائكة، ولولاهم (اليهود) لرفعت البركة عن الأرض، وأطلق في كتابهم هذا على غير اليهود مصطلح "الأميين"، فنص على أن يكون الموت جزاء لكل من ضرب يهوديا، والأميون كلاب وخنازير يحرم

¹ عبد الله التل: جذور البلاء، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1390هـ/ 1971م، ص ص 21-22.

² أحمد معاد علوان حقي: أثر عزرا في الديانة اليهودية، ص 193.

³ السفير طاهر شاش: التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاه، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/ 1997م، ص 75.

⁴ عبد القادر شيبه الحمد: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط6، 1433هـ، ص 27.

على اليهود العطف عليهم، أو صنّع خير لهم، فأعانتهم خطيئة، والإساءة إليهم قربان لله فيه ثواب¹، «فما تحت أيدي الأميين مغتصب من اليهود وعليهم استرداده بجميع الوسائل»².

ونتيجة لما تعرض إليه اليهود على مدى عصور من الاستعمار، والخضوع للأجانب كالأشوريين، والبابليين والمصريين، والفرس، والرومان، ونتيجة لهذا الاحتكاك كذلك ظهرت بعض الفرق الدينية اليهودية، والتي اختلفت فيما بينها في تفسيرها للتوراة، وتصديقها لما جاء في التلمود، وهي فرق غالية متطرفة، كل واحدة تنبذ الأخرى، لكنها كذلك تتنافس في بث سمومها، والتحريض على العداوة الأبدية مع غير اليهود، كما ذكر في كتب التاريخ فإن هذه الفرق ظهرت في القرنين السابقين لظهور عيسى عليه السلام³ وهناك من اليهود من يرى أنها «وليدة تأثيرات فلسفية أجنبية غريبة عن اليهودية ولا تمت إليها بصلة»⁴، فكانت فترة ما بين 200 ق.م إلى غاية 1000م كفيلة بيعت عدد كبير من المذاهب الفكرية، والطوائف اليهودية، فظهر الفريسيون، والصدوقيون، والأسينيون، والغيوريون، والقراؤون، والسامريون...⁵، «وهذه الفرق بينها من الاختلاف في الأصول والفروع ومن الفروق ما يوحي بأن كل فرقة لها دين مستقل عن الأخرى، وإذا كانوا في الظاهر يحسبهم المسلمون على قلب رجل واحد إلا أنهم متفرقون»⁶.

فأما الفريسيون فهم فرقة تمثل الأغلبية والأكثر عددا من بين الفرق الأخرى، ومعناها المفروزون الذين امتازوا عن غيرهم وانعزلوا عنهم لكونهم أكثر ورعا واتصالا بأسرار الشريعة⁷، «لقد وصفوا بأنهم متمتون عن عن جهل وتنطع في الدين، وبأنهم يفرقون من النصوص في تفاصيل تافهة، ويخرجون منها بنتائج جافة وتافهة

¹ عبد القادر شيبه الحمد: المرجع نفسه، ص ص 27-28.

² عبد القادر شيبه الحمد: المرجع نفسه، ص 28.

³ عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، دار عمار، عمان، الأردن، دار البيارق، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1997م، ص ص 91، 93.

⁴ المرجع نفسه، ص 93.

⁵ المرجع نفسه، ص 93.

⁶ فرج الله عبد الباري: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، موسوعة العقيدة والأديان، دار الأفاق العربية، مصر، ص 36.

⁷ حسين ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، فلسطين، 1971م، ص 252.

أيضا، بأنهم حرفيون شكليون، وبأنهم جدليون كذابون منافقون، بأنهم يمثلون انحطاطا بالنسبة لأسلافهم»¹، ليس هذا فحسب، بل إن هذه الفرقة غلت، وتطرفت في الدين إلى درجة اعتبرت فيها الحاخامات معصومين عن الخطأ، وأن كلامهم كالشرع، وأقوالهم هي أقوال الله الحق، وقيل أنه كان من هذه الفرقة "بولس" اليهودي الذي أدخل اليهودية إلى دين عيسى عليه السلام.²

وأما الصدوقيون فينسبون إلى الكاهن الأعظم في عهد سليمان عليه السلام، وما يميز هذه الفرقة أنها أنكرت التلمود، ولم تقدر التوراة قدسية مطلقة، بل إنهم ينكرون البعث واليوم الآخر، وفضلوا أن يكون لهم إله قومي خاص، مما جعلهم يميلون إلى العنف مع غيرهم من الأقوام.

والقراؤون فرقة يهودية أخرى ظهرت في بابل في القرن الثامن للميلاد، هي كذلك لا تعترف بالتلمود، وتؤمن بتطبيق التوراة حرفيا، وتحرم التأويل، وتشدد في تطبيق الطقوس الدينية ومظاهرها، وتؤمن بالجبر لا بالاختيار.

والسامريون من الفرق القليلة العدد التي لا يعترف بها اليهود، وهي فرقة لا تعترف بقدسية القدس ولا بنبوذة أي نبي بعد موسى و يوشع عليهما السلام.

وفي القرن التاسع عشر ميلادي ظهرت فرقة الإصلاحيين بزعامة "موسى مندلسون"، وهي فرقة دعت إلى دراسة العلاقة بين الدين والعقل، إلا أنها خلصت في النهاية إلى أن الدين اليهودي ليس دينا مرسلا من عند الله؛ بل مجموعة من القوانين الأخلاقية لا غير.³

كان لهذه الفرق أثر بالغ في الفكر اليهودي وفي تكوين الشخصية اليهودية، إذ ازداد اليهود عدائية وانطوائية، تعصبا، وتطرفا، وزاد كرههم للأخر، وإضمارهم الشر لهم، وهذه الفرق في مجملها كانت تدعوا إلى إلحاق الضرر بغير اليهود لأن في ذلك نيل لرضا الله.

¹ المرجع نفسه، ص 254.

² فرج الله عبد الباري: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، ص 37-38.

³ كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 206-207 و 209.

ونتيجة لانتشار هذه الأفكار، وتبني العديد من اليهود لها، ظهرت إحدى أكثر الحركات تطرفاً ودموية، وكان لهذه الحركة القدرة على جمع اليهود، وكسب تأييدهم وولائهم للخطط التي رسمتها وشرعت في تنفيذها، وذلك بالرغم من الشتات والفرقة التي كانوا يعيشونها، فالصهيونية قد جمعت الماضي والحاضر والمستقبل في معادلة واحدة، حركة تغذيها أفكار مزروعة منذ القدم تهدف لأن يكون الحاضر والمستقبل بأيدي اليهود وحدهم، «حركة ديناميكية نشطة تميزت بحفاظها على الترابط المستمر بين أهداف الماضي وأعمال الحاضر ومخططات المستقبل. وقد قامت على فلسفة تستمد أصولها من الفكر اليهودي الذي يتغير حسب الظروف والأحوال. وهي حركة منظمة تنظيمياً مركزياً عالمياً تستهدف استعمار أرض العرب وإجلائهم عنها من النيل إلى الفرات»¹

3- عند النصارى:

أول ما ظهر من تطرف النصارى ما أدخله "بولس" من تحريف في الديانة المسيحية، وما زرعه فيها من غلو في تأليه عيسى عليه السلام، وتقديس الرهبان ورجال الدين، وجعلهم السلطة العليا التي يؤول إليها الحق في الأمر والنهي، فزاد ظلم هؤلاء وتطرفهم، وصاروا يفرضون على غيرهم إظهار الولاء لهم، بل ويعتبرون كل من خرج عن طاعتهم أنه خارج عن الدين، وتحرم عليه الكنيسة، غير أن هذا التطرف لم يكن دينياً فقط، بل دينياً سياسياً، حيث ظهر في تاريخ المسيحية ما يعرف "باللاهوت السياسي" حين كانت الكنيسة تبارك الحاكم وتزعم أن طاعته من الدين، وأن العدول عن ذلك هو الخروج عن الدين، وهذا ما زاد من ظلم الحكام للرعايا واستبعادهم لهم²، بإقرار الكنيسة لهم يعني حكماً أبدياً ببركة الرب، وكل هذا كان في ظل جهل المسيحيين بدينهم وإنجيلهم، إذ كانت قراءة الكتاب المقدس حكراً على الرهبان ورجال الدين وحدهم، ولم يتح لغيرهم الإطلاع على الإنجيل.

¹ محمود دياب: الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيوني المعاصر، مطبوعات الشعب، ص13.

² عرفان عبد الحميد فتاح: النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، دار عمار للنشر، عمان، الأردن، ط1، 1420هـ/2000م، ص ص53 و62.

وأما عن ألوهية عيسى عليه السلام، فقد اشتدت الخلافات بين النصارى قديما ولا تزال، ومما ذكر في تاريخهم أن الأسقف "آريوس" نفي من بلاده نتيجة للجدل الكبير الذي أثاره في الكنيسة، إذ كان من أكثر المنادين بنبوة عيسى عليه السلام، إلا أن الإمبراطورية الرومانية آنذاك حرمت عقيدته تلك في عهد الإمبراطور "ثيودوسيوس الأول" عام 379م¹، وكان خلافهم ونزاعهم في تفسير طبيعة المسيح؛ «هل هو بشر مخلوق كسائر المخلوقات؟ أم هو الله المتجسد الذي تأنس فظهر بصورة عيسى»² سببا في ظهور فرق كثيرة زاد غلوها وتطرفها، وصارت كل فرقة تُعدُّ نفسها الأصل وأما على حق والأخرى على باطل، كما اختلفوا أيضا في مسائل عديدة تخص العقيدة والتشريع، فكان من بين الفرق من تنطع في قضية التثليث وتفسير الأقانيم وأياها انبثق من الآخر، وتطرفوا كذلك في مسألة تحريم الطلاق، وهذه الفرق هي الكاثوليك والأرثوذكس، أما البروتستانت فقد ظهرت كرد فعل ضد الأرثوذكسيين والكاثوليكين، لإصلاح الكنيسة وتخليصها من الفساد، فألغوا صكوك الغفران واعتبروها كذبا ودجلا، ومنحوا كل مسيحي الحق في فهم الإنجيل وقراءته بعد أن كان لقرون عديدة حكرا على رجال الدين، ومنعوا الرهبنة التي كرسست الاستبداد، والاضطهاد، وأشكال التطرف، والتعصب لرجال الدين.³

ولا بد أن نشير هنا إلى نقطة مهمة، وهي أن السبب وراء اتباع فرقة دون أخرى لم يكن سببا دينيا خالصا، إذ لم تتح فرص جادة للنقاش بين هذه الفرق النصرانية لتخلص في النهاية إلى فكرة توحد الصفوف، وتكشف اللبس، وتزيح عن الطريق أسباب الفرقة والتشتت، بل إنه وعلى مر عصور من الزمن كان للنفوذ والسلطة القرار والفصل في اختيار الفرقة، وفرضها على الرعايا، ولا نبالغ إن قلنا أن للحكام، و السياسة يد

¹ - سعد رستم: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية واجتماعية، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 2005، ص24.

² سعد رستم: المرجع نفسه، ص21.

³ سليمان بن صالح الخراشي: كيف تطورت العلاقة بين اليهود والنصارى من عداوة إلى صداقة؟!، روافد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ/ 2009م، ص ص 19، 21.

فيما طال الدين من تحريف وتزييف، إذ تواطؤوا مع رجال الدين وصاغوه وشرعوا أحكامه وفق ما يخدم مصالحهم، ويضمن استمرار ظلمهم وطغيانهم.

هذا وقد ظهر تطرف هؤلاء في عدة محطات تاريخية، فروعوا وهددوا أمن الآخر واستقراره ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾¹ (113)، فظهرت عداوتهم لليهود الذين تسببوا في قتل المسيح عليه السلام-حسبهم- وأقر النصارى أنه لا شرعية في اليهودية» وفي منتصف القرن الثاني الميلادي كان Milito أسقف Sardes بأسيية الصغرى، قد أذاع عبارته المشحونة بالعداء لليهود واليهودية متهما إياهم جملة بلا التمييز بأنهم كانوا السبب في قتل المسيح صلباً، وعندما أعلم الإمبراطور ثيودوسيوس الأكبر (379-390) عن جعل المسيحية الدين الرسمي لإمبراطور اعتبر اليهودية حركة هرطقية وجريمة سياسية ترتكب ضد الإمبراطورية وعلى عهد ثيودوسيوس الثاني (401-455) ومن خلال قانون رسمي عرف باسمه Theodociancodex والذي أصدر عام 431م، سحبت أخيراً الشرعية الدينية عن اليهودية فعدت ديانة غير مشروعة²، واتهموا معابد اليهود بأنها أعشاش لحركات مناوئة للمسيحية، وأنها مراكز للشرك، ومقرات للشياطين، وأنه لا ينفع مع اليهود دعوتهم للدخول في المسيحية، وما يستحقونه هو القتل الجماعي³.

والتاريخ المشترك بين المسيحيين والمسلمين يشهد على عداة الصليبيين، وتطرفهم، وكرههم، للإسلام وأتباعه لمدة طويلة، تخللتها فترات قصيرة جدا من الهدنة والسلام، وقد شن النصارى بدعوة من الكنيسة والباباوات، حملات صليبية تهدف إلى غزو المسلمين، واحتلال أراضيهم، واستبدالهم بالشعوب المسيحية التي تستحق وحدها أن تحقق كلمة الرب.

كانت بداية هذه الحروب في العصور الوسطى، بعد أن ألقى "البابا أوربان الثاني" خطبة سنة 1095م، وسط حشد كبير من الكهنة والفرسان وعمامة الشعب، في مقاطعة "برغنديا" الواقعة في جنوبي

¹ سورة البقرة: الآية: 113.

² عرفان عبد الحميد فتاح: النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، ص57.

³ عرفان عبد الحميد فتاح: المرجع نفسه، ص57.

فرنسا، وأعلن فيها إطلاق الحملة الصليبية، وضرورة إيقاف زحف المسلمين وإبادتهم؛" دعا إلى شن حرب مقدسة ضد الإسلام، وشرح ذلك قائلا: «إن الأتراك السلاجقة، ذلك العرق البربري القادم من وسط آسيا والحديث العهد بالإسلام، قد اكتسح بلاد الأناضول في آسيا الصغرى واستولى على مناطق كثيرة انتزعتها من الإمبراطورية البيزنطية المسيحية"، وحث فرسان أوروبا على أن يتوقفوا عن القتال الداخلي فيما بينهم ويتحدوا تحت لواء قضية مشتركة ضد أعداء الله هؤلاء، وصاح في الحاضرین: «إن الأتراك عرق ملعون، عرق غريب تماما عن الله، وهم حقا جيل لم يتوجه بقلبه أو يعهد بروحه إلى الله»، «إن قتل هؤلاء الوحوش الكفرة مقدس، فالواجب المسيحي يقضي باستتصال هذا العرق الفاسد من أراضينا، وبعد أن يظهر الصليبيون آسيا الصغرى من الوجود الإسلامي يتعين على الفرسان أن ينخرطوا في مهمة أكثر قدسية ألا وهي الزحف نحو مدينة السلام، "أورشليم المقدسة" وانتزاعها من أيدي الكفار فمن العار أن يكون قبر المسيح في أيدي المسلمين».¹

وبالرغم من معارضة بعض الآباء الشرقيين لدعوة «البابا أوربان الثاني»، وعلى رأسهم القديس "باسيل" الذي رفض الحرب وإدانتها بوصفها قتلا جماعيا²، إلا أن هذه الفكرة قد راقت لعامة الناس لما تحمله من بعد ديني من جهة، وبسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تسود أوروبا في ذلك الوقت من جهة أخرى، ولم يكن تطرف النصارى في تعاملهم مع المسلمين في هذه المرحلة هو الأخير في تاريخهم المشترك، بل إن هذه الفترة بالذات كانت السبب في زرع بذور العداوة والكراهية، وفي تحديد أسس المعاملة في المستقبل، «كان الغرب يغزو الشرق لأول مرة في العصور الوسطى وهو مفعم بالتدين العدواني للحرب المقدسة، هذا التدين الذي سيطبع بطابعه كل أوجه تعامل الغرب في المستقبل».³

4- عند المسلمين:

¹ محمد سهيل قطوش: تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في الشرق) (489-690هـ / 1096-1291م)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1432هـ / 2011م، ص ص 13-14.

² محمد سهيل قطوش: المرجع نفسه، ص 24.

³ محمد سهيل قطوش: مرجع سابق، ص 14.

بالنظر إل تاريخ المسلمين وما وقع فيه من أحداث، فإن أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي الأخرى لم تسلم من تمهات الفرق الغالية والمتطرفة، ولا من الأذى الذي سببه تعصب هؤلاء وتشدهم، رغم تحذير الرسول عليه الصلاة والسلام المتكرر في مواضع عدة من الغلو والتنطع في الدين، فكان منهم من تعاملوا مع النصوص الشرعية بسطحية وقلة وعي وإدراك لمعانيه الحقيقية، وبعضهم توغل فيها وتنطع فكانت النتيجة أن انزلوا وخرجوا عن غيرهم من المسلمين، وكفروهم واستباحوا دماءهم جراء ما لقوه من معارضة، «لكثير من المتطرفين في التعامل مع الفقه والشريعة منهج يتسم بالجهل والسطحية، وينم عن كثير من الغلو والعقد النفسية، وإليه يرجع كل ما تميزوا به من الشذوذ والتخبطات الفقهية، منهم يرفضون الالتزام بمذهب من المذاهب الأربعة التي توارثتها الأمة جيلا بعد جيل يقولون هم رجال ونحن رجال، ولا يكادون يستفتون إلا أئمتهم وأمرأهم في كل ما يعرض لهم من مسائل في الدين، ولا يكادون يقبلون فتوى من أحد إلا إذا كانت مصحوبة بالدليل، يتعاملون بذلك على العلماء ويطاولون به على أئمة الدين».¹

لم يكن الغلو في الدين لدى المسلمين وليد اليوم، بل ظهر مع بعض ممن عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم، إلا انه لم تسجل إلا حالات فردية «لا تذكر لقلتها ولعدم استمراريتها ولأنها لا تمثل عقيدة أو منهجا بل سرعان ما زالت عند معرفة الصواب».²

وقد روي في صحيح البخاري عن بعض من أولئك الذين نحوا منحى الغلو، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك؛ «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له من ذنبه ما تقدم وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: انتم الذين قلتم كذا

¹ صلاح الصاوي: التطرف الديني الرأي الآخر، ص20.

² علي بن عبد العزيز بن علي الشيل: الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، ص23.

وكذا؟ أما والله إني لأحشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».¹

ولأن الاختلاف سنة من سنن الحياة، فلا يمكن أن يسير الناس وفق نمط واحد أو يتبعوا السلوك ذاته، أو أن يكون لتفكيرهم منحى واحد، بل إن هذا التباين ظاهرة طبيعية إيجابية، لها فوائدها إذا لم يتجاوز الحد فيها، والتزم كل طرف بأدب الاختلاف، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۚ 118 إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.²

كان الصحابة رضوان الله عليهم إن اختلفوا في أمر من أمور الدين، وصعب عليهم فهمه أو تفسيره، عادوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم الله، «فبين لهم وجه الحق فيه، وأوضح لهم سبيل الهداية، وأما الذين يتزل بهم من الأمور ما لا يستطيعون رده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعدهم عن المدينة المنورة، فكان يقع بينهم الاختلاف كاختلافهم في تفسير ما يعرفونه من كتاب الله، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتطبيقه على ما ناهم من أحداث، وقد لا يجدون في ذلك نصا فتختلف اجتهاداتهم... هؤلاء إذا عادوا إلى المدينة، والتقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه ما فهموه من النصوص التي بين أيديهم أو ما اجتهدوا فيه من القضايا، فإما أن يقرهم على ذلك فيصبح جزءا من سنته صلى الله عليه وسلم، وإما أن يبين لهم وجه الحق والصواب فيطمئنون لحكمه صلى الله عليه وسلم، و يأخذون به، ويرتفع الخلاف».³

- وأما عن أول ما ظهر من التطرف بمعناه الحقيقي، فقد كانت بوادره في عهد "عثمان بن عفان" —
- رضي الله عنه—، حين خرجت جماعة من أصل البصرة والكوفة ومصر والشام⁴، تدعي أنه أخذ حق علي —

¹ أخرجه: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث 5063، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ/ 2002م، ص1292.

² سورة هود: الآيتان 118-119.

³ طه جابر فياض العلواني: أدب الإختلاف في الإسلام، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ط1، 1405هـ/ 1984م، ص ص 35-36.

⁴ محمد حسان: الفتنة بين الصحابة قراءة جديدة لاستخراج الحق من بين ركام الباطل، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، ص127.

فكان الخوارج أول فرقة متطرفة تظهر في تاريخ المسلمين، إلا أنها لم تكن الأخيرة، إذ ظهرت بعد ذلك عدة فرق أخرى متطرفة، استطاعت أن تكسب أتباعاً ومؤيدين، وفيما سيأتي سوف نعرف أهم هذه الفرق، وجذورها التاريخية:

1- الخوارج:

وهي كما أشرنا فرقة متطرفة في عهد علي -رضي الله عنه- وقد سميت بهذا الاسم بسبب انشقاقها وخروجها عن الجماعة، وقد اتخذ الخوارج موقفاً عدائياً من علي رضي الله عنه وجماعة المسلمين، ورغم ما أبداه هؤلاء من تطرف في الدين نتيجة فهمهم الخاطئ للنص القرآني، وما بدر منهم من اتهام لأمير المؤمنين بالوقوع في الخطيئة، إلا أنه فضل التحاور معهم وإعادةهم إلى الطريق الصحيح، فأرسل إليهم عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- ليناظرهم ويفسر لهم ما اعتبروه تجاوزاً لحكم الله، «وحينما سأهم ابن عباس عن الأسباب التي دفعت بهم إلى مفارقة معسكر الخليفة قالوا بأنهم نعموا عليه ثلاثة أمور:

1- أنه يقبوله "التحكيم" قد حكم الرجال في أمر الله الذي يقول عنه تعالى: ﴿إِن الْحُكْمَ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ فإخطأ بهذا، وكان ينبغي أن يستمر في القتال حتى يظهر حكم الله.

2- أنه قاتل أصحاب "الجملة" وقتلهم، وفي نفس الوقت لم يسبهم ولم يأخذ غنائمهم، بل إنه نهي عن قتل مدبرهم والإجهاز على جريحهم وغنيمة أموالهم وذراريهم، وقال الخوارج أنه ليس في كتاب الله إلا مؤمن وكافر، فإن كان هؤلاء مؤمنين لم يحل قتلهم، وإن كانوا كفاراً أبيعحت دماؤهم وأموالهم.

3- وأخيراً فإن علياً يقبوله "التحكيم" قد محا نفسه عن إمرة المؤمنين"، وفي رأيهم انه إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمر الكافرين».¹

¹ أحمد محمد أحمد جلي: المرجع السابق، ص ص 40-41.

واستطاع عبد الله بن عباس بعد هذه المناظرة أن يرجع طائفة منهم إلى جادة الصواب، ثم إن عليا رضي الله عنه قد خرج إليهم مخاطبا واعظا، مذكرا إياهم بأنهم هم من أشاروا إليه بقبول التحكيم، وهكذا انتهى الخلاف وعادوا معه إلى الكوفة، إلا أنهم أشاعوا بين الناس أن عليا عدل عن أمر التحكيم، فكذبهم أمير المؤمنين فخرجوا عنه، مرة أخرى، «وأصبحوا يرددون أن "لا حكم إلا الله" فلما سمع علي نداءهم قال: كلمة حق أريد بها باطل».¹

وقد أباح الخوارج دماء المسلمين فقتلوا الأبرياء بغير وجه حق، وزاد لفسادهم وإرهابهم، فروعوا الناس وهددوا أمنهم واستقرارهم؛ «أثار هذا العمل الرعب بين الناس، وظهر ومدى إرهابهم بيقر بطن هذه المرأة، وذبحهم عبد الله كما تذبح الشاه، ولم يكتفوا بهذا، بل صاروا يهددون الناس قتلا، حتى إن بعضهم استنكر عليهم هذا العمل قائلين: ويلكم ما على هذا فارقنا عليا».²

فلما رأى "علي" منهم كل ذلك، جهز جيشه للقتال، وانتهت معركة "النهروان" بنصر أمير المؤمنين ومن معه؛ «وأُسفرت هذه المعركة الخاطفة عن عدد كبير من القتلى في صفوف الخوارج، وكان الحال عكس ذلك تماما في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه».³

وقد لازمت الخوارج صفات عديدة أهمها الغلو في الدين؛ فكانوا أهل طاعة وعبادة، حريصين على تطبيق أحكام الدين، والابتعاد عن نواهيهِ؛ «وكان من نتيجة هذا التشدد الذي خرج بهم عن حدود الدين وأهدافه السامية أن كفروا كل من لم ير رأيهم من المسلمين، ورموهم بالكفر أو النفاق، حتى إنهم استباحوا دماء مخالفينهم، ومنهم من استباح قتل النساء والأطفال من مخالفينهم».⁴

¹ أحمد محمد أحمد جلي: المرجع نفسه، ص 43.

² علي محمد الصلابي: فكر الخوارج والشيعة في ميزان أصل السنة والجماعة، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، ط 1، 1429هـ/2008م، ص 31-32.

³ علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص 34.

⁴ المرجع نفسه، ص 43.

ومما وصف به الخوارج أيضا أنهم كانوا جاهلين بالكتاب والسنة، قليلي التدبر والتعقل، ولا يتزلون النصوص ومنازلها الصحيحة، ومن فرط جهلهم أنهم استشهدوا بآيات نزلت في الكفار فردوها على المسلمين، وعرف الخوارج بالغلظة والجفوة والقسوة والعنف على المسلمين، فقتلوهم واستباحوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم.¹

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة».²

ولا بد كذلك من الإشارة إلى أن الخوارج لم يكونوا فرقة دينية فقط، فقد شكل الخوارج فرقة سياسية مميزة في خضم ذلك الصراع الذي نشب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، ورغم ما تعرضت له هذه الفرقة من هزيمة في معركة "النهران"، إلا أنها لم تنته، ولم يُقضى عليها كلياً، فقد عادوا للظهور أيام معاوية، بل وشكلوا جيشاً يقوده "نافع بن الأزرق"، وتمكنوا من فرض سلطتهم من العراق إلى الأهواز وأجزاء من فارس.³

2- الشيعة:

والشيعة من الفرق الإسلامية المتطرفة، التي أحدثت الكثير من البدع والانحرافات في الدين الإسلامي، وخالفت جماعة المسلمين فيما ذهبت إليه من أفكار معتقدات، ومن ذلك ادعاؤهم أن «النبوة كانت في علي

¹ المرجع نفسه، ص 44، 49.

² أخرجه: الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، 1066، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1427هـ / 2006م، مج1، ص474.

³ لوي صافي: العقيدة والسياسة معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط2، 1419هـ / 1998م، ص ص 61-62.

ولكن جبرائيل أخطأ وأعطاها لمحمد، لذلك يردد البعض في صلاتهم "حان الأمين، حان الأمين، حان الأمين، والله ما كان الأمين أميناً".¹

وقد اختلف العلماء والباحثون في تحديد أصل هذه الفرقة ونشأتها، فكان منهم من رأى أن أصل الشيعة يعود إلى رجل يهودي اسمه "عبد الله بن سبأ" من يهود اليمن، أسلم في عهد عثمان -رضي الله عنه- وهو أول من دس فكرة أحقية علي في الخلافة قبل عثمان -رضي الله عنهما-، وقد استطاع أن يكسب في صفه أتباعاً ومؤيدين من موالي الفرس، ومن هم على شاكلته من أهل العراق ومصر، وقيل أنه كان وراء ما حدث لعثمان -رضي الله عنه-، وما وقع لبين الصحابة من فتنة في موقعة "الجمل".²

وبعد تولي علي -رضي الله عنه- الخلافة ومبايعته من طرف المسلمين، بدأ "عبد الله بن سبأ" ينشر بين أتباعه أفكاراً مسمومة؛ «فزعم أولاً أن محمد صلى الله عليه وسلم سيرجع إلى الدنيا. وكان يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا قَوْلَ الَّذِينَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْبُطُحِ وَقَالُوا لَئِنْ أُنزِلَ إِلَيْنَا السُّورَةُ لَأُعَذِّبَنَّهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾». ثم زعم ابن سبأ بعد ذلك: انه رأى في التوراة أن لكل نبي وصياً وأن علياً رضي الله عنه هو وصي محمد صلى الله عليه وسلم، وكما أن محمد خير الأنبياء فإن علياً رضي الله عنه هو خير الأوصياء، ثم يغلو ابن سبأ في علي رضي الله عنه فيزعم أنه نبي ثم يتجاوز ذلك فيزعم أن علياً رضي الله عنه فيه جزء إله أو هو الإله. وقد تبعه على ضلالتة هذه بغواة الكوفة».³

وفريق آخر من الباحثين يرى أن الشيعة والتشيع كان في الفترة التي تلت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، حين اختلف المسلمون حول الإمامة، فرأى بعضهم أن الخلافة لا بد أن تكون من رهط النبي صلى الله عليه وسلم، ورشح هؤلاء علي بن أبي طالب ليكون الخليفة؛ «غير أنه نشأ بين كبار الصحابة، مندبات مشكلة الخلافة، حزب نقم على الطريقة التي انتخب بها الخلفاء الثلاثة الأول وهم أبو بكر وعمر وعثمان، الذين لم يراع في انتخابهم درجة القرابة من أسرة النبي، وقد فضل هذا الحزب بسبب هذا الاعتبار، أن يختار

¹ علي الكاش: اغتيال العقل الشيعي دراسات في الفكر الشعبي، إي- كنب، لندن، بريطانيا، ط1، 2015، ص52.

² عبد القادر شيبية الحمد: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، ص213.

³ عبد القادر شيبية الحمد: المرجع السابق، ص213.

للخليفة عليا بن أبي طالب ابن عم النبي وأدنى قريب له، والذي كان فضلا عن ذلك زوجا لابنته فاطمة»¹،

وقد كان من الصحابة من رأى أن عليا رضي الله عنه أفضل ممن سبقه في الخلافة، أمثال عمار بن ياسر

وسلمان الفارسي وجابر بين عبد الله والعباس وأبي بن كعب وغيرهم -رضي الله عنهم-²، وهذا الرأي لا بد

من النظر فيه، إذا أن هؤلاء الصحابة وإن فضلوا عليا رضي الله عنه ليكون الخليفة، فإنهم كذلك لم يبدوا

اعتراضهم على أبي بكر أو عمر أو عثمان -رضي الله عنهم- ولم يكونوا حزبا ناقما معارضا، ولا كان منهم

تبني عقيدة من العقائد التي عرف بها الشيعة كتقديس الأئمة والقول بعصمتهم أو رجعتهم.³

وفي ظل هذه الآراء المتضاربة حول أصل الشيعة وتاريخهم وتعدد الروايات في ذلك، لا يمكن أن نقر

إلا بحقيقة واحدة أن الشيعة هي الفرقة التي شايحت عليا رضي الله عنه على الخصوص وقالت بإمامته؛ يقول

الشهرستاني: «الشيعة هم الذين شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته نصا، ووصيته، إما جليا

أو خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده،

قالوا: وليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، هو

ركن الدين لا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله وإهماله».⁴ ولا بد هنا من الإشارة إلى أنه لم يرد في كتب

الحديث أو السيرة ما يؤكد وصاية الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي بالخلافة، وإن عليا -رضي الله عنه- قد

تبرأ مما كان يلفق من هذه الجماعة وما كانت تتطرف فيه؛ «وقد تبرأ منهم وعذبهم أشد العذاب في حياته،

وأبغضهم بنوه وأولاده من بعده، ولعنوا عليهم، وأبعدوهم عنهم، ولكن خفيت الحقيقة مع امتداد الزمن،

وغابت عن المسلمين».⁵

¹ إجناس جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي، تر: محمد يوسف موسى وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، دط، 2013م، ص 237.

² أحمد أمين: فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، 2012، ص 288.

³ أحمد محمد جلي: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة"، ص ص 92-93.

⁴ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1413هـ/1992م، ج1، ص ص 144-145.

⁵ إحسان إلهي ظهير: الشيعة والسنة، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط3، 1396هـ/1976م، ص 20.

ومن تطرف الشيعة وافتراءاتهم التي اختلقوها، قولهم بأن القرآن طاله التحريف، «وقد ألف شيخهم النووي الطبرسي الذي يحظى بمكانة مرموقة عند جميع علمائهم كتابه التافه (فصل الكتاب في إثبات تحريف كلام رب الأرباب). واحتفظ بنسخة مصورة منه لغرض المحاججة لبس أكثر. حيث جمع فيه ما يزيد عن 2000 رواية تقول بالتحريف، ونظمها في كتابه. ونسب الكليني لجابر عن أبي جعفر القول "ما ادعى احد من الناس انه جمع

القرآن كله إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده»¹.

وجاء في تقديسهم للإمامة قولهم بأنها ركن من أركان الإسلام، وإن من أنكر ذلك فهو كافر مرتد مخلد في النار، والإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أو لسان الإمام المنصوب بالنص²، وقد كفر الشيعة بناء على هذا الصحابة رضوان الله عليهم؛ «لأنهم خانوا وصية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه، ولم يبايعوه بالخلافة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما بايعوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه»³، وفي اعتقاد الشيعة فإن أئمتهم معصومون عن الخطأ سواء كان سهواً أو عمداً، فالعصمة عندهم لا تكون فقط في الكبائر والصغائر بل حتى في السهو والنسيان، وكما كفروا من نفى الإمامة، فإنهم كذلك كفروا من نفى عصمة أئمتهم، ويرى هؤلاء أن الأنبياء، والرسل، والأئمة، والملائكة لا يعصون الله ويفعلون ما يؤمرون⁴.

3- المعتزلة:

¹ علي الكاش: اغتيال العقل الشيعي، ص 45

² محمد بيومي: حقيقة الشيعة وهل يمكن تقاربهم مع أهل السنة، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، ط 1، 1428هـ / 2007م، ص 45.

³ المرجع نفسه، ص 51.

⁴ محمد بيومي: المرجع السابق، ص 55-56 و58.

ظهرت المعتزلة كفرقة كلامية إسلامية في أوائل القرن الثاني الهجري، سالكة منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية¹، وضمت اتجاهات فكرية متعارضة وآراء دينية متباينة، فتطرف أتباع هذه الفرقة في أخذهم «بالحرية واحترام الرأي الفردي حتى لقد أسس كل شخص منهم مذهبا رأى أنه الحق، وكفر زملاءه في الفرقة، كما كان من أمر النظام مع العلاف، وعباد بن سليمان مع بقية المعتزلة»².

وأقحم هؤلاء أنفسهم في مسائل ليس للعقل سلطان عليها، فتعمقوا وتنطعوا فيما لا يجوز فيه ذلك، وانحرفوا وازدادوا بعدا عن السنة، وابتدعوا أفكارا متناقضة، ومتضاربة، فساروا من سيء إلى أسوأ؛ «ومنها إنهم قالوا: إن الله موجود متصف بصفات كالقدرة والحياة، والعلم، ثم قالوا: إنه ليس له مكان، ولا هو متحرك ولا ساكن، وهذا مخالف للعقل والشرع معا. لأن الموجود الذي لا مكان له، ولا هو متحرك ولا ساكن يعني أنه غير موجود، من جهة، ولا يمكن تصوره عقليا من جهة أخرى. فواضح من ذلك أن المعتزلة أدخلوا عقولهم في محن وجنایات لا مخرج لهم منها إلا من خارج مذهبهم. وبما أنهم أصروا على مذهبهم، فقد وجدوا أنفسهم في محنة مع العقل والشرع والعلم في أكثر أصولهم»³.

وقد تبلورت أفكار هذه الفرقة على يد "واصل بن عطاء" وبرزت كفرقة مستقلة، فبعد أن كان يحضر مجالس الحسن البصري، ذهب -هو وعمرو بن عبيد- إلى أن الفاسق مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين وأنه مخلد في النار، ولم يطلق القول بتكفيره، واعتزل حلقة الحسن إلى سارية أخرى فأطلق عليهم "المعتزلة" لاعتزالهما قول الأمة وإجماع المتقدمين من الصحابة والتابعين.⁴

¹ عواد بن عبد الله المعتز: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منهم، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2 1416هـ / 1995م، ص14

² الحارث بن أسد المحاسبي: العقل وفهم القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، د ب، ط1، 1391هـ / 1971م، ص ص 31-32.

³ خالد كبير علال: جنایة المعتزلة على العقل والشرع ومظاهرها، آثارها، أسبابها، ص174.

⁴ محمد العبد وطارق عبد الحليم: المعتزلة بين القديم والحديث، دار الأرقم، برمنجهام، بريطانيا، ط1، 1408هـ / 1987م، ص104.

وقد نشأت هذه الفرقة متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر، واستطاعت أن تنشر أفكارها في أكثر البلدان انتشارا للمسلمين، ومما يشهد لأتباع هذه الفرقة أنهم قاموا بجهود كثيفة في نشر الإسلام، إلا أنهم تطرفوا في إعمالهم للعقل، فأنحرفوا عن الحق حين قالوا بخلق القرآن وغيرها من المبادئ التي عجلت في خروجهم عن الجماعة،¹ فاعتبروا أن اعتزالهم هو اعتزال عن الشرور، والمحدثات، واعتزال عن الفتن والمبتدعين، فكانوا أهل حق ومن عداهم على باطل، وأطلقوا على أنفسهم الفرقة الناجية.²

ومن أشهر الأقوال التي خالفوا فيها أهل السنة نفيهم للصفات الإلهية، وقولهم بخلق القرآن، واعتبروا أن العبد خالق لأفعاله خيرها وشرها، وأن أفعالهم تقع منهم بغير إرادة الله ومشيتته، وعدوا صاحب الكبيرة في منزلة بين منزلتين وأنه لا بد أن يدخل النار ويخلد فيها.³

4- المرجئة:

والمرجئة من الفرق الإسلامية التي ظهرت نتيجة لما عرفه المسلمون من أحداث وفتن بعد معركة "صفين"، واضطرابات في البلاد الإسلامية وما شهدته من صراع بين ابن الزبير والأمويين والخوارج على حق الخلافة، كما كان للمجادلات والنقاشات التي دارت بين الخوارج والفرق الأخرى والتسرع في الرد في ظل الفتنة والأزمة سبب في ظهور الفكر الإرجائي الذي دعت إليه هذه الفرقة وتطرفت ودافعت عنه، لتخرج هي الأخرى عن الحد وتنحرف عن ما قال له به أهل السنة والجماعة.⁴

¹ غالب بن علي عواجي: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، السعودية، ط4، 1422هـ / 2001م، ج1، ص ص 1163-1164،

² غالب بن علي عواجي: المرجع نفسه، ص1168.

³ محمد باكريم محمد با عبد الله: وسطية أهل السنة بين الفرق، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1415هـ / 1994م، ص297.

⁴ سفر بن عبد الرحمن الحوالي: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي إشراف: محمد قطب، رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص العليا (الدكتوراه)، دار الكلمة للنشر والتوزيع، دب، ط1، 1426هـ / 1990م، ص 283.

فقال أتباع هذه الفرقة أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ومرتكب الكبيرة كامل الإيمان لا يستحق دخول النار¹، وانقسموا في مفهومهم للإيمان، فمنهم من قال أن الإيمان تصديق القلب وقول اللسان، ويعرف هؤلاء بمرجئة الفقهاء، وقسم آخر قال أن الإيمان هو تصديق القلب فقط، وإن لم يتكلم به، ومع ذلك قالوا بأن من حكم الشرع بكفره حكمنا بكفره، وقسم آخر يرى أن الإيمان هو القول فقط، فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان، لكن إن كان مقرا بقلبه كان من أهل الجنة، وإن كان مكذبا بقلبه كان منافقا مؤمنا من أهل النار.²

وإلى جانب هذه الفرق ظهرت فرق أخرى كثيرة كان لأفكارها تأثير متفاوت على الفكر الإسلامي، وعلى تعامل المسلمين فيما بينهم، فبعد أن كان الاجتهاد في تفسير النصوص الشرعية طريقا لفهم الدين، وتطبيق أحكامه ودفع الحرج عن المسلمين فيما صعب عليهم إدراكه، صار هذا الاجتهاد سببا في الفرقة وظهور الطائفية، حين تعصب أصحاب الرأي لآرائهم، ودعوا إلى الانشقاق عن غيرهم، وابتدعوا في الدين ما ليس فيه، ونشروا بدعهم بين الجاهلين من المسلمين، الذين لا يفقهون من الإسلام إلا القليل، فكفروا من خالفهم، وأدخلوا في العقول فكرة الفرقة الناجية، فصارت كل فرقة ترى نفسها على حق والآخرين على باطل.

المبحث الرابع: أسباب التطرف الديني ومظاهره

1- أسباب التطرف الديني:

¹ سعيد بن علي بن وهف: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، دب، ط1، 1429هـ/2008م، ص179.
² محمد بن خليفة التميمي: مقالة التعطيل والجمع بين درهم، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1418هـ - 1997م، ص ص 71-72.

بعد انتشار التطرف الديني في العالم عموماً وعند المسلمين خصوصاً، صار لزاماً على الدارسين الوقوف عند أسباب هذه الظاهرة ومعرفة الدوافع التي تجعل من الإنسان العادي إنساناً متطرفاً في نظر الغير.

وأسباب التطرف الديني حسب الدارسين والباحثين والعلماء كثيرة ولا يمكن حصرها، ولا نبالغ إن قلنا أن لكل متطرف أسبابه ومبرراته الخاصة التي دفعته إلى انتهاج التطرف والغلو.

وهذه الأسباب تختلف بين أسباب دينية، وسياسية، واجتماعية، وفكرية، ونفسية، إلا أنه في كثير من الأحيان يصعب الفصل والتمييز بينها لتشابك هذه الأبعاد وتداخلها، فيمكن أن يحمل السبب الواحد بعداً اجتماعياً ودينياً معاً، أو أن يكون سياسياً وفكرياً في الوقت نفسه.

بالنسبة لأسباب التطرف الديني وظهور الأصولية اليهودية المتطرفة، فإن البعض يرجعها إلى أسباب تاريخية ودينية وسياسية في الغالب، فقد ظهرت نتيجة للاضطهاد الذي عاشه اليهود بعد الشتات، ونظرة العالم العدائية لهم، ولعل هذا عائد إلى تعالي اليهود وثقافتهم الدينية التي تدعوا إلى تمييز أنفسهم عن الآخرين، وحول ما يعتقدونه حول اختيارهم ليكونوا شعب الله، وكذلك نبوءاتهم حول "القدس" و "فلسطين"، وإقامة وطن قومي لليهود، «إن من أبرز عوامل نشأة وبروز الأصولية اليهودية العوامل القومية والدينية التي تتمثل في أهداف تحقيق حلم إسرائيل الكاملة وإقامة وطن قومي لليهود ويمكن اعتبار الحركة الصهيونية حركة أصولية في اتجاهها العلماني واتجاهاتها الدينية المتطرفة. فالارتباط بين الاتجاه السياسي والديني قوي وواضح، ولا يمكن الفصل بينهما. لأن التطرف الديني اليهودي يخدم المشروع الصهيوني بامتياز».¹

وكذلك هو الأمر بالنسبة للأصولية والتطرف المسيحي، الذي كان السبب المباشر لظهوره الانقسامات، والانشقاقات، والحركات الإصلاحية، التي عرفتها الكنيسة على مدى سنوات، والذي تحول فيما بعد إلى سبب سياسي دينوي يحرك هذه الأصولية ويسيرها، فتحوّلت إلى أصولية متطرفة عنيفة هدفها السيطرة، وبسط النفوذ.

¹ عبد الله أحمد لطفي الشقري: الأصولية الدينية حول العالم، ص 42.

كانت بدايتها بالحمالات الصليبية ثم الحركات الاستعمارية؛ «وتخل تلك الفترة من الانقسامات عامل مهم تسبب في تحول الأصولية المسيحية وغيرها من الأصوليات الدينية إلى ظاهرة عنيفة تجسدت في الحروب الصليبية التي شهدت مرحلة من توظيف الدين لخدمة السياسة».¹

أما العالم الإسلامي فإن هناك آراء حول الأسباب التي أدت إلى ظهور التطرف الديني، وانتشاره بين كثير من المسلمين، فهناك من يرجعه إلى أسباب دينية خالصة، وآخر يرى أن أسباب بروز هذه الظاهرة أسباب دنيوية تختفي وراء قناع الدين.

ويرجع "سلمان بن فهد العودة" ظهور التطرف الديني إلى عدة أسباب أهمها: التأزم الفكري في العالم الإسلامي، وما يحتويه من تيارات متناقضة في التفكير والتوجه، على رأسها التيار العلماني الذي يتطرف في دعوته إلى تقليد الغرب في كل صغيرة وكبيرة، دون اعتبار للثقافة والهوية الإسلامية، والتيار الآخر المضاد، الذي يعارض كل أشكال التطور و العصرية، وزيادة على التأزم الفكري يرى أن من بين الأسباب المباشرة لظهور التطرف الجهل والخطأ في فهم المقاصد الشرعية وتوجيهها في غير مسارها.²

وعن كون ضعف البصيرة بحقيقة الدين من أسباب التطرف، يقول "يوسف القرضاوي": «ولا ريب أن من الأسباب الأساسية لهذا الغلو، هو ضعف البصيرة بحقيقة الدين، وقلة البضاعة في فقهه، والتعمق في معرفة أسرارهِ، والوصول إلى فهم مقاصد واستشفاف روحه».³

ومن الأسباب الدينية التي أدت إلى ظهور التطرف الديني اشتغال المتطرفين بالمعارك الجانبية عن القضايا الكبرى التي تم الأمة، كتحصين التعليم، والاجتهاد في العمل، وانشغالهم بمسائل هامشية والجدل حول ما لم يفصل فيه العلماء "كحلق اللحية أو الأخذ منها أو إسبال الثياب، أو تحريك الأصبع في التشهيد، أو اقتناء

¹ عبد الله أحمد لطفي الشقري: مرجع سابق، ص 44.

² عبد المجيد عمر النجار وآخرون: ظاهرة التطرف والعنف، ص 66 و68.

³ يوسف القرضاوي: الصحو الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص 62.

الصور الفوتوغرافية أو نحو ذلك من المسائل التي طال فيها الجدل، وكثر فيها القيل والقال¹، وإضافة إلى ذلك فإن ترك المحكمات وإتباع المتشابهات من النصوص من الأسباب الأساسية التي أدت إلى الغلو والانحراف في فهم الدين.²

ومن الجانب الفكري فقد كان لضعف الخلفية العلمية والمنطقية لدى الشباب سببا في جنوحهم نحو التطرف ورفض الحوار والتعصب للرأي تعصبا لا يقبلون معه رأيا آخر، وفي ذلك يقول "مسفر بن علي بن محمد القحطاني": «فقر البيئة الطبيعية أو الثقافية بمعنى ضعف الخلفية العلمية والمنطقية لتحليل المشكلات وعلاج الأزمات فيكون تفكيره لا يخرج عن ذلك الإطار الضيق الذي يشكل حصيلته المعرفية وخبراته الحياتية»³، وزيادة على هذا فقد عزف الشباب عن مجالسة العلماء وتلقي العلم من الأكفاء، وبدل ذلك اتبع الكثير منهم أولئك الذين يدعون العلم بغير علم، ويأخذون من كتب أهل الأهواء.⁴

أما على الصعيد السياسي فقد كان لفساد الحكم، وطغيان الحكام وجريهم وراء شهواتهم وتفريطهم في حقوق شعوبهم⁵، سببا في ثورة الشباب، وهوضهم ضد ما يرونه ظلما للدين والعباد، إلا أنهم تطرفوا وانحرفوا عن جادة الصواب؛ يقول "مسفر بن علي بن محمد القحطاني": «وقد يحصل التطرف عند الشباب من غير قناعات فكرية شادة أو منطقية، بل يكون نتيجة ردود فعل لما يحصل في بعض المجتمعات الإسلامية من صور القهر أو الظلم أو العدوان فيدفعهم ذلك إلى أعمال غير محسوبة ولا معروفة العواقب تزيد من هوة الخلاف وتضاعف من القهر والظلم أكثر مما مضى».⁶

¹ يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص71.

² المرجع نفسه، ص84.

³ مسفر بن علي بن محمد القحطاني: التطرف الفكري وأزمة الوعي الديني، مجلة دراسات إسلامية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد11، 11/2005/1426م، ص26.

⁴ المرجع نفسه، ص23.

⁵ يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية، ص61.

⁶ مسفر بن علي بن محمد القحطاني: التطرف الفكري، ص21.

ولا بد من الإشارة إلى سببين آخرين أساسيين في ظهور أزمة التطرف الديني؛ هما تراجع دور الأسرة في المجتمع، وما تلعبه من دور التوعوية وتكوين أفراد سويين اجتماعياً، إضافة إلى التأثير الكبير لوسائل الإعلام والاتصال على الأفراد والجماعات، وما تغرسه من أفكار وإيديولوجيات غيرت الكثير من قيم الفرد ومبادئه، والتي أسهمت هي الأخرى بشكل أو بآخر في زيادة حدة الخلافات والصراعات، والتعصب الفكري، والتطرف الديني.

2- مظاهر التطرف الديني:

رغم تعدد صور وأشكال التطرف الديني بين الأفراد والجماعات والفرق المتطرفة، إلا أن ذلك لا يمنع وجود دلائل ومظاهر مشتركة بينهما، والتي يمكن من خلالها تمييز المتطرف عن غيره، وبالتالي تحدد السلوك السوي الذي لا بد أن يكون عليه الفرد. وهذه المظاهر حسب ما ذهب إليه الكثير من العلماء والباحثين:

أ- التعصب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر:

يقول في هذا "يوسف القرضاوي": "إن أولى دلائل التطرف: هي التعصب للرأي تعصبا لا يعترف معه للآخرين بوجود، وجمود الشخص على فهمه جمودا لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين، وموازنة ما عنده بما عندهم، والأخذ بما يراه بعد ذلك أنصع برهانا، وأرجح ميزانا".¹

فالتطرف لا يرى الصواب إلا في قوله وفعله، ولا يعترف بما اجتهد فيه غيره، بل لا يكثر إن خالف الجماعة، أو أتى برأي شاذ عن ما اتفق عليه جمهور العلماء، فيمنح نفسه حق التفسير والتأويل دون اعتبار لشروط الاجتهاد، أو مراعاة لمقاصد الشرع الحقيقية.

وبحديثنا عن التعصب للرأي ورفض آراء الآخرين، لا بد أن نخرج على بعض صورته وأشكاله عند المتطرفين المسلمين، والنصارى، واليهود، ولا نقصد في هذا المقام تعصب المختلفين في الدين والمعتقد، وإنما أولئك الذين

¹ يوسف القرضاوي: الصوحة الإسلامية، ص39.

خرجوا عن جماعتهم، وتعصبوا لرأيهم، ورأوا أن كل الحق فيما ذهبوا إليه، بل واعتبروا أن كل مخالف لهم كافرا خارجا عن الدين، وأنه لا يجوز لغيرهم الاجتهاد والتفسير والتأويل.

يقول "روجية غارودي" واصفا تعصب بعض رجال الدين المسيحيين المتطرفين أو الأصوليين بالمسمى الغربي: «وإن تصورات البابا الشخصية (...)، تكاد تعتبر كأنها معتقدات يتضمن النقاش فيها طرد لا هوتي يوصف بأنه "معتد على النقاط الرئيسية في العقيدة المسيحية"».¹

وإضافة إلى هذا يرى بعض الأصوليين المحافظين ضرورة العودة إلى التراث الديني المسيحي، وفرضه عنوة على المخالفين له، وأنه لا بد من العودة إلى المركزية الرومانية التي تمثل الأصل، وتملك وحدها الحقيقة؛ «العودة إلى المركزية الرومية" الهرمية يظن فيها البعض أنهم يمتلكون "الحقيقة، كل الحقيقة"»،² وهذا ما يرفضه أغلب النصارى، لما يرونه في هذا التيار من رجعية وتخلف لا يتماشى وظروف العصر، ولا مع حاجات الإنسان التي لا تثبت على حال.

ولا يختلف الأمر كثيرا عند اليهود، فالحاخام يحضى بمكانة الأنبياء عند الأصوليين اليهود المتطرفين، الذين دعوا إلى تطبيق التوراة رغم إقرارهم وجود الكثير من النصوص المغلوطة التي لا توافق العقل والتسلسل التاريخي للأحداث، فالتوراة تمثل تاريخ اليهود المقدس. هذا وقد تعصب هؤلاء للحاخام فقدسوا شخصه ورفعوا «مرتبته فوق مرتبة الأنبياء بما في ذلك تقديس أقواله ومنحها سلطة أعلى من سلطة التوراة».³

ومن صور التعصب للرأي كذلك، ما شهده العالم الإسلامي عند بعض الفرق الغالية، أو عند بعض المتطرفين المعاصرين، الذين خالفوا الجماعة في الكثير من المسائل، ومن صور ذلك ما يثيره بعض المتطرفين من تشكيك معارضة كلما أقبل شهر رمضان؛ «تجدهم مولعين بمخالفة ما تعلنه دار الإفتاء عن ثبوت شهر رمضان، أو عن ثبوت هلال العيد فتارة يفترون بدعوى عدم ثبوت الهلال لديهم وأن أجهزة الدولة الرسمية لا

¹ روجية غارودي: الأصوليات المعاصرة ومظاهرها، تر: خليل أحمد خليل، دار عام ألفين، باريس، فرنسا، دط، 2000م ص48.

² المرجع نفسه، ص46.

³ عبد الله احمد لطفي الشقري: الأصولية الدينية حول العالم، ص76.

الصرامة لا تزال سائدة بين كثير من اليهود في عصرنا، فبسبب هذه التشريعات التي فرضت عليهم منذ القدم فضل البعض منهم اعتناق ديانات أخرى، أكثر تحرراً وأقل تشديداً على النفس؛ «وكجزء من هذه المسيرة اختار الكثيرون تغيير ديانتهم واعتناق النصرانية»¹. ومن بين أكثر الطوائف اليهودية تشدداً وتطرفاً حسب اليهود أنفسهم طائفة "الحريديم"، أو "اليهودية الحريدية"؛ «هي شريحة من التيارات في اليهودية الربانية والأرذوكسية، ويعرف أتباعهم باسم حريديم، ويتميز الحريديم بالصرامة الشديدة والمحافظة على تطبيق الشريعة اليهودية، (...) إن المجتمع الحريدي ذو طبيعة معقدة من ناحية التركيب التدريجي الخاص به بالإضافة إلى سمات وخصائص مختلفة تميز بينها وبين المجتمع الحريدي على قيمها التقليدية في مواجهة توغل الثقافة الغربية وتأثيره على العلاقة بالدين. فالعزلة ورفض التغيرات متبع أيضاً اتجاه العادات الاجتماعية الغير محظورة من ناحية الشريعة النقية»².

ومن صور هذا التشدد عندهم إقامتهم لتعاليم الشميتا؛ وهو العام الذي يحظر فيه على اليهود الحرث والزرع، ولا يمح المخالف تصريح البيع، وهذا ما خلق الكثير من الجدل في أوساط الطوائف الإسرائيلية حول إذن البيع في عام "الشميتا"، ومن تشددهم كذلك، امتناعهم عن استخدام الكهرباء يوم السبت خشية انتهاك حرمة، وقد خرجت الكثير من فصائلهم المتطرفة للتظاهر ضد ما يعتبرونه تدنيساً لقدسيتها الدين كتنديس السبت، وتدنيس القبور، هذا وقد فرضت هذه الطائفة على أتباعها إقامة مساكن منفصلة، ومنظمة تعليم مستقلة خاصة بالطائفة وحدها، ومنعتهم من قراءة الأدب الغير حريدي، وفرضت رقابة على وسائل الإعلام.³

ومن جهة أخرى، نجد أن هذا التشدد وإلزام الآخرين بما لم يلزمهم الله به قد ظهر كذلك عند النصارى، فعانوا من صرامة بعض رجال الدين، وتعاليمهم التي لا تراعي قدرة الإنسان وسعة تحمله؛ ومن صور ذلك ما كان يفرض عليهم من صكوك الغفران التي تضمن لهم نيل المغفرة، لكن لا بد لهم في المقابل أن يدفعوا مبلغاً من المال تحده الكنيسة، وأن يهبوا أرواحهم لها ويشاركوا في الحروب الصليبية؛ «ويعد البابا أعلى مؤسسة دينية فهو على رأس الكنيسة، وتعد قراراته غير قابلة لأي طعن نظراً إلى العصمة التي منح نفسه

¹ أمنية سالم: إسرائيل من الداخل ما لا تعرفه عن المجتمع الإسرائيلي، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، مصر، ط1، 2016م، ص65.

² المرجع نفسه، ص ص 64-65.

³ المرجع نفسه، ص ص 68-69.

إياها، بل أعطى نفسه حق غفران الذنوب للناس، فيكفي أن يعترف المرء للبابا بذنوبه لتغفر، بل يحفظ لنا التاريخ شهادات عن باباوات باعوا صكوك الغفران، آخريين أعلنوا أن المشاركة في الحروب الصليبية كافية لمغفرة الذنوب»¹، ولم تكن هذه الحروب لنشر الدين المسيحي فقط، بل كانت لها غايات أخرى، وما يجعل الكثير من الباحثين يدينون هذه الحروب، ويعتبرونها إرهاباً، أهما كانت تخضع الآخريين إكراها للدين المسيحي، وترتكب جرائم شنيعة في حق الضعفاء، فتستولي على أراضيهم وبيوتهم، وهذا ما كان منهم مع المسلمين في بيت المقدس، بعد أن سقطت المدينة في أيدي الصليبيين سنة 1099م؛ «بعد أن دخل الصليبيون المدينة المقدسة تملكتهم روح البطش والرغبة في سفك الدماء العزل الأبرياء. فانطلقوا في شوارع المدينة يذبحون كل من يقابلهم من رجال ونساء وأطفال، ولم تسلم المنازل الآمنة من اعتداءاتهم الوحشية، واستمر ذلك طيلة اليوم الذي دخلوا فيه المدينة»².

ويروي أحد المؤرخين فظاعة تلك الممجية والبربرية، وهو مؤرخ فرنسي يدعى "جوستاف لوبون" نقلاً عن ما رواه الكاهن "ريمون دوجنوس" الذي حضر المشهد، فيقول: «لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان حتى صارت الجثث تعوم على الدماء، وصارت الأيدي والرجل تسبح، وما عاد الجنود يطبقون رائحة البخار الذي يخرج من الجثث!! ويروي أيضاً في قصة أخرى عن (دوهمن): اقتيد الأسرى الباقون فجمعوا في برج القصر، وأكثرهم من الأطفال والنساء والعجائز والشيوخ، فأمر الحاكم الصليبي بذبح الأطفال والنساء والعجائز والشيوخ، وإبقاء الشباب على قيد الحياة، ثم تم أخذهم عبيداً وبيعوا في أنطاكية»³.

وقد عرفت المسيحية ظهور الحركة البروتستانتية التي رفضت صرامة الكنيسة، وتحكمها في حياة المسحيين، حين صرح "لوثر" بجرية المسحيين وحقهم في تفسير الكتاب المقدس، ورفض القول بعصمة البابا والخضوع

¹ يوسف الكلام: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2009م، ص53.

² سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي في العصور الوسطى مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1430هـ / 2009م، ص66.

³ سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: المرجع نفسه، ص67.

لسلطة الكنيسة، وقد رأى «أن الكنيسة غير مخلصه في مهمتها، وأنها السبب في تراجع الدين لما لها من عقائد وقوانين وأوامر تحول دون الله في قلوب المؤمنين، حيث تمنعهم من سماع كلمة الله».¹

أما عن المسلمين فقد ظهر هذا الالتزام الذي لا شرعية فيه عند كثير من الفرق الإسلامية، التي ألزمت أتباعها ما لم يلزمهم الله به، وضيق عليهم في أمور دنياهم ودينهم، حتى أن بعضهم انتقل إلى رهبانية قريبة جدا من رهبانية اليهود والنصارى، ففي الشيعة تُفرض الإمامة وتعتبر ركنا من أركان الدين، بل إن بعض الغلاة يجعلونها بمنزلة الشهادتين، ويلقونها للميت قبل موته، وفي هذا يقول الحميني: «ويستحب تلقينه الشهادتين، والإقرار بالأئمة الاثني عشر»²، بل ويفرض على أتباع الشيعة زيادة على إقرارهم للأئمة: الاعتقاد بعصمتهم، ووجوب اتباع أوامرهم؛ «إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن يجب تنفيذها واتباعها»³ وقد شددوا في كثير من مظاهر الحياة والعبادة، ومما يذكر في ذلك فرضهم السجود على التربة الحسينية والتي صارت من المسلمات الدينية عندهم، إضافة إلى ضرورة الدفن في النجف؛ «فقد كان تؤتى بالجثث متعفنة من إيران لبعده الطريق، وصعوبة التنقل من أجل الدفن في النجف، واشتغل لذلك تجار إيرانيون بنقل الجثث بعد تحفيظها كي توصل إلى مقبرة النجف .. وإلى يومنا هذا، سرت هذه البدعة حتى أصبحت من بدهيات شيعة العراق الدفن بالنجف».⁴

وهناك من المسلمين المعاصرين كذلك من تطرف في التحريم، وإلزام الجماعة ما لم يلزم الله، فادعوا أن التعليم حرام وحرموا وسائله المتجددة، ومن هؤلاء ما ذهب إليه "شكري مصطفى" الذي يعتبر من مؤسسي جماعة المسلمين المتطرفة في مصر، حين حرم على أتباعه الانتساب إلى المدارس والمعاهد العلمية وكذلك المعاهد الإسلامية؛ «لأنها مؤسسات الطاغوت وتدخل ضمن إطار مساجد الضرار، فأساتذتها مناققون على الإطلاق

¹ يوسف الكلام: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، ص 251-252.

² عبد الله محمد الغريب، الحميني بين التطرف والاعتدال دراسة في عقائد الشيعة مختصرا من كتاب "وجاء دور المحوس"، ط 1، 1402هـ / 1982م، ص 43.

³ المرجع نفسه، ص 44.

⁴ محمد سرور زين العابدين: الشيعة في لبنان (حركة أمل نموذج)، دار الجابية، لندن، بريطانيا، ط 1، 1433هـ / 2012م، ج 2، ص 57.

بلال ومرتدون لأنهم لا يؤمنون بان هناك كفرا يخرج من الملة، أما العلم المشروع فلا يكون إلا في الشقق التابعة للجماعة، ولا يصح تقرير منهج غير المنهج الذي وضع أصوله وفروعه قائد هذه الجماعة»¹ وبناء على هذا فقد أمرت الجماعة الطلبة المنتسبين إليها من التعامل مع الحكومة والعودة إلى الجامعات؛ «ونذكر أن الجماعة كانت تصدر أوامر لأعضائها بالامتناع التام عن التعامل مع الحكومة إلى درجة أن شكري مصطفى قد أمر أحمد بكري زناتي وحدي أحمد درويش ومحروس حسن من أعضاء الجماعة من الطلبة بترك الدراسة الجامعية، وعندما رفضوا إطاعة أوامره حكم عليهم بالكفر والارتداد لمخالفتهم أمر الأمير الواجب اتباع تعاليمه بدون تردد، وبعد صدور الحكم على هؤلاء الأعضاء قام والد زوجة أحمد بكري والذي كان أحد أفراد الجماعة بالتفريق بين ابنته وبين أحمد بكري»².

وقد حرم هؤلاء كل مظاهر التحضر والمدنية، فهجروا المدن وانعزلوا عن الناس لينجوا بدينهم من الكافرين حسب رأيهم؛ «وبدأ شكري مصطفى في تأسيس هيكل جماعته والتي أصبح عددها بالآلاف بعد فترة من الزمن مستندا على أفكار تكفير كل المجتمع وأن الفرقة التي تتبعه هي الفرقة الوحيدة الناجية من النار. في سبتمبر 1973م يخرج شكري مصطفى وأتباعه إلى المناطق الجبلية والمغارات الموجودة في قرية قرقاص بمحافظة المينا، بعد أن زودوا أنفسهم بالطعام والمؤن والسلاح التي اشتروها من عائد بيع ممتلكاتهم تطبيقا لفكر اعتزال المجتمع بعد تكفيره»³.

ج- التشديد في غير محله:

فالمتطرفون كثيرا ما يشددون في أدق التفاصيل، ويبدون رأيهم في كل سلوك، ويعترضون على كل زلة ولو كانت عن سهو أو جهل، ويغالون في صرامتهم في غير موضعها ومحلها، غير مباليين إن كانت الظروف مواتية لذلك أم لا، وهذا التشدد الذي لا خير فيه يسبب النفور من الدين، ويزيد من الأصوات المعارضة

¹ عبد الرحمن بن معلا اللويحي: الغلو في الدين، ص450.

² ياسر حلمي الشاعر: التاريخ الأسود للجماعة بين يهودية حسن البنا وماسونية الإخوان، إي- كنب، لندن، بريطانيا، ط1، 2014م، ص ص 231-232.

³ ياسر حلمي الشاعر، المرجع نفسه، ص231.

لأحكامه، والرافضة لتطبيق شرائعه، فرى عند بعض فرق النصارى التشديد في مسألة الطلاق، وتحريمه مهما كانت الأسباب والدوافع وراء ذلك، معتبرين أن ما جمعه الله لا يفرقه غيره، وهذا ما جعل الكثير من المسيحيين يثورون على دينهم، ويعتونه بالرجعي.

وكذلك الأمر عند بعض الفرق اليهودية التي حرمت على أتباعها استخدام الإنترنت ومشاهدة التلفاز، ومنعتهم من دراسة التخصصات الأكاديمية التي توفرها الجامعات، وذلك خوفا من التأثير بالآخرين والاندماج بهم.¹

ولا يختلف الأمر كثيرا عند بعض المتشددين المسلمين المعاصرين الذين يعتبرون أي تجديد بدعة، وإن لم يكن فيه ما ينافي ما جاء في التشريع الإسلامي، فيضيقون على أنفسهم وغيرهم في الأمور التي يمكن التيسير فيها؛ «يقفون ضد أي إصلاح في المجتمعات الإسلامية بدعوة أن كل جديد بدعة، وأن كل بدعة ضلالة، وأن كل ضلالة في النار، ويتعدون دائما عن جوهر الموضوع إلى النظر في مجرد الشكليات، ويعملون الهوى في فهم النصوص، ويضيقون على المسلمين حياتهم بتوسيع دائرة الحرام، ويخرجون عن النظام المعهود من إحلال المشايخ، إلى نظام غريب عجيب يجتهدون فيه عند أنفسهم في الفقهيات، ويقلدون في العقائد، ويعظمون غير العلماء، ويحطون من شأن العلماء، ويتصدرون بما لا يزيد عن مائة مسألة لتفسيق الناس وتكفيرهم، والدعوة إلى منابذتهم ومحاربتهم».²

ويعتبر المتشددون أن كل ما لم يقر به الرسول صلى الله عليه وسلم وقام به المسلمون فهو بدعة، فرغ اليدين للدعاء بدعة، ومد اليد للمصافحة بعد الصلاة بدعة.³

¹ أمنية سالم: إسرائيل من الداخل، ص 69.

² علي جمعة: المتشددون منهجهم.... ومناقشة أهم قضاياهم، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1432هـ / 2011م، ص 14.

³ المرجع نفسه، ص 60.

والاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم بدعة؛ «يخالف المتشددون أغلب المسلمين في فرحهم بذكرى ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم، ويهتمونهم أنهم على بدعة ضلالة، على الرغم من احتفال هؤلاء المتشددين بذكرى بعض علمائهم وأئمتهم، وهذه مصيبة أخرى من مصائبهم».¹

و لم يقف تشدد هؤلاء في ديار المسلمين فقط، بل طال البلدان الأخرى، فتشددوا مع مسلمين حديثي العهد بالإسلام، فأنكروا عليهم الجلوس على الكراسي بدل الجلوس على الحصير، ولأنهم لا يجلسون متجهين إلى القبلة، وأنكروا عليهم لبس البنطلونات بدل الجلابيب البيض، والأكل على المناضد بدل الأكل على الأرض.²

فهذه الصرامة لا تجوز مع حديثي العهد بالإسلام، أو حديثي التوبة بل لا بد من معاملتهم بلين وروية، والحديث معهم يكون في الكليات كالتوحيد والإيمان، لتثبيت العقيدة في قلوبهم، فالتخفيف يكون أنجع في إيصال الرسالة والترغيب في الدين، على عكس التشدد؛ «يبالغ كثير من المتطرفين في التشدد في أداء كثير من العبادات، من ذلك على سبيل المثال إنكارهم على الجهر بالنية عند افتتاح الصلاة، وإطالة الانتظار بين الأذان والإقامة بصورة تدعوا إلى الملل وتنفر من العبادة، وإطالة القراءة في الصلاة حتى أوشك الناس أن يهجرُوا الصلاة في مساجدهم، فإن ذهبت تجادلهم في ذلك أجابوك بأنها السنة!!».³ وهذا طبعاً ما لا يتماشى مع دعوة الإسلام إلى التيسير ورفع الحرج.

د- الغلظة في التعامل والحشونة في الأسلوب:

وهذه الغلظة أو الحشونة قد تكون في القول أو في الفعل، حين يفضل المتطرف العنف، وإكراه الآخر على اتباعه، سواء كان ذلك في تعامله مع المخالفين له في الرأي والمذهب، أو المخالفين له في الدين والعقيدة، وقد كان هذا سبباً مباشراً في انتشار الإرهاب في العالم، وبدل فتح المجال للتحوار والنقاش، صار الحل

¹ المرجع السابق، ص 101.

² يوسف القرضاوي : الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص ص 44-45.

³ صلاح الصاوي: "التطرف الديني الرأي الآخر، ص 308.

العسكري أبلغ من كل كلام قد يقال، فظهرت العديد من الحركات الدينية المتطرفة، التي اتخذت من العنف والغلظة سبيلا للتعامل مع الآخر، مدعية أنها تطبق أحكام الدين وتعاليمه، رافضة الآراء التي تدعو إلى سماحة الدين وتجسيد أبعاده الإنسانية.

وتعد الحركة الصهيونية من أشد الحركات اليهودية تطرفا، والتي سعت إلى بناء وطن قومي لليهود بعد قرون عديدة من الشتات، مدعية أنه الحل الوحيد الذي يضمن إيقاف الاضطهاد، الذي يتعرض له بنو إسرائيل حول العالم، والحقيقة أن الصهيونية التي تنذر بتحقيقها لنبوءات التوراة والتلمود في عودة اليهود إلى فلسطين، قد لقيت معارضة من اليهود أنفسهم، الذين رفضوا الهجرة إلى فلسطين، أو الاعتراف بدولة إسرائيل؛ «من ينظر إلى علاقة الدولة الصهيونية بالجماعات اليهودية في العالم، يجد أن خلافات كثيرة تفجرت على مدى وجود هذه الدولة، وهذا يوضح بأن لا الصهيونية بصورة مطلقة تمثل يهود العالم جميعا، ولا يهود العالم يعترفون بإسرائيل ممثلة لهم (...) ونجد من ناحية أخرى، بأن كثيرا من زعماء اليهود وحاحاماتهم في الغرب يهاجمون علنا دولة إسرائيل، وينعتونها بأنها لا تمثلهم وإنهم لا يعترفون بها كونها لا تقوم على النبوءات الدينية الصحيحة، فما زالت هذه الدولة مثلا لا تعرف من هو اليهودي حتى الآن وبعد ستين عاما من قيامها، وهل الدولة يهودية حقا أم أنها تقدم نفسها بهوية إسرائيلية علمانية، وهل هي لأجل الدفاع عن مصالح اليهود بصفة عامة أم أنها تدافع عن مصالحها ونست شعارات تأسيسها، إن مثل تلك التساؤلات لا تأتي من فراغ، كثيرا ما يثيرها زعماء الطوائف اليهودية في العالم حينما لا يجدون غطاء من الدولة الإسرائيلية لهم، الدولة التي تدعي بأن أمن كل يهودي في العالم يهمها وتعد بحمايته»¹.

ومن أشد المعادين للصهيونية من داخل إسرائيل: طائفة "ناطوري كارتا" أو حراس المدينة الذين يرفضون قيام دولة إسرائيل وما يقترفه الصهاينة في حق العرب والفلسطينيين خصوصا، ويقول زعيم "ناطوري

¹ عبد الكريم الحسي: الصهيونية الغرب والمقدس والسياسة، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص ص 485-486.

كارتا" الحاخام "هيرش": «كان من الخطأ الفادح قيام الدولة المصطنعة "إسرائيل" في هذه الأرض المباركة، التي تتسع لليهود والعرب على السواء، ... وليس للصهاينة فقط».¹

هذا وتعتبر هذه الطائفة أن احتلال اليهود لفلسطين اختراق للمواثيق مع الرب، وأن دولة إسرائيل نموذج للغطرسة الآثمة.²

وقد كان تأثير الصهيونية بتعاليم التلمود كبيرا جدا، إذ اتبعت تقسيمه للأمم العالم حين ميز بين صفوة الخلق أو أصحاب الحظوة عند الله، وبين الأمم أو "الجوييم"، وقد بين التلمود أسس التعامل مع غير اليهود، ورد فيه: «إذا خدع يهودي أحدا من الأمم وجاء يهودي آخر واختلس من الأممي بعض ما عنده بنقص الكيل أو زيادة الثمن، فعلى اليهوديين أن يقتسما الغنيمة التي أرسلها إليهما يهواه».³ ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه ليس كل اليهود اليوم يؤمنون بالتلمود ويطبقون تعاليمه، بل إن «بعضا من طوائف اليهود، ومنهم الصدوقيون، لا يؤمنون بالأقوال الشفوية المتوارثة الموحاه، وبالتالي فهم لا يقرون بالتلمود»⁴، كما كان لما وُضع من بروتوكولات حكماء صهيون بالغ الأثر في زيادة خشونة التعامل مع الآخر، إذ رسمت لهم الطريق الذي لا بد أن يسلكوه لتحقيق نبوءات التوراة والتلمود حسب زعمهم، وذلك باتخاذ العنف والإرهاب وسيلة لبلوغ غاياتهم المنشودة، وقد ورد في بروتوكولاتهم ما نصه: «يجب أن يلاحظ أن ذوي الطبائع الفاسدة من الناس أكثر عددا من ذوي الطبائع النبيلة. وإذن فخير النتائج في حكم العالم ما ينتزع بالعنف والإرهاب، لا بالمناقشات الأكاديمية».⁵ وهذا تماما ما يفسر همجية هؤلاء وتعطشهم للدماء، وعداءهم لكل من يخالفهم أو يقف عقبة في طريقهم.

¹ ردينة عبد المجيد: سياسة إسرائيل التعليمية تجاه العرب في فلسطين المحتلة، دار المأمون للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 1432هـ / 2012م، ص41.

² باسل يوسف النيرب: المرأة في إسرائيل، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1427هـ / 2006م، ص ص 47-48.

³ عباس محمود العقاد: الصهيونية العالمية، دار المعارف، مصر، د ط، د ت، ص 44.

⁴ إبراهيم الحارثي: الصهيونية من بابل إلى بوش، دار البشير للثقافة والعلوم، دب، دط، دت، ص76.

⁵ محمد خليفة التونسي: الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط4، د ت، ص111.

ليس اليهود وحدهم من اتبعوا الغلظة والحشونة في التعامل مع الآخر، بل ظهر الأسلوب ذاته مع الكثير من المتطرفين النصارى، الذين فضلوا العنف والتهديد ليكون أداتهم في فرض الدين المسيحي على شعوب العالم، فكانت البداية باضطهاد اليهود، ثم الحملات الصليبية في الشرق الأوسط، وبعدها الحركة الاستعمارية الواسعة التي شنتها إلى أبعد مدى، فاستغلت قوتها لتكره الآخرين على اعتناق المسيحية، والتاريخ يشهد على تطرف هؤلاء وسوء معاملتهم للشعوب المستعمرة، والإهانات التي كانوا يتلقونها بسبب اختلاف عقائدهم، هذا ولا زالت الأقليات الدينية في المجتمعات المسيحية تعاني من تطرف المسحيين، وسوء معاملتهم؛ «كما أن في فرنسا عداوة قديمة ضد المسلمين تعود جذورها إلى أيام الحروب الصليبية، وتظهر هذه العداوة في الاعتداءات المتكررة على المسلمين المغاربة التي يذهب ضحيتها عشرات القتلى كل شهر وكذلك في تصرف الحكومة الفرنسية مع المسلمين لتدخلها في شؤونهم الدينية رغم تعارض ذلك مع القانون الفرنسي».¹

وقد وجد هذا الأسلوب في الدعوة طريقه إلى العالم الإسلامي، حين غاب الرفق في التعامل مع المسلمين وغير المسلمين، وصار العنف هو الحل لمواجهة الخلاف، فظهرت الكثير من الحركات الجهادية المتطرفة التي ابتعدت كل البعد عن سماحة الإسلام، ووسطيته، ومرونته، لتغرق في شلال من دماء الأبرياء الذين قتلوا بغير وجه حق.

وقد اتبعت أغلب هذه الحركات الفكر الوهابي التكفيري الذي اتسم بالتشدد والانحراف ومخالفة ما ذهب إليه علماء السنة، وتكفير غالبية المسلمين، والدعوة إلى استخدام العنف، في سبيل نشر هذا الفكر وإقراره،² ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذا الفكر في بداياته لم يلتفت لمسألة الجهاد ضد الكفار وأعداء المسلمين وتحرير ديارهم من الاستعمار، بل اهتم أساساً بتكفير المسلمين المخالفين وجهادهم، والدعوة إلى سفك دماء أبناء الجزيرة

¹ علي بن المنتصر: المسلمون في أوروبا وأمريكا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص 207.

² الموسوعة الإسلامية العامة: ص1464.

العربية¹؛ «تغير وجه العالم الإسلامي، فلم يعد هناك جهاد ضد المستعمرين من أجل استقلال البلدان؛ بل انتشر الفكر الوهابي الذي يدعو إلى قتل الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال من المسلمين وغير المسلمين، فالكثير من الحوادث في الجزائر من قتل أطفال و زوجات ضباط الجيش، أو في مصر من قتل السياح أو في اليمن من اختطاف وقتل الأجانب، أو في باكستان وأفغانستان من قتل الكثير من المسلمين وبالذات فكر الفرقة الوهابية السلفية التكفيرية التي من شأنها الاستهانة بجرمة النفس البشرية وتهوين قتل الإنسان بسبب سهولة الإفتاء بإباحة دمه بحجج واهية»²، وفي ظل انتشار هذه الأفكار المتطرفة ظهرت في العالم الإسلامي حركات إسلامية تدعي تطبيقها للتشريع الإسلامي، فظهرت "طالبان" في "أفغانستان"، لترتكب أبشع الجرائم في حق المدنيين رجالاً، ونساءً، وأطفالاً، وشيوخاً؛ «كانت حركة طالبان قد تأسست من طلاب المدارس الدينية في باكستان، وجلهم من اللاجئين الأفغان وقد جمعهم الملا محمد عمر عندما عمت الفوضى جنوب البلد، واستطاعت الحركة أن تحقق الأمن وتوسع نفوذها، وتوجهت إل كابول حتى نجحت في السيطرة عليه، فأصبح 80 % من البلاد تحت سيطرة الحركة»³، وكان هذا بعد انسحاب القوات الروسية من أفغانستان، إذ تحولت العاصمة "كابول" إلى مسرح للعمليات القتالية بين الكثير من الأطياف المتنازعة حول السلطة، إلى أن استطاعت "طالبان" بسط هيمنتها على العاصمة، «ولما تولت حركة طالبان مقاليد السلطة بعد صراع دموي مع الفصائل الأفغانية الأخرى قامت بإصدار تعميم في 17 فبراير 1996 بعد دخولها كابول بحوالي شهرين لتطلع الشعب على المحظورات على رأسها منع الفتنة وسفور النساء وحظر الموسيقى، ومنع حلق اللحى، وأداء الصلوات في المساجد، ومنع تربية الحمام أو اللعب بالطيور»⁴.

¹ سعود بن عبد الرحمن السبعاني: الوصاية دين سعودي جديد كشف المستور في تاريخ نجد المبتور، شمس للنشر والإعلام، د ب، ط2، 2013م، ص ص 65،63.

² عبد الرحمن البكري: داعش ومستقبل العالم بين الوضع السياسي والحديث النبوي الشريف، دار الغرباء للنشر، ألمانيا، د ط، 2014م، ص 69.

³ أحمد البرصان: أزمة العلاقات الباكستانية الأمريكية والحرب بالوكالة، مجلة دراسات شرق أوسطية، مصر، مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن، العدد 16، صيف 2012، ص 71.

⁴ فرغلي تسن: هذا هو الإرهاب، دار روابط للنشر، دار الشقري للنشر، د ب، د ط، 2018م، ص 146.

لم تعر هذه الحركة ولا قادتها اهتماما أو حرمة لأرواح الناس، وسلكوا طريق التشدد والغلظة في التعامل مع الأفغانيين وغير الأفغانيين رجالا ونساء؛ «كما إن قيادات الطالبان كانوا مغرورين ومعاندين أيضا، وأخطأوا في تقييم قوتهم بعد حادثة الحادي عشر من أيلول، وإلى ذلك فإن هذه القيادات لم تعر أية أهمية لأرواح الناس بل حتى لأرواح أتباعهم في الحركة».¹

ومن التنظيمات الإسلامية كذلك التي تتخذ من الغلظة والحشونة منهجا لها، والتي ظهرت في السنوات الأخيرة معلنة عن تبنيها، وتطبيقها للتشريع الإسلامي تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"؛ «تنظيم الدولة؛ الذي يعرف اختصارا بداعش (...) وهو تنظيم مسلح إرهابي يدعي أنه يتبنى الفكر السلفي الجهادي (التكفيري) ويدعي المنضمون إليه أنه يهدف إلى إعادة ما يسموه "الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة" يتخذ من العراق وسوريا مسرحا لعملياته وجرائمه».²

والعالم اليوم وخاصة العالم العربي يعيش في قلق وخوف حقيقيين، إزاء ما يقوم به الدواعش من قتل، وترهيب، وذبح للأبرياء، وإلى جانب ما يسببه هؤلاء من إجرام وإرهاب فإنهم كذلك يتسببون في تشويه صورة الإسلام، وإصااق التهمة به وكأنه المحرض لمثل هذه الأفعال، ومع إصرار هؤلاء على ادعاءاتهم بتطبيق التشريع الإسلامي، فأكد أن الإسلام سيكون المدان الوحيد في نظر غير المسلمين، والجاهلين بجوهره عموما؛ «المسألتان الأبرز في معضلة فهم تنظيم الدولة هي توحشه من جهة، وقدرته على السيطرة والتوسع على الأرض من جهة أخرى، ومن المؤكد أن لانضمام العديد من الضباط البعثيين إلى تنظيم الدولة تأثيرا مهما في هاتين المسألتين، بدءا من مرحلة أبي عمر البغدادي ثم أبي بكر البغدادي، تعود بدايات التوحش إلى الزرقاوي

¹ محمد سرفراز: حركة طالبان من النشوء إلى السقوط، دار الميزان، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/ 2008م، ص255.

² صابر سعيد بقور: داعش برؤية الجزيرة عبر الفيسبوك الخطاب وأنماط الوعي الجماهيري، دار الخليج للصحافة والنشر، عمان، الأردن، د ط، ص116.

الذي حذره الظواهري في الرسالة المنسوبة إليه في 2005 من "مشاهد الذبح"؛ لخطورتها (...) ويرجع تشريع

"الغلظة والشدة" إلى شخصين رئيسيين هما: أبو عبد الله المهاجر (عبد الرحمن العلي) وأبو بكر ناجي.¹

وبعض التنظيمات بدأت كحركات دينية اجتماعية تحارب ما تعتبره شركا وبدعا، إلا أنها تحولت إلى تنظيمات سياسية تولدت عنها تنظيمات سرية مسلحة، صارت تنشر الرعب، وتهمد الأمن، والاستقرار، وهذا تماما ما كان من أمر "بوكو حرام" ونشأتها في نيجيريا، وبسبب ما ارتكبه هذا التنظيم هو الآخر من وحشية وعنف، فقد اتفق جل المسلمين على تجريمه، وتبرئة الإسلام من أفعاله؛ «لكن معظم المسلمين يعتبرون جماعة بوكو حرام جماعة إرهابية ويدركون أن تطرف الجماعة زاد بعد أن هدمت الحكومة النيجيرية مسجد الجماعة وقتلت مؤسسها».² وللأسف فقد انتشرت هذه التنظيمات الإرهابية المتطرفة في العالم الإسلامي، ولقيت إقبالا جد معتبر من طرف الشباب المسلم، الذين غرر بهم؛ لجهلهم وقلة، وعيهم، وقصور فهمهم لجوهر الدين وتعاليمه الصحيحة.

هـ - سوء الظن بالناس والسقوط في هاوية التكفير:

وفي هذا المقام سوف نسلط الضوء على ظاهرة التكفير، وسوء الظن بالآخرين في العالم الإسلامي؛ وهذا لما عرفه المسلمون في السنوات الأخيرة من تفشي هذه الظاهرة، وتزايد انتشارها، وتفاقم أثارها السلبية، إذ ظهرت العديد من الأصوات التي اتخذت سوء الظن بالآخرين في أقوالهم وأفعالهم منهجا لها، وصار هؤلاء يسقطون عصمة غيرهم، ويستبيحون دماءهم، ولا يرون لهم حرمة ولا ذمة³، وذلك لأدنى خطأ وأصغر زلة، وأحيانا مجرد مسايرتهم لظروف العصر، فيتهمون بالخروج عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويكفرون ليصير مقامهم من مقام من لا ملة له، هذا وقد طال التكفير العام والخاص من الأمة، فتجد أن عامة الناس ممن لا يفقه في الدين غير اسمه، قد صار عالما يُكفّر من أراد، ويُيقى على الدين من أحب، بغير علم ولا دراية،

¹ صلاح عبد الحميد: تنظيم داعش وإدارة الوحشية، أطلس للنشر والتوزيع والإنتاج الإعلامي، مصر، ط2015، م1، ص22.

² محمد عبد الكريم: بوكو حرام من الجماعة إلى الولاية أزمة التطرف والفساد في أفريقيا، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2017م، ص54.

³ يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص53.

وكذلك الأمر عند خاصة الخاصة من العلماء، الذين صاروا يُكفّرون بعضهم البعض، ويسبّون الظن بمجرد خلاف في الفتوى أو في التفسير، وقد انتقل الأمر إلى الشباب الذين تحمسوا لدينهم، فغلوا وتطرفوا، حتى أنهم كفّروا مجتمعاتهم دون دليل أو بينة، واتخذوا موقفا عدائيا من أهاليهم ومجتمعاتهم؛ «بعد المقدمات التي ساقها الشباب من كفر الحكام إلى كفر المحكومين، انتقلوا لتحديد موقفهم من مجتمعاتهم التي دمجوها بالكفر، لذلك لن يكون غريبا أن توصلوا إلى وجوب اعتزالها وتحطيمها فلا صلاة مع أفرادها ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر، ولا مشاركة في انتخابات». ¹ هكذا وبدل أن تُستغل طاقات الشباب فيما يصلح أحوال الأمة، ويرتقي بها لتواكب غيرها من الأمم، صارت تُستغل في سفك دماء المسلمين، وتهديد أمنهم وسلامتهم، فظهرت العديد من الجماعات الإسلامية المتطرفة، التي تزعم تطبيق التشريع الإسلامي، وتنظيف أرض الله مما يدنسها من المعصية والكفر، فكان أول ما بدر من هؤلاء تكفيرهم لمن لم يرض بتطرفهم، وهمجيتهم، وسوء فهمهم للدين، فأباحوا دماء معارضيتهم، وحرصوا على الإرهاب والقتل؛ «إن هذا الغلو الذي انتهى بهؤلاء الشباب المخلصين الغيورين على دينهم إلى تكفير من خالفهم من المسلمين واستباحة دمهم وأموالهم، هو نفسه الذي انتهى بالخوارج قديما إلى مثل ذلك وأكثر منه، حتى إنهم استحلوا دم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وهو من هو، قرابة من الرسول صلى الله عليه وسلم، وسابقة في الإسلام، وجهادا في سبيله». ²

وقد صارت هذه الظاهرة وما رافقها من عنف وإرهاب سببا في تشويه صورة الإسلام عند غير المسلمين، وتبعاً لذلك وجهت أصابع الاتهام نحوه كمسؤول مباشر عن أي عمل إرهابي يحدث في العالم، وهذا نتيجة لتطرف هذه الجماعات في تطبيق التعاليم الإسلامية، وانحرافها عن المقاصد الحقيقية للتشريع الإسلامي، وهذا ما «يشكل أكبر خطر على الإسلام لأنه يلصق به ما ليس منه، وينفر منه ويقدم صورة مشوهة ورهيبة

¹ نعمان عبد الرزاق السامرائي: التكفير جذوره، أسبابه، مبرراته، المنارة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ/1986م، ص169.

² يوسف القرضاوي: ظاهرة الغلو في التكفير، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط3، 1411هـ/1990م، ص11.

للناس، ويجلب على الإسلام والمسلمين الويلات، ويضعف من أزماته، خاصة ونحن في وقت نحتاج فيه إلى الإسلام إلى تعزيز وجوده وبسط رحمته للعالمين».¹

المبحث الخامس: معالجة التطرف الديني من منظور إسلامي.

أي حديث عن التطرف الديني، ومحاولة وضع حلول لهذه الأزمة، لا بد أن يخلق الكثير من الجدل ويسيل الكثير من الحبر، وهذا بسبب اتساع دائرة التأثير والتأثر بالتطرف الديني، وانتشاره وتفشيه ليصير ظاهرة عالمية، تحمل الكثير من الأبعاد. ثم إن دراسة التطرف من جانب واحد لن يكون ذا فائدة إطلاقاً، فالمشكلة ليست دينية أو فكرية فحسب، بل تحمل بعداً اجتماعياً وسياسياً، وبعداً نفسياً كذلك، فلا بد من دراسة هذه الظاهرة من جميع أبعادها، لتكون الصورة واضحة. وليس هذا الأمر وحده ما يزيد صعوبة إيجاد حلول للتطرف الديني، إذ أن المشكلة تكمن في تقبل الفرد أو الجماعة حقيقة غلوها، وتطرفها، وابتعادها عن الوسطية والاعتدال، ومن جهة أخرى اختلاف وجهات النظر حول أوصاف هذه الوسطية في حد ذاتها، وتحديد معايير للأفراد السويين وغير السويين، وأكد أن هذه الآراء لن تتفق ما دامت تنتمي إلى أوساط تختلف في معتقداتها، وانتماءاتها الفكرية، والثقافية، والاجتماعية. ثم إن الخلط بين مظاهر العبادة والالتزام بالعقيدة، وبين مظاهر التطرف الديني يطرح إشكالا كبيرا أمام وضع حلول حقيقية بعيدة هي الأخرى عن التطرف.

ولأن لكل أمة خصوصياتها، ولكل مجتمع نظريته الخاصة للمشكلات التي يواجهها، وطرقه كذلك التي يزن بها الأمور ويحلها، فسوف نجد هنا أن الطرق والسبل لحل مشكلة التطرف الديني تختلف بين المسلمين وغيرهم، إذ يرى الكثير من الدارسين الغربيين أن الحل للحد من التطرف الديني هو إقصاء الأصوليات، وإعادة النظر في

¹ عبد المجيد عمر النجار وآخرون: ظاهرة التطرف والعنف من مواجهة الآثار إلى معالجة الأسباب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، ط1، 1436هـ/ 2015م، ص97.

المعتقدات، التي تدعي امتلاك حقيقة كلية لحل كل المشاكل وفرض حلها، «ومن الآن فصاعداً، لا يمكن حل أية مشكلة في إطار أمة واحدة، أو انطلاقا من آراء جماعة دينية أو روحية واحدة. وعلى هذا النحو، يتحتم أن تدان القوميات - جميع القوميات -، والتكتلات - كل التكتلات -، الغربية الشرقية أو الأوروبية، والأصوليات - كل الأصوليات -، التي تدعي تقديم حل سحري لكل الأمراض وتنفي كل مقارنة أخرى غير مقاربتها».¹

وهذا ما يتبناه التيار العلماني؛ الذي يرى أن العطب والخلل في العالم، وكل ما يدور فيه من صراعات وحروب، هو الدين والمعتقد، وما يغرسه في عقول البشر من افتخار بالذات، وعنصرية، وكره الآخر.

وما يعاب على أتباع هذا التوجه - وخاصة في العالم الإسلامي - أنهم حملوا الدين كل المسؤولية، دون اعتبار لحقيقة أن العلة ليست في الدين، بل في فهم الدين، وسوء إدراك مقاصده، وإن كان الغرب قد سلم ببطلان دينه، وأقام الحججة على ما يتضمنه من عنصرية ونبد الآخر، وأقر بنهاية صلاحيته في عصرنا هذا، فإن الأمر مختلف جدا بالنسبة للدين الإسلامي والأمة الإسلامية، إذ أن إقصاء الدين يعني مواجهة التطرف بتطرف آخر أكثر منه خطورة، وكما نعيب على المتطرفين تشددهم في الدين، وانحرافهم عن الوسطية، كذلك لا بد أن نعيب على المنادين بإلغائه، وتقزيم الحاجة إليه وحصرها في الجانب التعبدي، ولا بد هنا من الإشارة إلى أن السبب الحقيقي وراء الصراعات البشرية هي انحرافهم عن الحق، واتباعهم للأهواء، وانجرارهم وراء أنانيتهم وحبهم للذات، والتاريخ شاهد على أن القوانين الموضوعية من البشر لا يمكن أن تحقق العدل والمساواة، بسبب تأثيرها برغبات الإنسان وسوء تقديره للأمور، ومن هنا كانت الحاجة إلى قانون وتشريع آخر يضمن لكل حقوقهم دون تمييز أو ظلم، وهذا ما يضمنه التشريع الإلهي، وما يعتقد أنه أغلب المسلمين والعلماء في العالم الإسلامي كحل لأزمة التطرف الديني هو العودة للدين الإسلامي، وضرورة التعمق في فهم مقاصده الحقيقية وجوهره دون غلو أو تزمت؛ «إننا بحاجة ماسة إلى الفكر الإسلامي السليم القائم على فهم روح الإسلام وغاياته وقواعده الكلية، ومراتب أحكامه من خلال مصدرية العظميين: الكتاب الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما نحتاج إلى دراسة سبل السلف الصالح في تعامله مع هذه المصادر خلال القرون الخيرة وأساليب فهمهم لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لنتمكن من إعادة طرح التصورات والحلول الإسلامية لما تعاني منه الأمة»²

بالنسبة لنظرة الآخرين إلى الدين على أنه رجعي ويدعو إلى التخلف، وكبح عجلة التحضر وروح

العصرنة، وكذلك أولئك المتشددون الذين يرون إن إتباع الدين الحق يعني العودة إلى الوراء، واتباع السلف

¹ روجيه غارودي: الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، ص 131.

² طه حابر فياض العلواني: أدب الاختلاف في الإسلام، ص 158.

وأموالهم؛ «الغلو ظلم للنفس وظلم للناس، بل هو صد عن سبيل الله كما يورثه من تشويه وفتنة وتنفير، الغلاة يتعصبون لجماعتهم، ويجعلونها مصدر الحق، ويغلون في قادتهم ورؤسائهم، ويتبرؤون من مجتمعات المسلمين».¹

ولموجهة ظاهرة التطرف الديني، وإعادة بناء ما خلفته نار الفتنة، والتعصب والطائفية، لا بد من إعادة بعث روح الوحدة والأخوة بين المسلمين، وإعادة توجيه هذه الروح بما يخدم مصلحة الأمة، ويخرجها من الأزمات التي تمر بها تباعاً؛ «فالأخوة في هذا المنعطف ينبغي ألا تظل في اللاشعور، بل يجب أن تأخذ مكانها في تطور يحقق نتائج ملموسة».²

وهذا لا يتأتى إلا بتوعية الشباب، وهئية الطريق أمامه للحوار، ومناقشة مسائل الشريعة، وإيضاح ما يلزم إيضاحه، ولا بد كذلك من أن يدرك الشباب أنه من الخطورة الأخذ من مصادر وكتب الشريعة على كثرتها دون استعداد مسبق، وتزود بالأدوات التي فصل فيها أهل الاختصاص، وإذ أن هذا النوع من المعارف لا يمكن تحصيله من كتاب واحد أو كتابين، بل لا بد من دراسة متعمقة، ومنهجية متقنة.³

«إن الأخوة في الله ووحدة القلوب بين المسلمين تحتل المراتب الأولى للواجبات، بل هي في مقدمتها لأنها شقيقة التوحيد وقرينته، كما أن هناك مراتب للمنهيات يقع النيل من الأخوة في مقدمتها كذلك، ولذلك فإن علماء السلف كثيراً ما يفعلون المفضول ويتركون الأفضل منه مراعاة للائتلاف وخروجاً من الخلاف، وقد يتركون المندوب، في نظرهم، ويفعلون الجائر تحقيقاً لذلك».⁴

فليس من المعقول أن يكون الاختلاف في الاجتهاد، سبباً في تشتت هذه الأمة وتفككها، وليس من المعقول كذلك أن تعود هذه الأمة بعد أن رأت النور إلى جاهليتها الأولى وتعصبها، فيصير التطرف صفة لصيقة بها، خصوصاً ما نشاهده في وسائل الإعلام من اتهامات متكررة للمسلمين بالتخلف، والتطرف، والتشدد، ولحو هذه الصورة المغلوطة لا بد من العودة إلى وسطية الإسلام، والإدراك الفعلي لحقيقة اختلاف الآخر وتقبلها.

¹ صالح بن عبد الله بن حميد: الغلو والإرهاب، سلسلة توجيهات من الحرمين الشريفين قضايا الأمن الفكري من منبر الحرم المكي، دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1436هـ / 2015م، ص29.

² مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي (المسألة اليهودية)، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1433هـ / 2012م، ج2، ص145.

³ طه جابر رياض العلواني: أدب الاختلاف، ص ص 159-160.

⁴ طه جابر العلواني: المرجع السابق، ص ص 163-164.

الفصل الثاني:

حضور التطرف الديني في رواية فنران

أمي حصة

المبحث الأول: مظاهر التطرف الديني وآثاره في ضوء الرواية.

تسلط رواية "فئران أمي حصّة" الضوء على بعض مظاهر التطرف الديني في المجتمع الكويتي، معبرة بذلك عن أزمة استفحلت في "الكويت" والعالم العربي عموماً، إذ صار من الضروري دق ناقوس الخطر، والاهتمام أكثر بتشريح هذه الظاهرة، وعرض ما يمكن أن تسببه من طائفية وإرهاب ديني، من شأنه أن يفتك بالبلاد وأهلها. وقد نقلت الرواية جانباً من أهم الأحداث الواقعة منذ 1985م، وأحداث أخرى متخيلة حتى سنة 2020م، وهي الأحداث التي تنبأ "سعود السنعوسي" بوقوعها، مشيراً إلى النتيجة الحتمية التي يمكن أن تؤول إليها الأوضاع، إذا لم يتم تدارك الأزمة ومنع تفشيها.

لم يكن التطرف الديني متأصلاً في المجتمع الكويتي قبل تلك الحادثة (حادثة تفجيرات المقاهي الشعبية سنة 1985)، فقد عرف الكويتيون قبل حادثة "المقاهي الشعبية" تمازجاً في الثقافات، والمذاهب، والمعتقدات الدينية، وكانت "الكويت" قبلة الكثير من المصريين، والسوريين، والفلسطينيين الذين استقروا بها، بعد الأحداث التي عرفتها البلاد من احتلال واضطهاد إسرائيلي.

كل ما كان قبل تفجيرات المقاهي الشعبية تغيير؛ نظرة الناس إلى بعضهم، وعلاقاتهم التي بنوها على التفاهم، واحترام الاختلاف، ومساندة بعضهم، دون اعتبار لهوية الدين أو العرق، كل ذلك اهتز بعد التفجيرات، حتى الإحساس بالأمان؛ «كانت والدتي قد تغيرت، لم تعد كما يصفها والدي مناكفاً» ناظرة في المدرسة وفي البيت "صارت قلقة، تنتفض كلما ارتطم باب الحوش الحديدي بفعل الريح، وتردد دويه في الشارع، تصرخ إذا ما أطلق صببية الحي ألعايم النارية، احتفالاً بفوز فريق كرة القدم، أو لسبب آخر، أو لغير سبب، تتسمر أمام التلفزيون لساعات، تترقب نشرة الأخبار، تتصل بوالدي عشرات المرات في اليوم الواحد.

تقضم أظافرها، تغمغم، تمسح دموعها خلسة. هذا هو ما صارت عليه والدتي، منذ تفجيرات المقاهي الشعبية عام 1985م»¹.

لم تقتصر الرواية في سردها على مظاهر الخوف والقلق والترقب الذي ساد بين الكويتيين بعد الحادثة، والحوادث الأخرى التي تبعتها، بل عرجت كذلك على ما خلفته التفجيرات من أرامل وأيتام ومنكوبين، فإن كان الحادث عند البعض مجرد سبق إعلامي ينتهي لحظة عرضه، فإنه عند المفجوعين بداية معاناة لا نهاية لها؛ «كان من بين ضحايا التفجيرات جارنا المسن. خرج من بينه ولم يعد، تقول والدتي التي بكته كثيرا طيلة أسبوع: مات المسكين... ترملت حصة، مرضت ابنتها»².

بعض الأحداث التي تمر بالإنسان لا يمكن نسيانها أو تناسيها، بل تبقى عالقة في الذاكرة، تُثار كلما وجدت محرضا لذلك. وفاجعة مثل حادثة "المقاهي الشعبية" قد تركت هي الأخرى أثرها في الشارع الكويتي والمجتمع عموما، ولم تكن ما حصده الحادثة من أرواح الحصيصة الوحيدة، بل كانت أكبر من ذلك، إذ أيقظت براكين كانت خامدة منذ سنوات، وأشعلت نارا من الحقد والكراهة لم تكن معروفة في السابق، أو ربما كانت قابعة في القلوب لكنها لم ترى النور إلا بعد الحادثة، فأثرت في العلاقة بين السنين والشيعيين الذين كانوا قبل ذلك شعبا واحدا، متآلفين فيما بينهم، لا يكن الواحد منهم للآخر البغض أو الكراهة أو الحقد، الكل يدرك ما له وما عليه اتجاه من يخالفه، دون تجريح أو تكفير. لكن الأمر الآن قد تغير لينحو منحى آخر زاد تعقيدا، فتصاعدت أصوات المتطرفين هنا وهناك، لتصنع مشهدا مغايرا تعالت فيه الاتهامات وزادت التجاوزات، وتحول التفاهم الذي ساد قبلا إلى صراع وخلاف حقيقي؛ «عمي صالح أصبح كائنا آخر بعد فجيعة بفقدان والده في تفجيرات المقاهي الشعبية قبل ثلاث سنوات. بعد سنوات سوف أعرف أقوالا تضاربت حول منفذها، قيل

¹ سعود السنوسي: فئران أمي حصة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط3، 1436هـ/2015م، ص11.

² مصدر سابق، ص11.

أثما من تدبير جماعات موالية لإيران انتقاما من موقف الكويت المساند للعراق في حرب الخليج الأولى. إيران تمثل طائفة. العراق تمثل طائفة ضد».¹

"عمي صالح" ليس الوحيد الذي تغير بعد الحادثة، بل يمثل أولئك الذين صاروا ينظرون إلى الشيعيين نظرة عدائية لم تُعَرَّ اهتماما للجو الذي كان سائدا، وكأن تلك الأحداث قد محت من الذاكرة سنوات كان يعيشها السنيون والشيعية دون اعتبار للاختلاف بينهم، بل كان حزنهم، وفرحهم، وحتى نصرهم واحدا، أيام عاشوها معا وهم ينصرون "الخميني"، ويدعون له بالتوفيق والسداد، والنصر على الأعداء، دون اكتراث إن كان شيعيا أم سنيا، المهم أنه مسلم يدافع عن الإسلام، ويحارب الكفار؛ «تحدثك عن زمن قيام العجم على شاه إيران، حمل صالح صورة الإمام الخميني، يحدث والديه عن رجل عاد من منفاه من أجل ثورة إسلامية... "أنا وأبوه، يا عون الله، ما نفهم شيئا من قوله عدا ثورة إسلامية.. حياها الله! من يعاف الإسلام؟ الإسلام زين».²

وهكذا كان الخميني" الذي أطلق عليه أتباعه "روح الله"، يمثل أملا للعالم الإسلامي الذي كان يود استرجاع كرامة ومكانة المسلمين، فاستطاع أن يستعطف قلوبهم، بعد أن أداع أن ثورته هي ثورة ضد أعداء الإسلام، الذين يريدون كسر شوكته، ويستوردون أنظمة غريبة للحكم في إيران، ثم زادت شعبيته خصوصا بعد نفيه من بلاده ليصير بطلا قوميا في نظر الكثير، بعد ما أظهره من دفاع عن القضية الفلسطينية، وعداء لأمريكا وإسرائيل، لكن أحداثا مثل "حادثة المقاهي الشعبية"، وانتفاضة محرم، سرعان ما أظهرت المساعي الإيرانية، وكشفت عن رغبة "الخميني" ونظامه في استهداف السنة، والعمل على نشر التشيع في العالم الإسلامي، باعتباره الإسلام الصحيح؛ «قامت ثورتهم أزال صالح كل الصور عن جدرانه وقت حرب

¹: المصدر نفسه، ص72.

² مصدر سابق، ص199.

العراقيين والإيرانيين. علق صورة صدام حسين. لا أدري ما الذي أصاب أولادنا. من يومها صار واحدهم يحسب الله في صفه ضد الآخر.. ما كنا نعرف شيئا من هذا والله.. فتنة.. فتنة»¹.

ليس كل المتطرفين واعون بحقيقة وضعهم، أو جماعتهم التي يتعصبون لها، فالكثير منهم خُدعوا، إذ استطاعت أطراف معينة أن تؤثر في عقولهم، وتستميلهم إلى صفها بعد أن سوقت شعاراتها البراقة، وادعاءاتها الكاذبة، خاصة تلك التي تنادي بثورة إسلامية تعيد للإسلام أجماده ومكانته بين الأمم، وأمثال هؤلاء من المتطرفين الجهلة، لا يثبتون على موقف واحد، وإنما يتحولون ويتلونون حسب المستجدات، بعضهم يدرك حقيقة الوضع فيعود إلى جادة الصواب، وفريق آخر يشبه السفينة التي تعبت بها الرياح في كل الاتجاهات، تسيّرهم الأحداث؛ فمرة يكونون مع ومرة ضد؛ «أما صالح، ربي يصلح حاله، كل يوم شكل معاهم معاهم، عليهم عليهم! مرة يقصر دشداشته، مرة يلبس مثل الإنكليز يجب تعليق الصور. مرة جمال عبد الناصر ومرة الكافر أبو لحية منتوفة»².

تحتاج العلاقات لكي تتوطد بين البشر مدة طويلة من الزمن، تخضع في بدايتها لمرحلة اختبار وانتقاء لأشخاص يمكن الوثوق بهم، والتعامل معهم لأمد بعيد. وعلاقات الحوار تمر بشيء كهذا تبدأ بتحية وتتطور لتصبح في غالبيتها علاقات شبه أسرية، مبنية على الاحترام والحب والامتنان.

إلا أن هذه العلاقات ورغم ما تبلغه من قوة وترابط قد تهدم وتدمر بين ليلة وضحاها، فتستوطن الكراهية والعداوة القلوب، لتصبح علاقات جافة؛ لا قرابة فيها ولا مودة، فبعد أن يصير الغريب قريبا تنكسر العلاقة ليعود غريبا مرة أخرى، وكأن شيئا لم يكن؛ «وجدت صادقا وراء باب الحوش يحمل قدري طعام من الذي تعده أمي زينب كل عام في ذكرى أيام مقتل الحسين، ناولني صادق الطعام: "امسك بسرعة" أجبته: "هذا وايد!" نظر باتجاه بيت آل بن يعقوب، برر بأن أمي زينب أرسلته يحمل الطعام. قدر لنا وآخر لبيت عمي

¹ المصدر نفسه، ص 199.

² مصدر سابق، ص ص 198-199.

صالح ولكن عمي عباس أسر إليه قبل خروجه بأن يكتفي بإيصال الطعام إلى بيتنا متجاوزا بيت جاره اللصيق.

سألته عن رغبة أمي زينب فاطعني: "أعصي أبوي؟! ثم راح يؤكد أن أبا فهد لا يأكل من طعامهم".¹

بعد الأحداث التي مرت بالكويت منذ حادثة "المقاهي الشعبية"، وما تعرضت له من حوادث اغتيال واحتلال العراق لها، تغيرت العلاقات بين الكويتيين عموما فبعد أن ساد التفاهم، والتعايش السلمي، والترابط بين الأسر الكويتية على اختلاف أطرافها، وانتماءاتها المذهبية، والدينية، لسنين طويلة صارت الآن مليئة بالتوتر والحقد على الآخر، فبينما عاشت أجيال مضت في هدوء وتناغم، حملت أجيال ما بعد 1985م ما لا تطيقه من التعصب، والتطرف، والعدائية، ومع أن الكويتيين لم يتعاملوا من قبل على أساس طائفي، إلا أن الوضع صار متأزما بين السنين والشيعة، فلم يعد أحدهم يزور الآخر، أو يحسن إليه، وما كان بينهم من حسن الجوار تحول إلى عداوة حقيقية، فلا يأكل أحدهم من أكل الآخر، وكأنه صار أكلا محرما، حتى التحية صارت لخاصة الخاصة.

والمدارس هي الأخرى لم تسلم من اجتياح التطرف الديني لها، بل صارت مقرا للمناوشات الكلامية وأحيانا للصراعات التي كثيرا ما تنتهي بكدمات، وجروح متفاوتة؛ سببها في الغالب صراع بين الأطفال السنين والشيعة، حول الصحابة رضي الله عنهم؛ «أجاب الصبي الضخم مريرا بأن صادقا قام بشتمه أولا، قال له: مكانك ليس في المدرسة، مكانك في العميرية في حديقة الحيوان! عاجله الأخصائي بالسؤال لهذا كسرت ذراعه وأسقطت سن صديقه؟! لازم الصبي صمته ارتفع صوت الأخصائي مستنكرا: "علشان حديقة الحيوان؟! أجاب الصبي مطأطئا: "لا" نظر إليه الأخصائي يستفهمه. أوضح الصبي: "أستاذ دسوقي.. الحديقة في منطقة العميرية" نوه إلى أن اسمها ليس كما يلفظونها استهزاء؛ العميرية (...). سأله بنفاد صبر: إذن! بمن كان زميلك يستهزئ؟»² فلم يعد التطرف الديني حكرا على فئة عمرية بعينها، بل طال كل الفئات ليستوطن حتى

¹ المصدر نفسه، ص ص 289-290.

² المصدر السابق، ص ص 27-28.

في عقول الأطفال، وفي سلوكياتهم، وتعاملاتهم مع الطوائف الأخرى، ولم يكن شجار "صادق" مع زميله بالمدرسة إلا عينة من تلك العينات الكثيرة، التي ظهرت فيها ملامح التطرف الديني، بعد أن انتقل التعصب من الكبار إلى الصغار، وبدل أن يتلقى هؤلاء ما يحفز على احترام الآخر، والتزام أدب الاختلاف، صارت تلك العقول الصغيرة مكبا لما يلقى الكبار من تعصب، وغلو، وحقد على الآخر، وبدل أن يندثر التطرف باندثار الجيل الأول، فانه يزداد تأصيلا وعنفا عند انتقاله إلى جيل آخر، وصارت هذه الحوادث المتكررة تثير الكثير من الأسئلة، وتطرح الكثير من الانشغالات، التي تضع الإجابة عنها المرء في مأزق كبير؛ «شبهت إزاء ما رأيت هيتي المتربة وقميصي المفتوح وفمي الدامي، مسحت فمي بظهر كفي لاهنًا: يمه.. إحنا شيعة وإلا سنة»¹.

و الأسئلة لا تأتي من العدم، وإنما تولدها مشيرات تختلف حسب البيئة، والسؤال ليس جهلا كليا، فبعض الأسئلة تؤكد وعي صاحبها، وسعة إدراكه لما حوله. والكويت باختلاف تمازجها الثقافي، وتنوع طوائفها، قد استطاعت أن تخلق هذا الجو الذي يثير الكثير من الجدل، ويوقظ الكثير من التساؤلات والاستفهامات، خاصة إذا تعلق الأمر بالدين.

إن الطائفية التي عرفتها الكويت، والتطرف الديني الذي صار ملازما لها، قد خلق الكثير من التوتر وعكر صفو حياة الكويتيين صغارهم قبل كبيرهم، حين صار الكل يبحث عن هويته إن كان سنيا أو شيعيا، بعد أن كانت الهوية واحدة وهي الإسلام.

والقضية ليست قضية اختيار، بل هي أبعد من ذلك بكثير، فالفرق بين الفرقتين ليس في الاسم والعدد، بقدر ما هو خلاف حول الإسلام نفسه، والإجابة عن سؤال كهذا، تشبه كثيرا تلك الإجابات الفلسفية التي تفتح المجال لأسئلة أخرى أكثر تعقيدا، وأكثر عمقا، فإن أخبروك أنك سني أو شيعي فإنك بالضرورة ستسأل عن الفرق بينهما، وعن أي الفرقتين أقرب إلى الصواب، أو لنقل أي الفرقتين تمثل الإسلام؟ فإن قيل لك أنك

¹: مصدر سابق ، ص32.

على حق واقتنعت بذلك، فحتمًا سوف تختلف نظرتك للآخر، لأنك ملكت الحقيقة المطلقة، بينما غابت عنه، ولأن الصواب يأبى الخطأ ستختار طريقًا بين الاثنين، وحتى تضمن ثباتك عليه، قد تفكر أن هناك تهديدًا ووجب إبعاده وهكذا تتبلور الفكرة لتصبح قولًا، فإن وجدت أرضية مناسبة صارت فعلاً، ثم صراعًا حقيقيًا.

ربما يكون الكاتب قد تعمد التشويش على الإجابة، فبينما ظهرت شخصيات تمتنع عن الإدلاء برأيها وأخرى تصرح بانتمائها الطائفي، كان بين كل تلك التصريحات صوت خفي آخر، وكأنه يراوغ ليترك رسالة يرغب في تمريرها للقارئ على لسان إحدى الشخصيات حين قالت: « إنت مسلم وبس... ما يكفيك؟! »¹؛ عبارة تشجع على تخيل واقع من غير تطرف أو طائفية، وضع كانت تعيشه أجيال ما قبل 1985م، وحرمت منه الأجيال التي بعدها؛ «تطل أمي زينب وراء باب السور الحديدي على الحوش، بوجهها ذي الخطوط الغائرة وعباءتها وحجابها المحكم على جبينها وذقنها بصورة لا تشبه حجاب أمي حصة. تتجاوز الباب دخولا تحيي فهذا في طريقها (...) تجر أمي حصة خطواتها نحو الباب تستقبل أمي زينب، تقبل جبينها كما لم تفعل قط. نستغرب هذا القدر من الاحترام للجارّة. تلتفت جده فهد نحونا مبررة قبلتها: "واجب نحترم الكبير" ²؛ هي المفارقة إذا بين أجيال سادت بينها الأمية لكن الحياة علمتها، وعودتها على الألفة، واحترام الآخر رغم الاختلاف، وأجيال أخرى ارتادت المدارس لكنها لم تتعلم إلا التعصب، ونبذ الآخر.

والتطرف الديني لا ينحصر فقط على نبذ الآخر، وإظهار الكره له، بل كثيرا ما يتجلى في مظاهر أخرى يسلك فيها المتطرف طريق التشدد والغلو، في مسائل لا تستدعي ذلك أصلا، فيخلق عادات أو بدعا تكتسب مع الوقت قدسية لتزاحم ما كان من المفروض أن يطبق من حدود الله، «رغم صعوبة حركتها تنهد إذا ما

¹: مصدر سابق، ص39.

²: المصدر نفسه، ص116.

رأت نعلا مقلوبة في الحوش أو عند عتبة الباب. تعيدها إلى وضعها الطبيعي، "يمه حصة! ليش؟"، كنت أسألها.

تشير بإصبعها إلى السماء من دون أن تنظر إليها رهبة. تجيب؛ "أستغفر الله"¹.

فالمشكلة ليست في التشديد على النفس وحملها ما لا تطيق فقط، ولكن المشكلة الأكبر في تلك الأفكار التي

تُزرع في العقول، وتجد طريقها إلى النفس فتستقر فيها، لتصبح عقيدة لا يمكن العدول عنها، بل يصير الإنسان

مدافعا، فيجد ألف عذر، وألف حجة لإثباتها، لكن لا يعطي نفسه فرصة واحدة للتفكير في احتمالية كونها

بمجرد بدع، زاد الجهل في تأصيلها، وإطلاق صفة القدسية عليها.

والرواية كذلك لم تهمل ذاك الجانب من التطرف الديني الذي يفرض فيه المتطرف تشدده على غيره، دون

اكتراث إن كان تشدده مقبولا أو مبررا بنص شرعي، أو أنه اجتهاد من النفس لا حجية له، «سوف تتعلق

بذكرياتها القديمة حينما يقف أخوها صالح، بعد سنوات ضد إكمال دراستها عقب المرحلة الثانوية، يجنبها

مخالطة الذكور في الجامعة. نعرفه شديد الغيرة على نساء بيته، كان حلم شقيقته أن تتخرج في الجامعة بمعدل

عال²؛ وقد يتبع المرء مع نفسه أسلوب التشديد لقناعته بأن ذلك يزيد من الخشية، والرهبة، ويقوي الإيمان،

ويبعد النفس عن دائرة الأهواء، واحتمال الوقوع فيها، ورغم أن هذا التشديد لا يجذبه معظم العلماء؛ لما

يسبب من تضيق على النفس، إلا أن ذلك يدخل في حرية الشخص في نفسه، ونظرتة للأمر، ولكن إذا ما

فرض المرء ذلك على غيره فإنه بهذا يصير مغاليا متطرفا مقيدا لحرية الآخرين، لكن هل ينبع هذا التطرف دائما

من الدين؟ وهل يكون الدافع وراءه هو تطبيق الأحكام وعدم تجاوزها؟ أم أن هناك دوافع أخرى وراء سلوك

كهذا؟.

والاجتمعات العربية والخليجية على وجه الخصوص من أكثر المجتمعات تضيقا على المرأة وتشديدا عليها

فالأسرة في هذه المجتمعات بطبيعتها تجعل السلطة المطلقة للرجل مهما كانت صفته أو ففته العمرية، وسواء كان

¹: المصدر نفسه، ص40.

²: مصدر سابق، ص ص 44-45.

زوجا، أو أبا، أو أخوا، فإنه دائما ما يمارس سلطته على المرأة، مهما كانت صفتها هي الأخرى، أو ففتها العمرية فلا يستغرب أن يفرض الابن سلطته على الأم، أو أن يقف ضد رغبتها، بل يعتبر الأمر طبيعيا جدا؛ «أمي حصة ذاتها لم تستطع أن تثني ابنها عن قراره حين اتخذها قاطعا؛ "مكاتها البيت!"¹، ولو كان أمرا محرما على الإطلاق أو منعه الشرع لما تجرأ أحد على النقاش فيه، فالمسألة في الغالب ليست حرصا على تطبيق أحكام الدين بقدر ما هي ممارسة للسلطة، وإصرار على عدم تفويت أي فرصة لذلك، فإذا نظرنا إلى قضية منع المرأة من التعليم، فإن الدين لم يقف عائقا أمام ذلك إطلاقا، وإنما العقول المريضة التي اعتبرته عارا وخروجا عن العرف، والقيم الأخلاقية هي من فرضت ذلك، والأدهى أنها بررت فعلها باتباع ما جاء في الكتاب، وبهذا صار الإسلام للعيان دينا رجعيا متخلفا، يدعوا إلى الجهل والظلام.

وما يثير الاستغراب حقا من المتطرفين عموما أن تطبيقهم الأحكام يكون آنيا أو حسب الظروف والأشخاص: «في حين لم يمنع زوجته خالتي عائشة عن العمل في التدريس، مبررا بأن عملها في مدرسة بنات غير مختلطة. دائما ما تردد فوزية في غياب شقيقها الأكبر "أسد علي... دجاجة مع زوجته!"². لكن ماذا عن المسالك والطرق المؤدية للمدرسة؟ والأوراق التي تستخرجها من الإدارات؟ وسحب أجرها؟ ألا تصادف في كل هذا رجالا؟ أليس هناك اختلاط؟.

مشكلة المتطرفين أن لهم منطقا خاصا بهم يختلف عن منطق غيرهم، ولا يتوافق معه إطلاقا، يضعون افتراضات لا أساس لها، ويفرضون قيودا واهية ويتذرعون بتطبيق الأحكام الدينية كحجج لا مبرر لها، يقيد بها البعض ويجرر منها آخرون، والمتحكم في هذا أو ذاك هو التمتع بالسلطة، والقدرة على بسط السيطرة لا غير.

وقد يصل الأمر أحيانا إلى تحريم ما أحله الله ومخالفة المسلمين فيه، «استغربت إهمالها لسرطانات البحر على كثرتها، في حين كنت لا أكف أصرخ أشير إلى أحدها كلما خطف بديبه الجاني راسما خطا متقطعا على

¹: المصدر نفسه، ص45.

²: مصدر سابق، ص48.

الرمال الرطبة: "عمي عباس ! شوف شوف... قبقب!" لم يكتف بقوله إنهم لا يأكلون سرطان البحر، لأنها تأكل الأوساخ، فأكلها حرام. أحابني، بغير اهتمام، حين أخبرته بأننا نأكلها: وهل أنتم تعرفون الحرام؟ أنتم تلك التي لفظها! هي المقابل لهم لدى عمي صالح. لم يستحسن صمّي على ما يبدو أردن ضاحكا: "قول لصويلح إني ما أكل الوسخ مثلكم"¹، فحين تصادف سلوكات وأقوالا كهذه، لا بد أن تتبادر إلى ذهنك أسئلة كثيرة واستفهامات، فهل هذا الاختلاف ناتج عن تباين فهم النص؟ أم أنه تعمد لمخالفة الآخر؟ حتى لو كان الأمر على حساب اتباع المعنى الحقيقي للنص؟ وكأن الوضع صار منافسة بين هذا وذاك لنبذ كل تشابه أو توافق فالخلاف هو الوقود الذي يزيد من حدة الصراع، والتزاع بينهما، بل إن الفجوة تتسع لتأخذ معها كل احتمال لتحقيق الوحدة، والاتفاق على رأي واحد، وبدل أن يحترم اختلاف الآخر، تجد أن الأطراف والطوائف المتنازعة تتفنن في تبادل الاتهامات، وتسفيه الآخرين، والاستهزاء بما يعتقدونه، ويؤمنون به: «كلاهما لم يتفق يوما على رؤية هلال رمضان وبدء الصيام في يوم واحد، كلاهما لم يهنئ الآخر أول يوم عيد، لأن لكليهما يوم عيد أول لا يوافق يوم الآخر. كلاهما لم يتوقف على موعد صلاة. على نسبة زكاة على. على دفن موتاهم في مقبرة واحدة»² وفي ظل هذا الكم من الاختلافات من جهة، والتعصب والتطرف للآراء من جهة ثانية، يكون من العبث التفكير في الدعوة إلى إتباع رأي واحد والتخلي عن كل المعتقدات الأخرى، والآراء المتضاربة، التي تدعي كلها أنها على حق ومن خالفها على باطل.

والصورة التي حاولت الرواية إظهارها بين ثناياها، هي ذلك التأثير الكبير لتباين الأفكار والآراء الدينية والتعصب لها على العلاقات الاجتماعية بين السنيين والشييعين، حين صار أغلبهم متطرفين لجماعاتهم وانتماءاتهم الطائفية، لا يتعامل أحدهم مع الآخر إلا إذا كان من طائفته، بل قد يصل الأمر إلى أبعد من ذلك؛ حين يقف هؤلاء ضد أي محاولة لإصلاح العلاقة أو توطيدها مع من يعتبرونه خارجا عن ملتهم؛ «السلام

¹: المصدر نفسه، ص105.

²: مصدر سابق، ص109.

عليكم رد عمي عباس التحية. أردف متسائلا: جيت بروحك! " أو مأت برأسي أوافقه. كان منهما يعالج خيوط الصيد. سألتني: "وين ابن إبليس.. وإلا إبليس يحرم عليه دخلة بيتي؟" (...). عمي صالح لم يسمح لفهد أن يقيم معنا. قرار منع دخول ابنه إلى البيت الجار يطال سيارة الأخير وشالية وصحبته أيضا.¹

ومع أن إقحام الصغار في صراعات الكبار ونزاعاتهم لا يجلب إلا المضرة لهم؛ لصغر سنهم، وعدم استيعاب عقولهم لحقيقة الخلاف أو سببه، إلا أن هؤلاء لا يعيرون اهتماما لأي شيء آخر سوى حقدهم وكرههم المتبادل، فلا يدخرون أي جهد لإظهاره في كل مناسبة، بل ويصرون على ذلك وكأنه صار فرضا لا بد من تأديته كباقي الفرائض الأخرى التي كلفهم الشرع بها، وهكذا يصير التطرف الديني كالأوبئة، أو كالأضرار الوراثية التي تنتقل بين البشر، أجيال تنقضي لتخلفها أجيال أخرى تحمل هم، والكره، والحقد ذاته، عقول منغلقة تأبى الانفتاح على الآخر أو تقبله، والمشكلة هنا ليست في الاعتراف بالآخرين ووجودهم، وإنما في النظرة إلى ذلك الوجود على أنه تهديد للأنا أو الجماعة التي ينتمي إليها، وبالنسبة لشخصين مثل "صالح" و"عباس" من الطبيعي جدا أن يرفض كل منهما الآخر، وأن يمنعا أي علاقة يمكن أن تهدد أي طرف على حساب الطرف الثاني، وأكد أن أحدا منهما لن يتقبل فكرة التخلي عن عقيدته وإتباع عقيدة أخرى معادية، فالأسلم إذا أن يلزم كل طرف جماعته؛ «خليهم يعرفون اللفي لهم واللي عليهم بمه»²

وهكذا صارت كلمة "هم" دالة على جماعات تنطق الشهادتين لكنها لم تدخل الإسلام، لذا أن الإسلام صار إسلامين؛ فإن كمنت مسلما في نظر جماعة ما فليس بالضرورة أن تكون كذلك بالنسبة لجماعات أخرى؛ بل ينظر إليك على أنك كافر زنديق؛ «سألهم عمي عباس: إلى أين؟ التفتت إليه خالتي فضيلة ممسكة بجزء من عباءتها أسفل ذقنها: إلى بيت أبي سامي، فلورنس اعتنقت الإسلام. أرخى يديه المنهمكتين بمعالجة

¹: المصدر نفسه، ص ص 104-105.

²: مصدر سابق، ص 7.

خيوطه. أعاد تثبيت نظارته. سألتها مهتما: على أي مذهب؟ تدخلت أمي زينب تجيبه مبتسمة: على مذهب زوجها أكيد. صفع عمي عباس الهواء أمام وجهه في خيبة: لو بقيت على دين أهلها لكان خيرا لها.¹ وهكذا صارت مرتبة من كذب رسالة صلى الله عليه وسلم، وتشبث بعقيدة التثليث، وآمن بألوهية عيسى عليه السلام، أعلى بكثير ممن عد عليا وآل بيته من المبشرين بالجنة، ولم يدع لهم القداسة، أو للأئمة الاثني عشر، ولم يعتقد بالتقية، أو بضرورة الدفن بالنجف، فالإسلام إذا صار حكرا على المتشيعين وحدهم دون سواهم، وكل من خالفهم فهو في مرتبة أدنى من مرتبة النصارى حتى.

لم تغفل الرواية رصد بعض مظاهر التطرف الديني لدى الشيعة، وما تميزت به بعض سلوكياتهم من الغلو في تقديس آل البيت، يقول "السنعوسي" في الرواية على لسان الراوي: «الشيء الوحيد الذي لفت انتباهي كان بعض اللوحات على الجدار خلف خزانة التلفزيون، لوحات بتفاصيل كثيرة، خيول وأسود وسيوف، ورجال وسيمين بتقاطيع وجه جميلة، يبدو أكثر وسامة من الرجل الذي كنت أشاهده مصلوبا في صورة تعلقها تينا على جدار غرفتها الصغيرة. تذكرت ما قاله فهد ذات صباح: "أهل البيت الذين يعبدهم عمي عباس وخالتيه فضيلة وأمي زينب.. في ذلك المساء أدرك عقلي الصغير أشياء جديدة، أولها لوحات فنية لآل البيت، وصور لعيون دامعة رسمها صادق، وآخرها صورة فوتوغرافية في أحد رفوف خزانة التلفزيون، بين صورتين قديمتين لصديق وحوراء زمن طفولتهما المبكرة، صورة لرجل بعمامة سوداء بيضاء كثة، كتب أسفلها بخط أسود مزخرف روح الله الموسوي الخميني».²

مع أن رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ أن نزلت قبل 14 قرنا، دعت إلى توحيد الله وترك عبادة الخلق دون الخالق، إلا أن الإسلام قد تغيرت صورته بالنسبة إلى أكثر الشيعيين، فصار إسلاما مختلفا تماما عن ما يدعو إليه عند السنيين، فتظهر فيه عبادتهم وتقديسهم لعلي رضي الله عنه وآل البيت، وكأن القرآن أو السنة

¹: المصدر نفسه، ص106.

² مصدر سابق، ص104.

قد أمرا بذلك. ومع أن حادثي قتل علي رضي الله عنه والحسين قد مرت عليهما مئات السنين، إلا أنه وإلى يومنا هذا لا يزال الشيعة يبكون وفاتهم، ويعزون أنفسهم في موتاهم، غير آبهين إلى أن الحزن على الميت لا يجاوز ثلاثة أيام وحتى لو كان الوضع يستحق البكاء طول الدهر، لكان من الأجدر أن يبكي على فقد النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره، فالحزن لا يورث إلا الهم، والغم، والكآبة، والغلو فيه لا بد وان يقف عائقا أمام وسطية الإسلام وسماحته، ودعوته إلى انشراح الصدر، وتحريرها من كل تلك التعقيدات والطقوس التي تلازم وترافق دفن الميت أو استرجاع الشعور بالحزن في كل ذكرى وفاة.

ثم إن المتطرفين من الشيعة لم يعطوا القداسة للأموات فقط، بل عظموا حتى الحياء من أئمتهم، واعتبروهم مراجع دينية لا يمكن الاستغناء عنها، أو تجاهل لأوامرها.

وبين تمجيد الشيعة لصور آل البيت وأئمتهم وانتشارها في بيوتهم، يقف المتشددون من المسلمين ضد تعليق الصور مهما كان شكلها أو نوعها؛ «ألصق فهد صورتيهما مع صورة كبيرة للشيخ فهد الأحمد، على جدار غرفته بين صور مؤيد الحداد. أزالتها عمك صالح: لا تلصق الصور! السبب؛ لأنها حرام، ولأنها تطرد الملائكة من البيت. سألته عن صور فهد التي تعلقها عائشة على خزانة التلفزيون، وصور المسيح مصلوبا كانت على جدران غرفته تينا ألا تفعل فعل صور الشهداء مع الملائكة؟ نظرتة دفعتك تسحب سؤالك تعتذر: "خلاص.. ما أسأل مرة ثانية!" صور الشهداء والأسرى في بيت عمك صالح، قبل إزالتها، لا تشبه صورهم في بيت عمك عباس"»¹.

و كأنه لا تشابه بين الفريقين إطلاقا، لا شيء تقريبا يجمعهم إلا اعتناقهم للإسلام، لكن بنظرة فاحصة تدرك أن إسلام هذا يختلف عن إسلام الآخر، وكأننا نقف أمام معتقدين مختلفين لهما الاسم ذاته.

¹ مصدر سابق، ص261.

مع أن مسألة تعليق الصور الفوتوغرافية من المسائل الاجتهادية التي اختلف فيها العلماء، إلا أن المتشددین يتعصبون لرأي واحد وكأنه حكم مطلق لا رجعة فيه، يفرضونه على أنفسهم وعلى غيرهم، وينظرون إلى مخالفهم بعين الازدراء وأحياناً يصل الأمر إلى اعتبارهم منحرفين، مستهزئين بإحكام الله.

والخلاف بين الشيعة والسنة حسب ما صورته الرواية قد تصاعد وتأزم ليصير صداماً حقيقياً بعد انتقال الشخصيات إلى مرحلة أخرى، صارت فيها أكثر تنافراً رغم زيادة قربهما؛ «في ساعة حسبها عمي صالح مباركة وقت أخبره ابنه برغبته في الزواج، أجابه: "اتفو عليك!" لعن الساعة التي جاء فيها ابنه برغبته مقرونة باسم بنت الجيران. عمي عباس أجاب زوجته، التي جاءته تمهد لموضوع ابنتها، بأنه يزوج ابنته كلباً على أن يزوجه لولد "صويلح" وأنا، وحدي أنا، كنت مفجوعاً بما يردني من كلام صالح وعباس، لم أعد أحمل احتراماً لأي من الرجلين».¹

فالخلاف لم يقف عند المسائل الاجتهادية، أو بعض المعتقدات التي يؤمن بها طرف، ويكذبها طرف آخر بل إن الأمر تعدى ذلك إلى تحريم الارتباط بين السنيين والشيعة، ومع أن كلا الفرقتين تنتمي إلى الإسلام، إلا أن ذلك لم يشفع ليقبل هذا الاقتران، فكل طائفة تعتبر الأخرى خارجة عن الإسلام.

ومع أن الإسلام قد أجاز زواج المسلم من النصرانية واليهودية، إلا أن هؤلاء وقفوا ضد اقتران المسلم السني بمسلمة شيعية معتبرين ذلك من المحرمات.

الأمور عند المتطرفين لا تقف دائماً على نصوص شرعية، بل إن الأهواء والرغبات هي التي تتحكم في كثير من سلوكياتهم، وأفعالهم، فيظهرون تعصبهم، وتشددهم في الأمور التي لا تحمل ذلك، ولا يأبهون بما بيديه الآخرون من اعتراض أو محاولة منهم إلى تحقيق التوافق والألفة؛ بل يزيدون من إصرارهم على مواقفهم، وكأن الكل يسلك الطريق الخاطئ، أما هم فما يختارونه دائماً هو الصواب، «اشتراط أبو صادق، إن كان لابد من

¹ مصدر سابق، ص 339

الزواج، أن يعقد وفق المذهب الجعفري في حين عارض أبو فهد محذرا ابنه إن تنازل في البدء: "باكرا يلبسونك عمامة!" اتفقنا، صادق وفهد وحوراء وأنا، على تسوية الأمر بدعم من أمي زينب، حين أنهت كلامها لنا: "روحو انتو تزوج الاثنان، في مارس 2002، على ألا يفصحا إن كان زوجهما قد تم على مذهبهم أم على مذهبنا، والتزمت وصادق بعد إمضائنا شاهدين، على عقد الزواج، ألا نفشي أمر المذهب لأحد".¹

قد تصل الأمور أحيانا إلى مسالك مغلقة لا يمكن تجاوزها، بل قد يكون من العبث التفكير حتى في اختراق تلك الجدران، أو تحطيمها لقوتها وصلابتها، والتعامل مع المتزمتين والمتشددتين الذين يعاندون في كل مسألة يشبه شيئا من هذا، وكأنهم يتعمدون الخلاف لمجرد الخلاف، تماما كتلك الأحزاب السياسية التي تعلن معارضتها للسلطة من أجل المعارضة وكفى، فلا منطوق يحكم هذا التعارض إلى منطوق خالق تعرف، والمشكلة لا تكمن فقط في صعوبة المواجهة مع هؤلاء، ولكن المشكلة الأكبر في الآثار المترتبة عن ذلك، وأحيانا يكون من الحكمة الانسحاب من النزاع، وتجاهله وإلا زادت الأوضاع تأزما وتعقيدا، فالصراع لن تكون له نهاية مادام كل طرف متشبثا برأيه متعصبا له، بل وينظر إلى أن أي تراجع يعني هزيمة للأنا والجماعة، وتفوقا للآخر.

وهكذا تنقل الرواية للقارئ صورة عن مظاهر التطرف الفردي والجماعي، وكأن الكاتب يريد أن يعرض تلك الملامح الأولى للتطرف عند الشخص، والتي يمكن أن تتفاقم وتتأزم لتنتشر بين الجماعة، فإذا لم يتم تداركها سوف تصبح فيما بعد تهديدا كبيرا على الأمن والسلام، وهذا تماما الوضع الذي تخيله "سعود السنعوسي" مستفحلا في الكويت مدمرا لها، لما رأى ما انتشر فيها من تطرف وطائفية، فليس من المعقول أن ينتظر المرء وقوع الكارثة حتى يبحث عن حل لها؛ بل لابد من التحرك قبل ذلك من أجل الحد منها، أو على الأقل حتى تكون الخسائر أقل «ينطلق صوت الإذاعة فجأة: "الله أكبر.. الله أكبر.. أنتم تستمعون إلى إذاعة أسود الحق"». ²

¹ المصدر نفسه، ص343.

² مصدر سابق، ص21.

ما يوقع الخلاف بين الطوائف، ويزيد من حدة التطرف والصراع بينهما ادعاء كل فرقة وتظاهرها بأنها تملك وحدها الحقيقة المطلقة، وهذا الاعتقاد ينتقل من الفرد إلى الجماعة، بل إنه يتأزم وتزداد مظاهره خطوة حين يتأصل فيها، فتصير حامية لهذا الفكر. وهكذا تخلق الأنا الفردية أنا جماعية، ويصير "النحن" مدافعا عن الأنا، بصورة أبعد ما تكون من الوسطية والاعتدال والعقلانية، وأقرب إلى التحيز والتحزب والعاطفة.

فالمشكلة ليست في الإيمان بالفكرة، وإنما في اعتبارها حقيقة لا يسمح النقاش فيها أو المحاوره، وكذلك في الاعتقاد الكامل بضرورة فرضها على الآخر، على أنها الأصح ومخالفها باطل، بل لا بد من التدخل لإلغاء الخطأ واستبداله بالصواب، وهكذا يصير للحق أسود يدافعون عنه.

وتسمية مثل "إذاعة أسود الحق" تحمل الكثير من الإيحاءات والدلالات؛ فالمعروف عن الأسود شجاعتها وقوتها وبسالتها في مهاجمة الضحية، وهي الشجاعة ذاتها التي تظهرها إذا هوجمت وبدأت في الدفاع عن نفسها لكن ما يلاحظ على الأسود كذلك، رفضها العيش في جماعات وكأنها تحي سياسة إما أن أكون أو تكون أنت وهذه تماما الرسالة التي يود هؤلاء إيصالها، فإما أن تتبعوا الحق وتسيروا بجواره وتكونوا حماة له، أو لن تكونوا أبدا.

والتطرف الديني قد يظهر كصراع إيديولوجي بين أفراد متنازعة، يبرز كل طرف آراءه وأفكاره ويتعصب لها، وأحيانا قد يتجاوز ذلك، إذ تؤثر هذه الآراء على الفرد أو الجماعة فتسيطر عليها، لتصبح جماعات إرهابية تسلك مسلك العنف والإجرام، لتفرض ما تؤمن به وتعتقد به؛ «أمير من بينها حربا كلامية؛ ام المؤمنين رغم أنوف الحاقدين، اللعنة على النواصب، الموت للروافض رهبانية، مجوس، وكلمات أخرى لم أتبينها».¹

¹ مصدر سابق، ص ص25-26.

ما يخلقه التطرف الديني هو العداوة، والحقد، والرغبة في إقصاء الآخر، والمتطرف عادة ما يثبت ولاءه لفرقته أو مذهبه، بالتهجم على مقدسات الآخرين، والتعرض لها بجرأة وقلة وعي، وهكذا لن يقف الأمر عند حروب كلامية بين الفرق المتنازعة، وإنما يؤول إلى فتنة يغيب فيها الحق فيسود الباطل.

لقد تجرأ كثير من المتطرفين الحاقدين على أم المؤمنين والصحابة رضي الله عنهم، متناسين أو غير آبهين لفضلهم، وقربهم من النبي صلى الله عليه وسلم، والمشكلة ليست فقط في انحراف هؤلاء وضلالهم؛ بل إن الأزمة الحقيقية هي إصرارهم على ما هم عليه، وتعمدهم زرع الفتنة وإظهار الشر لمن خالفهم.

والتطرف لا يصنع عدوا واحدا، فالمتطرف ينظر بمنظار أسود لا يرى فيه إلا الخطايا والآثام، ليصير الكل مستحقين اللعنة والموت، ويتحول الصراع بين فرق تدعي كلها أنها الفرقة الناجية، وأنها على حق، لذا لا بد أن تُتبع، وهكذا بعد أن كان كل من ينطق الشهادتين مسلما، صار لكل فرقة إسلامها الخاص، ومن كان مسلما في هذه الفرقة، لن يكون إلا كافرا بالنسبة إلى فرقة أخرى؛ «أدير مؤشر المذيع إلى محطة أخرى: " في إجراء غير معلن سحنت قوات ما يسمى بدرع الجزيرة الكافرة آخر كتابها من الكويت صبيحة هذا اليوم المبارك، وذلك في رد فعل فوري إزاء قيام ثورة جديدة في الجوار ينفذها إخواننا إحياء واستكمالا لانتفاضة محرم 1979.. هيهات منا الذلة" أهرب إلى محطة غيرها: هذا وأكد مصدر مسؤول استتاب الأمن الداخلي بعكس ما يشيعه أذئاب الفرس في الخارج.. أتنتقل بين الإذاعات لأدري من أصدق. الذي أدريه أنني أشتاق إلى صوت أمي حصة تخاطب مذيعها الترانزستور: يفوتك من الكذاب صدق كثير».¹

هذا هو المشهد الذي تخليه "السنعوسي" موجودا بالكويت، مشهد صار سائدا في كثير من البلدان الإسلامية، فالإجابة عن سؤال مثل: "إلى أي طائفة تنتمي؟" ليست بهدف تحديد الهوية وكفى، وإنما بهدف تحديد الموالي من المعارض، والصديق من العدو، ولأن الصراع قد شاركت فيه أطراف وطوائف عديدة، فليس

¹ مصدر سابق، ص 51.

من الأمان أن تصرح إلى أي طائفة تنتمي، فإن سلمت من بطش واحدة، فلن تسلم من بطش الطوائف الأخرى، وكما لم يكن السؤال بريئاً، فلن تكون الإجابة كذلك.

التطرف الديني قد صعد من حدة الخلاف بين الطوائف الإسلامية، وما نطلق عليه اليوم اسم الصراع الطائفي ما هو إلا نتيجة لذلك، وبينما تدعي كل طائفة أحقيتها رفع راية الإسلام والدفاع عنه، وتطبيق أحكامه، فإنها في الواقع تتجاوز حدود هذا الدين في التفكير، وإجازة سفك الدماء، والتطاول على الحريات التي كفلها الشرع لأصحابها، واللوم في هذا لا يقع على فريق دون الآخرين، الكل صار مشاركاً في الأزمة التي تمر بها البلدان والشعوب الإسلامية، لا يمكن ان تميز المظلوم من الظالم، أو أن تدرك الحق من الباطل.

وانتفاضة محرم 1979م ماهي إلا صورة من الصور الكثيرة التي صنعها التطرف الديني، والتي صارت بصمة عار تلاحق المسلمين وتدنس تاريخهم، حادثة طبعت في أذهان الكثير، وزادت من حدة الخلاف بين السنة والشيعة وعلى صعيد آخر فإنها فتحت الأعين حول حقيقة الصدام بين الطائفتين، فاستغل الأعداء ذلك لتشتيت العالم الإسلامي وضربه من الداخل.

وصور التطرف الديني في الصراع الطائفي في الرواية لم تظهر في قالب واحد، وإنما ظهرت في أشكال عديدة ومتعددة، حتى الشارع لم يسلم هو الآخر منها؛ « كان فيما مضى الشارع الوحيد في الكويت الذي يحمل اسمه قبل أن تتكاثر الشوارع حاملة الاسم ذاته، شارع علي بن أبي طالب، إياه، في السرة، تلحق اسمه في الالفة عبارة رضي الله عنه غيره في مناطق أخرى، الرميثية والدسمة والقرين، يلحق السم في الالفتات بأسماء جديدة، كأن الأسماء حكر على طرف دون الآخر. لم يتوقف المر عند، علي، الاسم، راح البعض يطلق أسماء على شوارعه، يداوله نكاية بآخرين... شارع يزيد بن معاوية وشارع ابن تيمية وشارع أبي لؤلؤة»¹.

¹ المصدر السابق، ص 64.

ما يعيشه الناس في حاضرهم لا يأتي من العدم، بل إن الماضي يصنع الحاضر والمستقبل معا، والأفكار كذلك قد تأخذ أشكالا أخرى مع مرور الزمن، لكنها لا تموت ولا تفنى؛ بل إن الكثير منها ينتقل بين هذا وذاك ليتأصل وتغوص جذوره في أعماق الفكر الإنساني، وهذا تماما ما كان من صراع علي رضي الله عنه ومعاوية، وما خلفته هذه الفتنة من ظهور فرق إسلامية متطرفة يكن الواحد منها العدا للآخر.

والسما هي الأخرى قد خرجت عن إطارها النمطي لتكتسب دلالات أخرى، وتصير لها رمزية خاصة، ما كانت لتكتسبها لولا ظروف معينة، فأسماء الشوارع مثلا ما عادت غايتها مساعدة المارة أو المسافرين في تحديد وجهتهم؛ بل صارت غايتها في مجتمع ساده التطرف تحديد الهوية الدينية لسكان يقطنون في هذه الشوارع، وقد تمثل هذه الأسماء انتماءهم الطائفي الحقيقي، أو ربما تفرض عليهم فرضا. وبين المكانة التي يحضى بها علي - رضي الله عنه - عند الشيعة، وما يشنه عليه بعض المتطرفين من اتهام بالفسوق، وبين احترام السنين لشخصه ومقامه عند رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، يبقى الخلاف قائما بين هذه الأطياف. لينعكس حتى على بعض مظاهر الحياة البسيطة؛ فكلمات مثل "رضي الله عنه" أو "عليه السلام" قد ينجر عنها ما لا يحمد عقباه، إذ صارت هي الأخرى كلمات مستفزة تزيد من حدة التعصب والتطرف الديني.

هذا ولم يكتف البعض بما رأوه من تطرف، وتعصب، وصراع بين الفرق الإسلامية، فراحوا يدرسون فرق الجن وأيها الأصلح أو الأقل فسادا؛ «صوت وقور في الإذاعة يتحدث عن فرق وطوائف الجن. هذه الطائفة أكثر صلاحا. الطائفة الأخرى أشد فسادا»¹، وكأن حال المسلمين في أحسن حال لا ينقصهم شيء سوى معرفة ما يدور في العالم لآخر، وكأنهم استرجعوا ما سلب منهم، واستردوا حقهم، «عمي.. المسجد الأقصى في سلوى؟! "لا يا حبيبي.. في القدس أطل أخوه برأسه بين المقعدين. قرب وجهه إلى وجهي رافعا

¹ مصدر سابق، ص 417.

حاجبيه مبجلقا بعينيه الواسعتين مثل عيني أبيه صغيرا. سألني آخر آخر آخر سؤال: "القدس؟.. وين هذي؟!".¹

مع أن قضية المسلمين الأولى هي القدس، إلا أن التطرف قد توغل بينهم وأضعف صفوفهم فتناسوها وأذهلهم ما هم فيه من صراع ونزاع عن نصرتها، واسترداد حقهم فيها. وما كان يسمى عالما إسلاميا صار اليوم طوائف وفرق إسلامية؛ تتخبط في نار من الفتنة، تأخذ معها الخضر واليابس، فلا تترك وراءها إلا الدمار والخراب، وسيلا من الدماء.

وفد وضحت الرواية الكثير من مظاهر الخوف والرعب، التي ييئها الإرهابيون والمتطرفون في العالم الإسلامي ومع أن الكويت لم تتعرض إلى مثل هذا الصراع الطائفي الدموي، إلا أن "السنعوسي" قد تخيل الوضع وأسقطه على الكويت، محاكاة لما تعيشه الكثير من البلدان الإسلامية، وضع لم تعد فيه أساليب الحوار ممكنة، ولم يعد للمرونة وجود في التعامل مع الآخر، بل لا سبيل لفرض الأفكار إلا بالقوة، أو التصفية وحدها، وفي ظل هذه الظروف وتساعد الأزمة زاد الخوف والرعب، ولم يعد للإحساس بالأمان وجود، "على الدنيا السلام"²، فالكارثة قد خلفت الحزن والدمار وراءها، ولم تترك إلا تلك الرايات السود والأعلام الخضراء.

«المح زحاما في مقدمة الجسر ينيى بوجود حادث سير أو نقطة أمن، يسمونها هكذا، رغم أنها تمنح الخوف وحده، لم يكن حادثا، وهذا ما أتبينه عند اقترابي من الجسر، أرتبك. أتراهم عاودوا حظر العبور؟ ماذا عن الهدنة في يومها الثاني؟! مع اقترابي أكثر ألمح العلم الأسود، يؤكد حدسي، يرتفع بين ملثمين يحملون بنادق. يتكئون إلى أكياس رمل».³

¹ المصدر نفسه، ص418.

² مصدر سابق، ص24.

³: المصدر نفسه، ص65.

وسواء كان المرء حيادياً أم معارضاً فلن يسلم من سياسة الترهيب، والتضييق على حريات الآخرين، ونقاط التفتيش التي لا نهاية لها، وكأن تطبيق الدين يكون ببث الرعب والفرع في القلوب. جماعات تدعي حفظ الأمن والدفاع عن الإسلام والمسلمين، لكنها في المقابل حتى الخضوع للهدنة، والكف عن سفك الدماء، والعودة إلى طاولة الحوار.

في المجتمعات الإسلامية التي يسودها التطرف الديني من الصعب أن تكون حيادياً، أو أن تثبت ذلك لمن حولك، وأحياناً قد تضطر لأن تظهر ما لا تؤمن به حتى تحافظ على حياتك؛ ليس الأمر من باب النفاق، ولكن لا بد أن تتعامل بأسلوب كهذا مع من لا يدرك معنى "لا إكراه في الدين"؛ "أخرج من تحت المقعد قطعة ورقية مربوطة بشريطة أحتفظ بها لوقت الحاجة، صورة قلب أحمر يتوسطه اسم زوجة النبي، كتب أسفله: «أم المؤمنين رغم أنوف الحادقين أرفع يدي ممسكا بالشريطة أنوي عقدها حول مرآة الزجاج الأمامي، نسيت أنني أزحت الزجاج بحجر ظهيرة اليوم! أخفي الورقة مجدداً أسفل المقعد وأستخرج بدلا منها رزمة منشورات دعوية كتب عليها: «أبو بكر في الجنة وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة، و.. أدير مؤشر المذيع على إذاعة أسود الحق. هي الطريقة الوحيدة التي تجنبي الوقوع في مشاكل مع حياد اسمي الذي يصعب معه تحديد طائفة يفترض أن أنتمي إليها»¹.

من المخيب والمخزي أن تذهب ضحية آراء مكفرة؛ تستبيح دمك لمجرد الشك في إسلامك، وكأن لا إله إلا الله محمد رسول الله وحدها تكفي، ومع أن الإسلام لا يرتبط بشدة حب علي، أو حب الصحابة رضي الله عنهم، أو الإخلاص لهم، إلا أن هؤلاء قد حرفوا جوهره، وعدلوا عن غايته الحقيقية، ووقعوا في دائرة الغلو. الخطأ ليس في أن تدافع عن نفسك، أو أفكارك، أو معتقدك، وإنما الخطأ في أن تتوهم أنك دائماً في خطر؛ فتعتبر كل من يختلف عنك عدواً يترصدك، و ينتظر فرصة الانقضاض عليك، ما يجعلك تفكر في أن

¹: المصدر السابق ، ص65.

أفضل طريقة هي الهجوم، والإرهاب الديني عادة ما يفكر بنفس الطريقة، لأنه لا يأتمن لأي طرف، إذ يظهر العداء للجميع دون استثناء، يتربص أن تأتيه الضربات من أي جهة، وحتى يحس بالأمان فلا بد أن يزرع الخوف في قلوب الآخرين، "يشير إلى الواجهة الخالية من زجاجها يسألني عن السبب، أهز رأسي أفعل أسفا": "أولاد الحرام.. كسروها" بيدي اهتماما لما أقول . يتفحص سيارتي من الداخل. تقع عيناه على رزمة الأوراق، يسأل صالح من أعمل؟ بودي لو أجيبه نحن أولاد فؤادة، ولكن.. انظر ناحية نافذة السقف، أشير بسبابتي إلى السماء. يهز رأسه مستلظفا إجابتي، يستدير حول سيارتي يتفحصها، أنتهز فرصة ابتعاده. أرفع صوت الإذاعة أكثر يعود يناولني الرخصة مبتسما ابتساما لم تغير شيئا في وجهه".¹

فقد يصمت الإنسان بسبب الحزن، أو لترفع عن الحماقات، أو ربما حبا للهدوء ورغبة في السكينة، لكن أسوأ ما يمر به هو أن يصمت بسبب الخوف، والضعف، والهوان، وقلة الحيلة.

لا يكتفي المتطرفون ببث الخوف والرعب، بل يصادرون الحريات ويضيقون الخناق على كل من عارضهم أو رفض أفكارهم، وكأنها استراتيجية مواجهة الخوف بالتخويف، خوف من أن تكون تلك الحرية سببا في تغيير الأفكار، وفتح عيون من يتبعها، خوف من أن يواجه الحجج التي تسكتهم وتلغي ادعاءهم، وتكشف أباطيلهم، وما يغرسونه من كراهية، وحقد، وعداء، لا دخل للإسلام به، ولهذا يجدون أن الحل للتخلص من خوفهم هو التخويف، وإسكات الحناجر التي تنطق بالحق وتجهر به؛ «يحذرنى لا أنصحك بدخول الجابرية في هذا الوقت أنظر إليه مستفهما، يوضح: الرافضة يتربصون بنا، هي واحدة من كلمات يستخدمونها وصفا لأعدائهم، رافضة أولئك الذين يرفضون الترضي على سحب النبي وزوجته عائشة، في حين ترى الجماعة الأخرى أنها رافضة للباطل منحازة للحق».²

¹: المصدر نفسه، ص66.

²: مصدر سابق، ص66.

والحقيقة أن هناك فرقا بين مواجهة عدو وبين صنعه، والمتطرف هو من يصنع أعداءه، ويدعي مواجهتهم له من خلال تطاوله على مقدسات غيره وتسفيهه لهم، والشيعية على مدى سنوات استفزت السنين وهيجت مشاعرهم من خلال ما تبثه من سموم في الكتب، والمناشير من إساءات للصحابة رضي الله عنهم بالقذف، والسب والجرأة في اللعن والتكفير، فكان هذا سببا في انقسام المسلمين وتزعزع وحدتهم، فصار العالم الإسلامي يتخبطفي الصراعات والحروب الطائفية، وفي ظل هذا التأزم والخلاف، وجدت الفتنة طريقها بين المسلمين؛ «النار.. ما تورث إلا الرماد»¹، والأمر كذلك فعلا؛ "لا يكاد يرتفع أذان العصر ينثر شيئا من طمأنينة، حتى يصم أذني دوي انفجار من مكان قريب يهز أرضية الشقة، تاركا صغيرا عالقا في أذني، وتصدعات على زجاج النافذة أمامي، يتبع الدوي صوت إطلاق أعيرة نارية. أجدني في على أربع فوق الأرض. هل سقطت علينا السماء وقت إعلان الهدنة؟! أطف يا رب"²، وكأن الإسلام صار حكرا على طائفة دون أخرى، الكل يدعي الإيمان ويلبس غير الكفر الفكرة نفسها والتفكير ذاته، فإما أن تكون نسخة عني، تفكر بما أفكر، وتتبنى ما أتبناه، أو لا تكون إطلاقا فالأرض لا تسع إلا فريقا واحد فقط.

الدمار والخراب للم يطل المباني والمنشآت وحدها، بل دمر عقول الكثير من المسلمين، وحجر قلوبهم، فلا العقول أدركت حجم الكارثة التي حلت بالعالم الإسلامي، وزادت من ضعفه وهوانه، ولا القلوب رقت ورأفت بأرواح الأبرياء الذين يتساقطون أشلاء، وجثثا؛ بسبب التطرف، والعنف، والهمجية، التي لا مبرر لها.

وما تعرضت له شخصيات الرواية من ترهيب وخوف وتكفير، ما هو إلا انعكاس لما يطال المسلمين في الواقع حين ظهرت الكثير من الجماعات الإسلامية المكفرة، التي كفرت الحكام والحكوميين في العالم الإسلامي، مدعية أنهم خارجون عن الدين؛ لأنهم راضون عن تطبيق أحكام غير إسلامية في بلاد المسلمين؛ «يرن هاتفه ينبه إلى رسالة يقرأها. يمتقع وجهه. يمد يده أمام وجهي يريني شاشة الهاتف: في انضمامك إلى

¹: المصدر نفسه، ص72.

²: المصدر نفسه، ص86.

جماعة مشبوهة، غير جماعتك، خروج عن الملة، أستفهمه (...). لا أتردد أنظر إلى الشاشة الهاتف بين يديه أقرأ رده على المرسل: الملة لبست بيت أبيك تطردني منها وقتما تشاء!«¹، هكذا هم المتطرفون، يمنحون أنفسهم الحق في التكفير والحكم على إسلام الآخرين، دون علم أو دراية، بما يترتب عن ذلك من فتنة، وصراع، وفرقة بين المسلمين، وبينما يتفنن بعض المتطرفين في تكفير غيرهم، فإنهم يعرضون عن زلاتهم وأخطائهم، ولا يفوتون أدنى فرصة للتمييز عن الآخرين ومخالفتهم، وكأن اتباعهم لجماعة المسلمين هو انحراف، أو ضلالة، وجب العدول عنها؛ «أولئك النواصب الذين اتخذوا من الفئران شعارا بدلا من دين الله يدسون السم في العسل... يقول الإمام علي عليه السلام، حين سكت أهل الحق عن الباطل، توهم أهل الباطل أنهم على حق، ويقول الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾² يا من تدعون أن الفئران آتية.. ألا أنتم الفئران وإن لبستم ثياب ال...»².

فمنذ وجد الإنسان على هذه الأرض وهو في بحث دائم عن الحقيقة، فالكون بما فيه يمثل أكبر أحجية يسعى لحلها وفك رموزها، وأثناء بحثه هذا قد يقترب من الصواب أحيانا، أو يبتعد أحيانا كثيرة أخرى، وربما قد يتوهم الصواب فؤمن به وينحرف عن الحقيقة، لأنه من الصعب أن يفلت المرء من الوهم إن غلا في تصديقه.

في العالم الإسلامي ظهرت العديد من الطوائف التي تطرفت في دينها، وغلت فيه، فجاوزت الصواب من حيث لا تدري، وصارت كلها تتبادل اتهامات بنشر الزيف، والباطل، والانحراف عن الحق، الكل يدافع عن نفسه وجماعته ويتطرف لها، لكن لا أحد في المقابل يضعها في الميزان، ويثبت بالعقل صدقها أو كذبها.

¹: مصدر سابق، ص99.

²: المصدر نفسه، ص268.

وهناك فرق بين توهم الحقيقة وبين تعمد إيهام الناس بها؛ فإن كانت الأولى تفكيراً خاطئاً، فإن الثانية احتراف إيقاع الناس في الخطأ، وهذا هو الأخطر على الإطلاق، فقد يصل الحوار مع من يجهل إلى حل أو اتفاق، بينما يصل مع المتطرف الذي يدرك الصواب ويتعمد إبطاله إلى طريق مسدود.

والحقيقة في عالمنا الإسلامي لم تعد واضحة جلية، بل صار يتخبط في نار من الفتنة، فالفئران قد نشرت الطاعون في كل مكان، وصارت الأصوات كلها تتعالى بمساندة الحق، وكل فرقة تدعي من سلك درهما فقد نجى ومن انحرف عنه فقد خلد في النار.

والشيعة كثيراً ما يرددون قول علي رضي الله عنه: «حين سكت أهل الحق عن الباطل توهم أهل الباطل أنهم على حق»، وبهذا يؤكدون أنهم على حق وغيرهم على باطل، ومشكلة هذه الطوائف المتطرفة أنها لا تعتمد على الحقائق التاريخية، لتبين الصواب من دونه، بل إنها تختار النصوص وتفسرها بما يخدم رغبتها، حتى إن خالفت فيها المنطق وغابت عنها الحجة، فهؤلاء يرفضون آراء علماء يشهد لهم بخدمة الدين بصدق، وورع، وخوف، وخشية لله عز وجل، لكنهم يسرون خلف أئمتهم الذين يدعون عصمتهم، ويترهونهم عن الوقوع في الخطأ. والتوافق لا يجد طريقه إلى العقول المتحجرة التي تنبذ كل أشكال الحوار الحضاري، وتسعى إلى فرض آرائها، والإصرار عليها دون تقبل للرأي الآخر؛ بل إن الدخول في جدال مع عقول كهذه سوف يكون جدالاً عقيماً لا فائدة ترجى منه.

ثم إن التعامل مع المتطرفين بتطرف أكبر منه لا يجلب إلا نزاعاً وصراعاً لا نهاية له، والإصرار على تغيير المنكر لا يكون بالوقوع في منكر أكثر فتكاً، كالتشكيك في إسلام الآخرين وتكفيرهم، والإنسان بطبيعته يميل لأن يكون على صواب دائماً، ويجد صعوبة في تقبل فكرة وقوعه في الخطأ، بل يجد نفسه ألف عذر ليخرج عن جائرة الاتهام وقد يضطر بأن يواجه الآخرين، حتى لو كان على قناعة بصحة كلامهم وزيف أقواله، فثقافة

الحوار لا تكون بتبادل الاتهام والتطاول باللسان، والتعصب للرأي، بل لا بد من المرونة ليصل النقاش إلى أهدافه، فيكون فضاء لتقبل الآراء، والأفكار، والاهتداء إلى الحقيقة.

ولكن التطرف الديني لا يخلق هذا الجو إطلاقاً، بل يتبع المتطرفون طريق التشدد والتزمت والتعصب، إذ يرى كل فريق أن مذهبه هو الصواب، بل إن أي خروج عنه هو انحراف عن الشريعة، وهذا ما يغلق كل طرق الحوار والتفاهم، ويلغي إمكانية التوافق، أو على الأقل تقبل الآخر واختلافه برحابة صدر.

والرواية كذلك قد رصدت مظاهر الإرهاب وتفشييه في العالم الإسلامي، كنتيجة مباشرة لتصاعد وتآزم ظاهرة التطرف الديني، واقتراها بالعنف، والخشونة، والإجرام؛ «عشرات من تباعة الجيف تحط على الضفة المقابلة يكشف عنها ضوء البدر وبراميل النار فوق الجسر تقف مثل عجائز جدباوات. تتمايل بعباءتها السود الرثة. تغني نعيها يصدر من أغوارها، يضيء على المكان خوفاً فوق خوف»¹.

عادة ما يبدأ التطرف الديني بتعصب الفرد لأفكاره، وإصراره عليها، ثم ينتقل هذا التعصب إلى الجماعة فيزداد مخلفاً وراءه ضرراً أكبر، قد يصل إلى الإرهاب والإجرام، فيستحيل الوضع إلى مشهد من الخراب والدمار.

أفراد وجماعات إسلامية كثيرة تطرفت واتخذت من العنف سلاحاً لها، قتل وسفك للدماء لا رادع له، فعقولهم محشوة بكلام يؤيد أفعالهم؛ بل ويحثهم على الجهاد وإظهار الحق، فإن لم يكن، فاستشهاد في سبيل الله. وعود تستميل عقولاً جاهلة، وقلوباً مريضة، فيصير أصحابها كالدمى؛ تلهو بهم الأيدي هنا وهناك، وكأنهم وقود لإشعال نار الفتنة، ونشر الخوف، والرعب، والدمار.

وتباعة الجيف في الرواية ما هي إلا صورة تعكس فظاعة ما وصلت إليه الأفكار المتطرفة، وما صنعته من أشباه بشر، تجردوا تماماً من إنسانيتهم، وصاروا دروعاً بشرية؛ تحمي الفكر المتطرف وتدافع عنه.

¹: مصدر سابق، ص335.

تختلف النظرة إلى الإرهاب بين مؤيد ومعارض، فبينما يعتبره البعض تجمعا لعصابات ومجرمين لا دين لهم، ولا ضمير يحكمهم، يرى آخرون أنهم على حق، إذ يدافعون عن الإسلام والتشريع الإسلامي، والذي لا بد من تعميمه لتستقيم الأمور، ويعود المسلمون إلى جادة الصواب، فالأمة بحاجة إلى الجهاد لترجع أمجادها المسلوقة، وبين هذا وذاك يبقى الإرهاب الديني نتيجة حتمية للتطرف والتعصب؛ بل إن التطرف كان ولا يزال الوقود الذي يزيد من جور الإرهابيين، وظلمهم، وتهديدهم لحياة الآخر؛ «ما إن راحت أنظار العالم تتجه صوب نيويورك في تفجيرات سبتمبر 2001، حتى صار أمرها شغلنا الشاغل في الديوانية، ضاوي يدافع، يرر. يستमित يبرهن بأن الأمر برمته لعبة لتشويه الإسلام. يعارضه صادق شاتما تنظيم القاعدة ومن هم في صفهم، في حين يسخر أبو أيوب من الإثنين في ذروة انفعالهما. طال جدلها ذات ليلة، نال من رموز دينية في كلتا الطائفتين. يذكر واحدهما الآخر بحوادث ماضية ينسبها لطائفة ضد».¹

ومع أن الرأي العالمي يتفق على أن الإرهاب لا دين له، إلا أن أصابع الاتهام تتجه دائما نحو متهم واحد هو الإسلام، باعتباره دينا يجرس على العنف والهمجية، وأحداث تفجيرات سبتمبر 2001م، أصلت الفكرة وروجت لها الكثير - إذ لم نقل اغلب - وسائل الإعلام الغربية، معتبرة أن كل اللوم يقع على الإسلام والمسلمين ولا ننسى أنها هي الأخرى قد واجهت التطرف بتطرف وإرهاب أكبر منه، حين عارضت عدة جهات وجود المسلمين في البلدان الغربية، بل وضيق عليهم، ومنعتهم من ممارسة شعائرهم الدينية، رغم ادعاءاتها بتطبيقها للديمقراطية، واحترام الحريات، وليس من المعقول أن يتهم كل مسلم يعيش في البلدان الغربية بأنه إرهابي، بل إن حملة الاعتقالات التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية في حق رعاياها المسلمين كانت أكثر تطرفا وعنفا، بل إنها ساهمت في زيادة التطرف الديني والإرهاب لا في تقليده.

¹ مصدر سابق، ص 341.

لكن في المقابل فإن رفض حقيقة وجود إرهاب إسلامي ضرب من الجنون، بل إن إخفاء هذه الحقيقة هي محاولة فاشلة للهرب من الظاهرة، ومواجهتها، وإيجاد حل لها، فالتطرف الديني في العالم الإسلامي قد صنع هو الآخر نماذج كثيرة لجماعات إرهابية، أعلنت تطبيقها للتشريع الإسلامي، ورفعت راية الجهاد، فاستمالت الكثير من الشباب الذين رأوا فيها مخرجاً مما عاشوه في أوطانهم من ظلم، واستبداد، وتمييز، ولاسترداد الحق لا بد من الجهاد أولاً ضد الحكام الطغاة في البلدان الإسلامية، وتصفيتهما من حكم نظام كافر لا خير يرجى منه، واعتبروا أن كل من يدافع عن النظام فهو الآخر كافر يستحق الموت.

والمشكلة ليست في تكفيرهم للحكام فقط، بل إن تكفيرهم قد طال كل المجتمعات الإسلامية، التي تقف ضد تنظيمات القاعدة أو ما يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية، فشجعوا الجهاد فيها، معتبرين أنها مجتمعات ارتدت عن الإسلام، ولا بد من إعادتها إلى الطريق الصحيح.

ونتيجة لهذا الفكر المتطرف الذي لا مرجعية له في الإسلام، ولا مبرر له في التشريع الإسلامي، تجرع العالم مرارة الإرهاب بما اقترفه من جرائم، وتهيب، وتخويف، وإراقة للدماء، لم يراع فيها لا الشيوخ ولا النساء، ولا الأطفال سواء كانوا مسلمين أو كفاراً فلا فرق في ذلك، بل إن بطشهم على بعض البلدان المسلمة فاق بكثير ما اقترفوه في حق بلدان غير إسلامية، نظراً لما تمر به البلدان العربية والإسلامية، من ضعف، وهوان، وتشنت، وفتن في السنوات الأخيرة، فكانت بهذا عرضة للمصائب والأزمات.

المبحث الثاني: أسباب ظهور التطرف الديني وتفشيهِ في الرواية:

لم يغفل "سعود السنعوسي" أثناء معالجته لقضية التطرف الديني في "الكويت" من خلال روايته "فئران أمي حصّة"، الأسباب التي رأى أنها أدت إلى ظهور هذه الأزمة، وتفشيها في المجتمع الكويتي، وكذلك في العالم الإسلامي عموماً، وبالرغم من أن الرواية قد ركزت على الظروف التي أدت إلى بروز التطرف الديني في "الكويت" إلا أنها من جهة أخرى تمثل أسباباً عامة، يمكن أن تؤدي إلى نتائج مماثلة في أي بلد آخر. وما يلاحظ على هذه الأسباب أنها لا تنحصر في مجال معين، بل تنوعت بين أسباب اجتماعية، وتاريخية، وسياسية، ودينية، وهذا ما يؤكد أن الظاهرة لا تحمل بعداً واحداً، فقد شارعت في ظهورها وتفاقمها أطراف متعددة.

اعتبر "سعود السنعوسي" حرب الخليج الأولى التي اندلعت بين "العراق" و "إيران" سنة 1980 م الشرارة الأولى التي أشعلت نار الفتنة بين الكويتيين، وذلك بعد دعم "الكويت" للعراق" أثناء سنوات الحرب "دار الحديث جدي بينهما زاد حيرة في حيرة، ما كان يجب عليك الانفعال... جهال... الكويت كانت... ما عادت... قبل بعد... منذ الثورة الإيرانية... ثم الحرب العراقية، أقفلت عائداً إلى غرفتي لا أحد تفسيراً لتشنجيهما على هذا النحو، ولا أدرك معنى لكلماتهما التي تشبه نشرات الأخبار. لا أفهم ماذا تعني ثورة. خمنت: "يمكن... زوجة الثور؟" منذ ذلك اليوم والأمر يلفه الغموض. لا ألفظ اسم أي طائفة من الطائفتين خشية صفة تورم شفتي. في تلك السن حسبت أن كلنا الطائفتين لا تنتمي إلى الإسلام. كبرت وفهمت عكس ذلك. كبرت أكثر ومع ظهور المتطرفين، هنا وهناك، أصبحت أشك في ذلك"¹، هذه الحرب التي خلقت الكثير من الخسائر البشرية والمادية، وغيرت كذلك المعادلات السياسية لمنطقة الشرق الأوسط؛ «' حرب الخليج الأولى ' وتسمى أيضاً الحرب العراقية الإيرانية أو ما يسمى بالفارسية (جنك تحميلي) أي الحرب المفروضة وسميت من قبل الحكومة العراقية باسم قادسية صدام، كانت حرباً بين القوات المسلحة لدولتي العراق وإيران واستمرت من أيلول 1980 إلى آب 1988. اعتبرت هذه الحروب من أطول الحروب التقليدية في القرن العشرين وأدت إلى مقتل زهاء مليون شخص من الضحايا (...). وقد غيرت الحرب المعادلات السياسية لمنطقة الشرق الأوسط وكان لنتائجها أعظم الأثر في العوامل التي أدت إلى حرب الخليج الثانية أو ما سميت بعاصفة الصحراء 1991»².

¹ سعود السنعوسي: فئران أمي حصّة، ص 39.

² فهد خليل زايد: الحروب والتسويات بين الماضي والحاضر دراسة تحليلية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2011م، ص 205.

وهي الفترة بالذات التي عرفت بداية ظهور العداوة بين الشيعيين والسنيين، حين وقف الشيعيون في الكويت ضد دعم بلادهم للعراق وتحالفها على "إيران"، والتي تمثل مرجعية دينية لهم، فالحرب لم تقف على نزاع بين دولتين ولكنها أجمت الحقد، وزرعت الضغينة في قلوب السنيين والشيعية في "العراق" وكذلك في دول الخليج، وكانت صدمة للكثير من الكويتيين السنيين، وحيية أمل كبيرة تلقوها بعد دعمهم الكبير لإيران و"الخميني" على وجه الخصوص، حين رأوا في الثورة الإيرانية وقيام الحكم الإسلامي العادل فيها، وعودها باسترجاع القدس، وتحرير فلسطين، أملا كبيرا لإعادة أجداد المسلمين، لكن اندلاع الحرب قد أزال الغبار وكشف عن تلك العداوة التي ظن الجميع أنها دفنت منذ زمن، وتلك الفروق والاختلافات الكثيرة بين الطائفتين؛ "وعندما بدأت بوادر "تصدير الثورة الإسلامية" إلى الشرق الأوسط حسب تعبير البعض بدأت دول المنطقة ذو الأقلية الشيعية مثل الكويت والسعودية إبداء القلق من احتمال امتداد الثورة الإسلامية الشيعية إلى مناطقهم، كل هذه العوامل بالإضافة إلى عوامل أخرى لعبت دورا كبيرا في إشعال الشرارات الأولى لفتيل الحرب"¹.

وما زاد الطين بلة وأزم الوضع بين الطائفتين تلك الاعتداءات المتكررة على "الكويت"، والتي أهدمت "إيران" بتنفيذها كرد فعل على مساندة "الكويت" "للعراق"؛ "في تفجيرات المقاهي الشعبية قبل ثلاث سنوات. بعد سنوات سوف أعرف أقوالا تضاربت حول تنفيذها. قيل إنها من تدبير جماعات موالية لإيران انتقاما من موقف الكويت المساند للعراق في حرب الخليج الأولى. إيران تمثل طائفة. العراق تمثل طائفة ضد. أجابها عمي صالح ساهما: "هم اللي شبوها...بئمة"².

والمشكلة لم تكن فقط في الأحداث التي توالى على "الكويت"، ولكن طريقة تفاعل الكويتيين معا وتأثرهم بها قد كان سببا مباشرا في ظهور التطرف الديني، وتفشييه فيها، حين احتضن الشارع الصراع الذي كان في الأساس صراعا سياسيا ليصير صراعا داخل المجتمع الكويتي، تبنته الأسر وتعامل به الأفراد فيما بينهم، فصارت العلاقات مبنية على أسس وانتماءات طائفية، دون اعتبار إلى ما كان سائدا من تفاهم واحترام للآخر؛ "قالت: خبول! هم يتدأججون هناك... وإنتو تقلدوهم هي شرعت تتحدث عن الحرب العراقية الإيرانية"³.

¹ فهد خليل زايد، مرجع سابق، ص 207.

² سعود السنوسي: فئران أمي حصّة، ص 72.

³ المصدر نفسه، ص 72.

فصارت الأسر سببا في التحريض على التطرف الديني، والتشجيع عليه، بما ترزعه من أفكار في العقول من الصعب التخلص منها أو تجاوزها، والتي تصير مع مرور الزمن متوارثة، تنتقل من عقل لآخر، فيفني صاحبها ولا تفنى؛ "لام أبو فهد ولده على توريط نفسه بمصاحبة صادق. نصحه أن يتحاشاه"¹.

وقد أظهرت الرواية ما تسببه هذه الأفكار من عدائية وكره حتى لدى الأطفال، ليصبح تعاملهم فيما بينهم مبنيا هو الآخر على أفكار زرعت في عقولهم دون أن يعوها؛ "بالقرب من المكان الذي أراه الآن، أسفل سور المدرسة كانت مشاجرتي الأولى. كان ذلك شتاء 1988 م، وكان يوم ثلاثاء كما لن أنسى. سمعت أحدهم يصرخ بآخر: "حديقة الحيوانات في العمرية... يا حيوان!" (...). الولد الضخم يصرخ بصادق، وصادق كدأبه، لا يتكلم إذا ما انفعل. احمرار أذنيه يشي بما يحتمل في داخله. صبيان يمسكان بفهد يعيقانه عن مساعدة صادق بعدها ألقاه الولد الضخم على الأرض. لم أتمالك نفسي إزاء رؤية صادق تركله الأقدام. ترددت في البدء، ولكن منظر الدماء على قميصه دفعني لفعل شيء، أي شيء، أزحت تردددي جانبا. ركضت نحوهم. رفعت قبضتي عاليا. أحفلت. أحفضتها. ألقيت بجسدي أرضا فوق صديقي أحطته بذراعي. حلت دونه ودون الركلات تلقيت، بدلا منه، الركلة تلو الأخرى. سقطت سني. فقدت وعيي"².

المسألة ليست مسألة تندر أو عنف مدرسي، وإنما هي نتيجة لحشو أفكار متطرفة في عقول لم تدرك بعد الصواب من الخطأ، تتعامل وفق ما تتلقاه من وسطها دون تمحيص أو غربلة، لأنها لم تصل بعد إلى مرحلة تخول لها فعل ذلك، لكنها في المقابل قد تؤثر على حريتها في التفكير أو التعبير، لأنها ستبقى حبيسة هذا الإرث الثقيل الذي حملته منذ الطفولة، فإما أن تبقى وفية له، أو تتور عليه، فتتحرر من القيود والأغلال التي تمنعها من تقبل الآخر، أو التعامل معه، دون خلفيات دينية أو طائفية.

ثم إن الإرث الفكري الذي يتوارثه الأفراد بينهم هو الذي يحدد أسس التعامل، ويبيّن العلاقات، فإما أن تكون مبنية على الاعتراف بالآخر واحترام الاختلافات أو تكون رافضة له إطلاقا، ولهذا فإن تغذية المجتمع بأفكار متطرفة لن ينتج إلا مجتمعا متطرفا، ويحصد في المقابل الفتنة والدمار؛ "وحده أيوب يشعر بما أشعر يتقدم إلى ضاوي يقبل رأسه، كالانا يدرك إلى أي مدى كان ضاوي حائرا بين إرث ثقيل حمله مذ كان مراهقا، وبين عقل متشكك يعيد النظر في كل شيء"³، وإعادة النظر في الأمور لن تكون هينة، لأنها عملية بناء لقناعات

¹ مصدر سابق، ص 75.

² المصدر نفسه، ص ص 26-27.

³ المصدر نفسه، ص 413.

جديدة مقابل هدم أخرى، وبين عملية الهدم والبناء تبقى الأفكار تتصارع، ويمكن أن تلقي بصاحبها إلى الهاوية، إذا لم يتم توجيهها في الطريق السليم، وهذا تماما ما مثلته شخصية "ضاوي" في الرواية حين عكست صورة الشباب المسلم الذي يتخبط بين أفكار متعارضة ومتضاربة، أنتجتها الأسرة وتناقلها المجتمع فاحترق بين تبني هذه الإيديولوجيات والتشكيك فيها، وفي ظل هذا الصراع وتأزمه، انحاز الشباب إلى طرف واحد، وانحرفوا عن الاعتدال والوسطية، فمنهم من اختار التشدد فصار إرهابيا، ومنهم من انحاز إلى التفريط.

وحسب ما ذهب إليه السنوسي في روايته، فإن أطرافا عديدة قد تسببت في ظهور الظاهرة وتفشيها في المجتمع وكان لما تعرضه وسائل الإعلام والاتصال المختلفة الأثر البالغ فيما وصل إليه العالم من تطرف وعدوانية؛ "كان الجو ملوثا. تنتشق الهواء الفاسد دوما انتباه صار لهواتفنا المحمولة دور جديد. ابتدعناه بأنفسنا. يكفي واحدا فتح البلوتوث في هاتفنا ليعي إلى أي حد نحن نعيش في مكان موبوء. صور ولقطات فيديو، يتبادلها الناس، لرجال الدين وخطب دينية ومعجزات مفتعلة. اضحك مع المعممين. مناظرة بين الشيخ والسيد. مباهلة فلان وفلان. شاهد جهل النواصب. مؤامرات الروافض"¹، فبعد أن كان رجال الدين والعلماء دعاة للخير والصلاح والوحدة لهذه الأمة، تغير الأمر وصار الكثير منهم سببا في إثارة الفتنة، والفرقة بين المسلمين، غير مباليين بما تبثه آراؤهم وفتاويهم من الضغينة والحقد في القلوب، فتاوى في الغالب لا أساس لها، ناتجة عن تطرف صاحبها وتعصبه مسببة لتطرف آخر، وصار من الصعب على المرء التمييز بين علماء يدعون إلى الوسطية والاعتدال وبين آخرين يحترفون التشدد و التزمته وتحويل كل مسألة، ثم إن الآراء التكفيرية التي شنّها الكثير من المتشددين وتبنتها بعض الطوائف دون اعتبار لخطورتها، قد كانت سببا في تأزم ظاهرة التطرف الديني واتساع رقعته، فظهر نتيجة لذلك الإرهاب الديني، الذي استباح دماء المسلمين وهدد أمنهم، وزادت حدة الصراع الطائفي في المجتمعات الإسلامية بعد أن غذته الآراء التفكيرية التي انتشرت في أوساط المتشددين، وقد ركزت الرواية على هذا الجانب الذي رأت أنه من أهم الأسباب التي حرّضت على انتشار التطرف الديني؛ "حدثه عن رأي علماء دين تجاه صادق وعائلته. "كفروهم!" تخيلت العم عباس والحالة فضيلة بثياب سوداء ووجوه عابسة يرميان الأشواك في طريق النبي، وفق صورة منفرة يظهر فيها الكفار في الأفلام والمسلسلات. حذرته بالأخبار صادقا بما قاله أبوه! أجابني على الفور: "عادي...قال صادق، إن عمي عباس

¹ مصدر سابق، ص ص 373-374.

يقول إن أهل البيت يلعنونا "سألته مندهشاً: "أهل بيت عمي عباس؟! "رد ضاحكاً: "لا يا حمار! أهل البيت اللي يعبدهم عمي عباس وخالتي فضيلة وأمي زينب وصادق وحوراء!"¹.

هذه الآراء التكفيرية المتبادلة بين الطوائف والتي يرى "السنعوسي" أن أغلبها لا حجة فيه؛ بل هي غالباً استنتاجات ناجمة عن فكر متطرف يرى الخير، والصالح، والإيمان في نفسه ويسقطه عن الآخر، ولا تفرق بين العصاة لأوامر الله والمتجاوزين لها، وبين من لا يؤمنون به إطلاقاً.

ووسائل الإعلام والاتصال هي الأخرى وكما ورد في الرواية، قد صار سبباً مباشراً في زيادة أزمة التطرف الديني ونشرها في "الكويت"، والعالم الإسلامي، حين لم يعد لهذه الأوساط أي رادع، أو ضمير، الكل يزيد من حدة الخلاف، ويركض في سباق لإذاعة الخبر دون اعتبار لما قد يثيره بين المتلقين؛ "كنا نتشوق كراهيتنا كما الهواء، لا مفر منها. صار كل شيء بين الهم والنحن صراحة. حتى إذا ما تصفحت اليوتيوب بحثاً عن أغنية أو مشهد من مسرحية كوميدية، لا بد وأن تأخذك التعليقات أسفل اللقطة إلى امتداد بعيد. تصنيف المطرب أو الممثل. رافضي ناصبي. القيء الذي انتشر في الأنترنت تسلسل إلى القنوات التلفزيونية. قنوات متخصصة. مناظرات يتابعها ألوف. بين السيد والشيخ، من يفهم من"².

وهكذا يكون "السنعوسي" قد وجه أصابع الاتهام إلى تلك القنوات التلفزيونية التي شجعت على الصراع الطائفي، وزادت من الكره والحقد؛ بل وتنافست فيما بينهما على تسفيه الآخر والرد عليه بما يلزمه الصمت ويلجمه عن الكلام. وفي ظل هذا التضارب والصراع الفكري، والحروب الكلامية بين هذا وذاك على شاشات التلفزيون، والمواقع الإلكترونية، كان الشارع الكويتي كما أوضحت الرواية متأثراً بالوضع السائد وما تناقله وسائل الإعلام، من خلال ما ظهر من تفاعل الشخصيات المستمر مع أي خبر، إذا ينقسمون بين مشارك في الصراع بالنصرة أو العداء، وبين محايد لا يعيره اهتماماً، وآخر يفضل أن يكون مصلحاً كالجأ للتراغ؛ "وقد سهلت العديد من وسائل الإعلام العربية للحركات الإرهابية تمرير خطاباتها المنغلقة والمشرعة للعنف بدعوى تقديم المعلومة أو الرأي الآخر مما يحملها مسؤولية كبرى في رعاية الإرهاب ونشره وتحقيق شروط ذبوعه واستمراره"³.

¹ مصدر سابق، ص 75.

² المصدر نفسه، ص 374.

³ محمود عبد السلام: الفكر الإعلامي الجديد، دار المعتز للنشر والتوزيع، د ب، ط 1، 1438 هـ/2017 م، ص 234.

فوسائل الإعلام لم تقف كعنصر حيادي، وينقل الخبر ويذيعه بشفاافية وضمير مهني، بل استغلّت من طرف متطرفين لنشر أفكارهم وتعصبهم، في محاولة إلى استمالة أكبر عدد من المتلقين والتأثير فيهم، أو ربما تكون هي من استغلّت الوضع، وأشعلت نار الفتنة لبلوغ غايات معينة.

ومع أن " السنعوسي " قد وصف الوضع في " الكويت "، كنموذج لتفشي التطرف الديني والطائفية، إلا أنه بطريقة أو بأخرى أراد تسليط الضوء على ما لحق العالم الإسلامي من خراب ودمار، كان الإعلام مسببا له أو متواطئا فيه.

وإضافة إلى ماشنته وسائل الإعلام من حرب ضد بعض الأطراف، كانت لا تفوت أي فرصة لتحرير أفكار ومصطلحات تزيد من حدة الصراع، وتحرض على التطرف؛ "أدير مؤشر المذيع إلى محطة أخرى في إجراء غير معلن سحبت قوات ما يسمى بدرع الجزيرة الكافرة آخر كتابتها من الكويت صبيحة هذا اليوم المبارك، وذلك في رد فعل فوري إزاء قيام ثورة جديدة في الجوار ينفذها إخواننا"¹.

هذه الإدانة غير مبررة في كثير من الأحيان لبعض الجهات، رأى " السنعوسي " أنها هي الأخرى كانت سببا في تأزم الظاهرة، وصناعة المزيد من الأعداء، بل كان تأثيرها بالغا على الأفراد والجماعات، فليس من المعقول أن يتهم الآخر بالكفر والخروج عن الملة، ولا يبدي أي ردة فعل مقابل ذلك، وأكد أن ردود الفعل ستكون بنفس الحدة وقد تجاوزها، لتكون أكثر عدائية، وربما أكثر إجراما، حين يرتبط التطرف الديني بالعنف، ويجد الأرضية المناسبة لنشر مخاطره وأضراره.

فظاهرة التكفير قد زادت الخلاف بين السنين والشيعة، حين صار كل طرف يكفر الآخر، ويتهمه بالخروج عن الإسلام، ولم تقف هذه الظاهرة عند رجال الدين الدين راحوا يصدرون فتاويهم بمناسبة أو بدون مناسبة، بل طال الأمر حتى العامة لتنفش بينها الظاهرة ويزيد في المقابل الخلاف بينهما؛ "أرهف سمعي أتبع صوتيهما في حلبة الغبار. ولا صوت عدا: يا أبناء الحرام، يا خوارج، يا وهابية، يا فرس يا خنازير! كان الأمر مفعجا. رجال دين، نالوا ما يشبه قداسة، يشتمون بأفطع الألفاظ"².

وبهذا تكون الرواية قد صورت ما خلفته فتاوى التفكير في المجتمع من تطرف وتعصب، حين صار الكل يتناول على بعضهم البعض، وما سببته كذلك من تعرض لبعض الشخصيات الإسلامية، التي قدمت الكثير للإسلام، وخدمته بكل نزاهة وصدق. واللوم هنا لا يلقيه " السنعوسي " على رجال الدين وحدهم، بل يتحمل

¹ سعود السنعوسي: فئران أمي حصة، ص 51.

² المصدر نفسه، ص 421.

العامّة كذلك جزءاً من المسؤولية، نظير جهلهم وقلة وعيهم بما يدور حولهم من أحداث، وما يحاك ضدّهم من مؤامرات، إذ كانوا لقمة سائغة في أيدي أعدائهم، ولم يتشبثوا بوحدهم، أو يدافعوا عن ما كان سائداً بينهم، من علاقات مبنية على الألفة، واحترام الآخر؛ "التفت إلى قفص الدجاجات خوفاً من فأر عابر يعكر على صفو الصباح، رغم تأكيد أمي حصة أن الفئران لا تجرؤ على الاقتراب من قفص الدجاجات ما لم تكن إحدى بيضاتها مكسورة، ولا تتخلى الدجاجة عن بيضتها، للفأر، إلا إذا رأت زلها مهدورا!"¹، وهذا تماماً ما كان من أمر شخصيات الرواية التي تخلت عن علاقات الجوار والترابط الذي كان بينهما عند أول حادثة تعرضت لها، وكأن هذه العلاقات لم تبنى على أساس متين، هذا ما ينعكس على واقع المسلمين والصراعات التي تدور بينهم وتزيد من ضعفهم ووهنهم، وهذا ما يجعل الكاتب يتساءل عن السبب وراء هذا فيقول: "ماذا لو يبعث الأطفال الذين كفنوا في داخلنا من جديد، وإن كان ماضيهم محض خدعة أزيح الستار عن حقيقتها اليوم! هل كان جونا صافياً بحق؟ وهل كانت قلوبنا؟"².

فالعلة ليست في الأحداث وحدها التي أثارَت نار الفتنة بين الكويتيين، ونشرت التطرف الديني والطائفية بينهم، بل العلة كذلك في القلوب التي أخفت الضغينة والحقد وأوهمت من حولها بصفائها ونقاها، ثم بينت حقيقتها عند أول فرصة أتاحت لها.

"صبيحة يوم الأربعاء. في غرفة الأخصائي الاجتماعي المصري، في زمن كان لغير الكويتي وجود في هذا البلد الذي ما عاد فيه وافر عدا قوت حفظ السلام العالمية، تنتشر بقبعاتها الزرقاء، حول المنشآت النفطية وبعض المناطق المضطربة، وقوات درع الجزيرة، التابعة لما تبقى من دول لن تنشق عن مجلس التعاون الخليجي، تفض اشتباكات الفريقين المتخاصمين، وجماعات متطرفة وفدت إلينا من الخارج بعدما أشرعنا لها أبواب الداخل"³.

ويعود "السنعوسي" ليؤكد أن السبب الرئيسي في تفشي ظاهرة التطرف الديني، في المجتمع الكويتي أو المجتمعات الأخرى، هو ضعف مناعتها ضد ما يستجد في البلاد من أحداث وآفات، والتي لا يمكن أن تفتك به لولا انكساره، وانشاققه، وتصدعه من الداخل، لكنه في المقابل لم يغفل ما سببته بعض الطفيليات التي دائماً

¹ مصدر سابق، ص 54.

² المصدر نفسه، ص 50.

³ المصدر نفسه، ص 27.

ما تنتهز الفرص، فتزيد من سعة الفجوات، وحجم التصدعات والتشققات لتبلغ غايتها وأهدافها بكل يسر، ودون جهود يذكر.

فاعتبر أن غايتها في حفظ السلام في بلد يتخبط في أزمة التطرف والطائفية، ما هي إلا ذريعة تغطي غايتها الحقيقية لسلب الخيرات والثروات التي تتمتع بها البلاد، ومع أن الكويت لا تعيش وضعا كهذا، بل هي أحداث من خيال الكاتب، إلا أنها في المقابل تعكس حقيقة الوضع الذي تعيشه الكثير من البلدان العربية والإسلامية، في ظل تمهات الأجنب عليها، وكيدهم لها والطمع في خيراتها، وهذا نتيجة ضعفها، وهوانها، وانتشار الفتنة داخلها، تماما مثل البيوض المكسورة التي تنهات الفئران عليها فلا تجد الدجاجات سبيلا لردعها.

وقد يكون السبب وراء انتشار التطرف الديني وتفشيه نقل أفكار وآراء مغلوطة ومفتركة، قصد زرع المزيد من الفتنة، إذ تستغل بعض الأطراف الوضع، وتنتهز الفرص المناسبة لتفرض أفكارها على حساب أفكار أخرى؛ "ليست فتوى بالمعنى الحرفي بقدر ما هي رد فعل فوري إزاء تصريح شبكة الملاحدة. تنقلص أمعائي لسماع الاسم. تنطلق صافرة سيارة إسعاف تتعد عن موقع الانفجار. أسأله: وما دخلنا نحن بالشبكة؟! يلوذ بصمته ينتظر خفوت الصافرة. ويوضح: شبكة الملاحدة... تشيد، عبر موقعها بالإنترنت، بحلقة "حديث اليوم" وقصيصة "المجد للظلام" يقولون أنها مؤشر لصحوة من غفلة الدين. أقاطعه: ولكننا. يقاطعني: ولكنهم استخدموا القصيدة بما يخدمهم. أنت تعرف، منذ إعلانهم عن الشبكة وهم، كما يفعل الآخرون، يجيرون كل شيء لصالحهم"¹.

وحسب ما ذهب إليه "السنعوسي" فإن مثل هذه الشبكات يصعب التعامل معها، أو الإفلات من قبضتها لاحترافها فن التلاعب والمراوغة، ولا بد على المرء أن يكون فطنا أمام تهديدات وأساليب كهذه، ليستطيع التخلص من شركها، والملاحدة في الرواية يمثلون ذلك التيار المتطرف الذي اختار أن يكون ضد أي مظهر من مظاهر الدين، معتبرا إياه سببا لنشر الجهل والظلام من جهة، وسببا في استعباد الناس وزرع الخلاف بينهم من جهة أخرى، وقد أظهرت الرواية من خلال شخصياتها، موقف الكاتب من الإلحاد والملحدين، إذ اعتبر إنكار هؤلاء للدين سببا آخر لتزايد الأزمة، من خلال ما تبثه من أفكار مستفزة لمشاعر المسلمين والمتدينين بصفة عامة، إذ تنفي هذه الآراء حاجة الإنسان للدين أو المعتقد، بل وتعتبر الدين غفلة، لا بد أن يستيقظ البشر منها

¹ مصدر سابق، ص ص 109-110.

ليعم السلام و الهدوء مرة أخرى، ونتيجة لهذا الفكر وتأثيره في الفكر الإنساني، وكذلك ما عرفه العالم من حروب وصراعات تسببت فيها آراء دينية متشددة ومتعصبة، ظهر الفكر الإلحادي كردة فعل اتجاه التطرف الديني، لكن في المقابل كان مجرد صراع بين فكرتين متطرفتين بعيدتين تماما عن الوسطية والاعتدال.

التطرف الديني لا يأتي من العدم، ولكن أساليب التفكير وطرقه وما تنتجه من أفكار هي السبب وراء ظهوره وتفشييه، ولا يمكن في أي حال من الأحوال أن نعزل التطرف عن الفكر لارتباطه به. فالفكر هو ما صنع نظرة الأنا للآخر، وأخضعهما إلى عملية مقارنة شبه دائمة، وكأن الأنا لا يدرك حقيقته إلى بوجود الآخر، وفي المقابل فإن هذه النظرة قد تتغير بفعل ظروف معينة، فتصير نظرة تحمل العدائية والكراهة، بل ويسعى الأنا للتضييق على الآخر وإقصائه؛ "جلست وفهد، وحدنا، بعد أيام في الديوانية وقت هاتفه أبوه يسأل: عباسو وياهم؟! "ماكنت أعرف شيئا لولا أخبرني فهد عن إقامة مجلس تأييني، في جامع الإمام الحسين، لأحد عناصر حزب الله. كانت الصحف قد أشارت إلى اسمه قبل عشرين عام ضمن المتورطين في قضية اختطاف طائرة الجايبيرية. كان، وفق ما يراه الطرفان، نفق أو استشهاد، في سوريا قبل أيام، سألته بعدما أتمى مكالمة أبيه من دون أن يجيبه، إن كان عباس هناك بالفعل أطلق زفرة يقول: "عمي عباس وصادق" أسندت جبيني إلى كفي ألعن مسرحية تافهة. جميعنا أبطالها. يديرها مخرج فاشل أو ربما ذكي إلى حد نجعله احتقاننا الطائفي وصل حدا لا رجعة بعده، في الوقت الذي كان فيه المؤمن في اللامكان، انشطنا نصفين، نشغل بمصيره: في الجنة، لا، في النار. ولم يكن في الدر عدانا، وقت صار، ما أمضينا حياتنا نخفيه في نفوسنا، يتمثل في مقالات على صفحات الجرائد صراحة، أو سجلات علنية في البرلمان، نصرف إليها الناس، في الوقت الذي كنت فيه ساذجا لا أزال أكتب قصصا رمزية في حذر"¹.

فكانت هذه الطريقة في التفكير سببا في ظهور التطرف الديني، حسب ما ذهب إليه "السنعوسي" في الرواية حين صارت كل طائفة تقارن معتقداتها ومعتقدات طائفة أخرى، والذي يراقب الزلات ويترصده الأخطاء وكأهم يتأهبون لمحاكمة، الكل فيها متهم والكل فيها بريء أيضا، إذ راح الجميع يدافعون عن انتماءاتهم وجماعاتهم ويدعون أن الحق معها، وفي المقابل ينعتون غيرهم بالانحراف والكفر والخروج عن الدين، وإضمار الشر للمسلمين، وفي ظل هذا التفكير العدائي تصاعدت أزمة التطرف الديني، وظهر معها الصراع الطائفي نتيجة لذلك التأزم الفكري الذي لم يستطع المسلمون هدمه أو على الأقل إخفائه، وكان الأمر خرج

¹ المصدر السابق، ص 386.

عن طورهم ولم يبقى تحت سيطرتهم، بل هم صاروا تحت السيطرة، وصارت صراعاتهم مادة دسمة للإعلام، أخبار يومية تناقلتها الصحف والمجلات عن تطرف ديني، وإرهاب، وصراع طائفي، لكن في المقابل يتعرض أي متحدث عن الأزمة خارج هذا الإطار إلى مضايقات ومصادرة للحرية الفكرية، كأنه المسبب الأول للأزمة، أو الداعم لها.

الدين حسب "السنعوسي" لم يكن السبب في ظهور التطرف في المجتمع الكويتي، أو سببا في تفشيهِ وانتشاره في العالم الإسلامي، وإنما كانت طريقة التفكير هي السبب وراء ذلك. والتفكير هو الآخر لم يكن منعزلا عن الظروف التي مرت بها الكويت، بل تأثر تأثرا بالغا بكل ما كان يقع من أحداث متتالية، غيرت كثيرا من المفاهيم والقيم وأسس التعامل بين الكويتيين؛ "لا أدري ماذا يدور في رأس كل واحد منا في نوبة خرس. صويت عيني إلى الشاشة ولم أشاهدها. تذكرتنا صغيرين، فهد وأنا، نتقمص جندين عراقيين هتف، نهوس، ونعد الأمة بنصر من الله قريب. تذكرتنا، صادق فهد وأنا، نجتمع حجارة صارت تلافي حوش آل بن يعقوب، لعلنا نصير أطفال حجارة. تذكرت فوزية و "بلاد تطلب المعالي تذكرت صالح وصورة الرئيس. تذكرت عباسا وصورة روح الله. تذكرت أمي حصة تبجل فهد الأحمد، الشيخ الشهيد، الرجل، الذي حارب اليهود. تذكرت حديثها الليلي عن زوجها منصتا إلى خطب، الزعيم، جمال عبد الناصر، يطرب لحديثه. تذكرت كل شيء، وعينان على الشاشة ثابتتان تذكرت وأدركت كم كنت فئران تجارب في معمل كبير يديره من؟"¹.

فأحيانا ينشأ التطرف نتيجة تلك الانفعالات التي ترافق أحداثا غير متوقعة، يتعرض لها الأفراد والجماعات بدرجات متفاوتة، والرواية قد رصدت جانبا من هذه الأحداث، وكيف كان تفاعل الكويتيين معها، وكيف كانت سببا مباشرا في ظهور التطرف الديني، من خلال تلك الفرقة التي بدأت تثيرها بين الطوائف المختلفة، حين تعاملت كل طائفة حسب خلفياتها العقدية وانتماءاتها الفكرية، فخلق هذا الاختلاف جوا من الصدام وتضارب الآراء الذي أدى بدوره إلى التعصب لجماعات وشخصيات تمثلها، وتعبير عن أفكارها.

ولم تكن عائلتا "عباس" و"صالح" إلا محاكاة لما ساد بين الأسر الكويتية عقب الأحداث التي ألمت بها، حين تعصبت عائلة "عباس" لـ"إيران" و"الخميني" أثناء حربها مع "العراق"، بينما أظهرت عائلة "صالح" مساندتها لـ"صدام حسين" باعتباره سنيا، وهكذا انقسم الكويتيون وبدأت بوادر التطرف تظهر إلى أن تأزمت وصارت في النهاية إرهابا دينيا مسلحا.

¹ مصدر سابق، ص ص 359-360.

فقد كان تأثير الزعماء السياسيين بالغاً على الشارع، ومتحكماً في الكثير من ردود الفعل، فكان تماماً مثل وصف "السنعوسي": "فئران تجارب ي معمل كبير"، إذا انجر الشارع الكويتي وراء ما تثبته بعض الشخصيات من خطابات فيها تعصب وتطرف، دون تمحيص أو غربلة لتلك الأفكار التي تسربها، فكان هذا التأثير على حساب العلاقات والمعاملات بين الكويتيين.

صحيح أن أطرافاً كثيرة كانت سبباً في بروز التطرف الديني وظهوره للعلن، إلا أن أكثر الأسباب التي أدت إلى ذلك حسب "السنعوسي" هي جهل الناس، وقلة إدراكهم لحقيقة الوضع، إذ يصدقون كل ما يرد في التلفاز أو في وسائل الإعلام، ولا يتيحون لأنفسهم أية فرصة للاعتراض على ما يتم حشو عقولهم به، فسواء كان صواباً أو خطأ لا بد أن يُتبع لأن الشيخ فلان قال ذلك، أولاً لا بد أن نمنعه لأن الشيخ فلان منعه، حتى لو كان الأمر من باب الاجتهاد، ولم يرد فيه نص شرعي يقر بصحته؛ "كانت مسرحية مجانية ساحرة، لا تهنأ بنا نحن الحضور، بشكل فج، اصطف ضيوف الندوة. وزراء سابقون ورجال دين وأعضاء برلمان، وراء المنصة كل ينتظر دوره خلف ميكروفونه. يبدأ أحدهم خطبته بالصلاة نفسها ولكن، وقوفاً عند آله من دون صحبه. يتفاعل نصف الجمهور مع هذا، ونصفه الآخر مع ذلك. تحدثوا كثيراً وأنا أتململ في جلستي. كنت استمد صبري من الأمل في وجه أيوب وهو يغير زوايا التصوير يحضر لخبر نظيف ينشره في غد متسخ".

ومجتمع كهذا لا يعاني من قلة الوعي وحدها، ولكنه يعاني من أزمة التبعية، حين سمح أن يخضع لسلطة واحدة؛ إما لسلطة السياسة وما يلقونه من خطب وشعارات براقية، أو لسلطة رجال الدين وما يصدرونه من فتاوى.

فـ"السنعوسي" إذا لا يرى المجتمع من التطرف الديني، فغفلته هي التي تسببت في تمادي كل من يستغلون جهلهم لأغراضهم، يثيرون صراعات ونزاعات لا مبرر لها، ليتحمل الشعب وحده أوزارها وتبعاتها، بل ويبقى وحده المسؤول عنها، في ظل تملص هؤلاء منها، إذ احترقوا النفاق والكذب، فاستمالوا قلوباً ضعيفة، وخذعوا عقولاً أقرب إلى الجهل والسذاجة؛ «كنت ألتفت إلى فهد وصادق وضاي في استغراب إزاء استخفاف رجال المنصة. وقت صفق الجمهور بحرارة، وارتفعت الهتافات: وحدة وحدة وطنية! (...). وقف أحد الضيوف المعروفين بفسادهم المالي يخطب، تظهر صورته وراءه على شاشة كبيرة. يحرك ذراعيه بروح مسرحية وأداء تعبيري مبالغ. يصرخ والزبد يتجمع في شدقيه: رغم العاصفة...تجمعنا عاطفة...ولا تفرقنا طائفة...و...»

انفلت لساني عند أذن فهد: "شوف ابن الكلب إيش قاعد يقول؟"¹.

والسبب وراء التطرف الديني ليس خطابا سياسيا أو دينيا متطرفا فقط، وإنما كان سببه بعض الأحيان تحالفا خفيا بين بعض الساسة ورجال الدين الذين اتبعوا سياسة التحريض، وتبادلوا التهم فيما بينهم، فأشعلوا نيران الحقد والكراهية بين مؤيديهم، وزادوا من حدة الصراع حين ربطوه باختلافاتهم الفكرية والعقائدية، ومع أن هذه الاختلافات في جوهرها هي اختلافات في طرق التعبد والتقرب إلى الله، واختلافات اجتهادية في فهم الدين، إلا أنها استغلت من طرف هؤلاء لتشتعل نار الفتنة بين المسلمين، فانتقلت من مجرد أساليب عبادة إلى تطرف ديني وصراعات طائفية دموية في غالبيتها.

هناك فرق بين عدم الاعتراف بالأزمة للجهل، وبين من يتعمد تجاهلها لتستمر ولتزيد وطأها أكثر مما هي عليه؛ "انتقل الميكروفون من يد إلى أخرى. الأصوات تختلف والكلام واحد. اتفقت العمامة واللحية والبشت، السياسة والدين، ليلتنا تلك، على الكلام ذاته: "الأمور طيبة ونحن نخير ختم عضو في البرلمان بأن ما يجمع الطائفتين أكبر، وأن لا صحة لما يشيعه المتربصون بأمن الوطن حول صدع بين الطائفتين، وكلام صور لنا بلادنا جنة، وأن كل ما يجري لا يعد كونه كذبا وافتراء وخيالا في نفوس مريضة. وكما ينبغي، كان لابد أن يستشهد بحديث النبي حول الفتنة ولعنة الله على من يوقضها"².

وفي الوضع الذي وصفته الرواية، صار من العبث والحماسة وضع احتمال الجهل بالأزمة كعذر لعدم الاعتراف بها، وكيف يكون ذلك وأسماء الشوارع تتغير عنوة، والجثث تتساقط، والطوائف تتناحر بين أطراف الجسور والمدن، فهل كل هذا لا يثبت ما تمر به البلاد من أزمة حقيقية؟ "أصبت بخيبة كبيرة. أنا الذي أقفلت ديوانيتي وأوشكت على خسارة أصحابي جراء سم تجرعوه في بيوتهم صغارا. أنا الذي عانقت خرسى منذ أن رفعت والدي كفهأ تهدد بأن تصفعي على شفتي إن أنا تفوهت بكلمة. تذكرت مشاجرتي الأولى في المدرسة. كأنها حدثت للتو. الدماء على قميص صادق. الذل في وجه فهد، يبكي بين صبيين يمنعانه من نجدة صاحبه. إغمائتي على الرصيف البارد وسقوط سني"³.

فـ "السنعوسي" يرى أن هذا التعطيم سبب آخر لتصاعد أضرار الأزمة، وتأجيل إيجاد حل لها، وما هذا إلا لغاية يسعى إليها أولئك المستفيدون من تفشي التطرف والطائفية، فحين يقف هؤلاء يدا واحدة لتجاهل

¹ مصدر سابق، ص 387-388.

² مصدر سابق، ص 388-389.

³ المصدر نفسه، ص 389.

الظاهرة لا بد أن يكون الوضع مشابهاً لَمَّا بدأت ملامحها، فسعت نفس الأيادي متحالفة لإبراز هذا المرض وإهلاك الأمة، وما تحاول الرواية إظهاره هو استخفاف هؤلاء بالأزمة، وما يمكن أن تسببه من كوارث، قد لا يتسنى لأحد معالجتها، فالاعتراف بهذا الوضع على أنه مشكلة حقيقية وجب البحث عن حلول لها، هو أول خطوة للعلاج لكن في المقابل إن لم يتم الاعتراف بها فلن يكون ذلك إلا سبباً آخر لتفاقم المشكلة وزيادة مخاطرها، "كانت المداخلات كلها للحضور من الشخصيات المهمة، في مقاعد الصف الأول. بما يشبه اتفاقاً مسبقاً"¹.

هو اتفاق أو تحالف ضد عدو واحد في الحقيقة هو الشعب الجاهل، الذي تغريه الشعارات البراقة، والخطب والآسرة، والكلمات الرنانة، التي تفعل فعلها بالعقول والقلوب معاً، ليصير أصحابها مجرد آلات تُستغل وقت الحاجة دون تفكير أو اعتراض حتى، "أحنا مو بهامم يضحكون علينا هدول!"².

فكان هذا هو الرد الذي تمنى "السنعوسي" أن يقابل به أولئك الذين احترقوا السخرية والاستهزاء والكيد للمجتمعات بكل برودة وغياب تأنيب الضمير؛ "سؤال واحد بصقته في وجوه أراجوزات المنصة. ما دامت الفتنة نائمة. ومادام ذلك الشيء المبحلق المتربص بنا شيئاً آخر غيرها. وما دمنا ملائكة إلى هذا الحد، ومادامت بلادنا حنة، وأمورنا طيبة ولا خوف علينا في ظل حكومتنا الرشيدة: ما الذي يدعوكم إلى إقامة مثل هذه الندوة؟!"³.

سؤال يطرحه "السنعوسي" على لسان إحدى شخصيات الرواية، موجهها للذين يتهربون من الحقيقة؛ إما لتواطئهم فيما سببته الفتنة، وإما لعجزهم التام عن مجابتها ومجاهمة من يثيرها فعلاً، وبهذا فظلوا خداع أنفسهم وخداع غيرهم، لتغطية أفعالهم، أو لإخفاء خوفهم، فكانوا تماماً مثل الدمى، لا سلطة لهم، أياد أخرى تتحكم بهم فصاروا يُظهرون ما لا يضمرونه، فما يحدث في الكواليس لا يشبه تماماً ما يودون إظهاره للناس والعامّة، ولأن أغلب الناس لا يفرق بين المزيف والحقيقي، فإنهم ينجرون وراء كل ما يرونه ليصيروا هم أيضاً مثل أراجوزات المنصة، تتحرك إذا حُرِّكت، وتشل إذا قُطعت الخيوط التي تربطها بالأيادي.

¹ المصدر السابق، ص 389.

² المصدر نفسه، ص 390.

³ مصدر نفسه، ص 390.

"ذكرنا الله في مخفر الشرطة وقت إمضائنا على تعهد بعدم تكرار الفعل. كانت ليلة وحدة وطنية بامتياز! من دونها (...) تجمّعنا نحن الخمسة، من دون تحفظ. تحلقنا في اليوم التالي حول الجرائد نقرأ عناوينها: مندسون يفسدون ندوة الوحدة الوطنية!"¹.

وهي حسب "السنعوسي" وحدة وطنية بين تلك الأطراف التي تحالفت لتوقف أي محاولة للتصدي للأزمة، تواطؤ بين بعض السياسيين، ورجال الدين، والإعلام للتشويش على الحقيقة، ليبينوا للعالم أن كل شيء على مايرام، ولا شيء يدعو إلى القلق على الإطلاق، أولئك الذين لا يقرون بوجود الفئران حتى إذا استحالت البلاد كلها طاعونا.

الأسباب حسب الرواية متعددة، فلم يتهم "السنعوسي" طرفاً واحداً أو يحمله كل المسؤولية؛ بل رأى أن الجميع مسؤول عما تمر به الكويت أو باقي البلدان العربية من اجتياح التطرف الديني لها، سواء كانت العلة في طريقة التفكير، أو في الفهم، أو في الموروث الإنساني أو في استغلال بعض الأطراف للجهد السائد، فإن الكل في النهاية قد ساهموا بدرجات متفاوتة فيما آلت إليه الأوضاع، من تفشٍ للتطرف الديني وظهور للصراع الطائفي.

¹ المصدر نفسه، ص 391.

المبحث الثالث: معالجة التطرف الديني في الرواية.

من الصعب البحث عن حلول للظواهر والآفات التي تحتاج المجتمعات، وتفتك بها، خصوصا إذا لم يكن هناك اتفاق حول أسباب الظاهرة، أو حتى الاعتراف بها كمشكلة تحتاج إلى حل فعلي، أم أنها مجرد تهيولات لا أساس لها من الصحة، والتطرف الديني ظاهرة دار الكثير من الجدل حولها، وأسالت الكثير من الحبر خصوصا مع ما تعرفه البلدان الإسلامية من انتشار لها.

وفي ظل كل هذا تقف رواية "فئران أمي حصة" كنص أدبي يحاول "السنعوسي" من خلاله أن ينفذ الغبار عن الظاهرة، ويضع يده على الجرح، وذلك في قالب أدبي متميز، وأسلوب فني جمالي يقدم فيه التطرف الديني للقارئ بشكل أبعد ما يكون عن رتابة أنواع الخطاب الأخرى، إذا فهو خطاب أدبي إبداعي يحاول من خلاله تقديم الحلول والاقتراحات الممكنة التي من شأنها أن تكون نجاة من الأزمة.

وقد أشار "السنعوسي" إلى طريقة التفكير الصحيحة، التي لا بد أن يتبناها المسلم ليستطيع تقبل الآخر رغم اختلاف مذهبه أو طائفته، باعتبار أن الإسلام هو الصفة الموحدة لجميع المسلمين، وأي حياد عنها يعني الخروج عن الطريق المستقيم، والانحراف عن الوسطية والاعتدال؛ "بالله الذي رفع السماء: لولا الدماء في فمك لصفعتك على شفتيك! أطلقت قسمها وهي تمد لي كأس الماء بالملح لأتمضمض وأوقف نزيف سني الساقطة. كنت معها في غرفة الجلوس، في زبي المدرسي، أسند ظهري إلى الباب لا أزال بقلب ينتفض بعد مشاحرة المدرسة. أردفت تمز سبابتها: "أنت مسلم وبس... ما يكفيك؟!"¹.

¹ سعود السنعوسي: فئران أمي حصة، ص 39.

والمسلم ليس بحاجة إلى التحزب أو التمذهب ليثبت إسلامه، بل يكفي أن ينطق بالشهادتين، ويقر بالرسالة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، والنظر إلى اختلاف مذاهب المسلمين على أنها اختلافات اجتهادية يتبع ما بدى له صوابا منها دون عزل غيره أو إقصائه، أو اتهامه بالانحراف والكفر، ثم إن باب الاجتهاد محب وفيه تخفيف على المسلمين، ودفع الحرج عنهم، والدين الإسلامي لم يكن أبدا ديناً متحجراً أو صالحاً لزمان دون آخر، بل هو دين لين يناسب كل الأزمنة، والاجتهاد لا زال مفتوحاً إلى يومنا هذا من أجل استنباط الأحكام بما يناسب ظروف العصر، وتغير أحوال المسلم، وما استجد في حياته؛ "إن جزءاً كبيراً من الاختلافات المذهبية بين المسلمين عامة ينبني على هذين الأمرين، أحدهما معرفة أخبار الآحاد وعدم معرفتها. والثاني: اختلاف في وجهات النظر الاجتهادية. فحدوث هذا الاختلاف في الجهود الاجتهادية أمر طبيعي وفطري"¹، وقد ظهر من خلال الرواية تطرف الشخصيات وتحجرها، وتعصبها للطوائف التي تنتمي إليها، فلم يكن بينها تواصل غير الصراع والتزاع، إذ لم تعترف أي منها بالآخر، أو بضرورة احترامه والتعامل معه دون اعتبار للانتماء الطائفي، وما تمثله شخصيتا "صالح" و"عباس" يعكس الكثير مما يسود العالم العربي والإسلامي عموماً من نبذ الآخر، وكرهه، واحتقاره، وتحييز إلى الجماعة، ورفض لكل ما يخالفها. وحسب الرواية كان من الصعب التعامل مع شخصيات كهذه، إذ كانت تفرض تشدها على أهلها، وتمنع عليهم أي اتصال مع غيرهم، وعبارة مثل: "إنت مسلم وبس... ما يكفيك؟!"² لم تلق رواجاً أو قبولاً لدى الكثير، ليس لأنها غير صائبة، ولكن لأن العقول المتحجرة رأت أنها تهدد تحزبها الذي يمثل لها أهمية أكبر من الانتماء للإسلام نفسه، ومع عقول كهذه ليس من السهل إقناعها بضرورة التخلي عن التطرف، وتقبل الآخر على ما هو عليه، فالكل يرى أن الحق أحق أن يتبع، لكن تعدد الآراء في النظر إلى الحق وتحديدده هو سبب وجوه الخلاف، ومع هذا الخلاف يبقى حل الأزمة مؤجلاً إلى حين، أو ربما لن يصل إليه أحد، لأنك إن اقترحت أن يلتزم كل اتجاه بما يؤمن به، دون صراع مع الآخر، فإن الكل يتفق على إجابة واحدة، أن الوضع لن يستقيم بهذه الطريقة؛ "دخلنا في حرب تسميات، بين ضاوي وصادق، غزو العراق أو تحريره. لا أدري كيف يجرنا كل نقاش إلينا في النهاية. القاعدة الأمريكية في جزيرة فيلكا. الأساطيل الأجنبية في مياه الخليج العربي تارة، والفراسي تارة أخرى، بدأت الملاحظة كمزحة يناكف بها واحدهما الآخر اتخذت المزحة منحى خطيراً اختلفاً، أرتفع صوتهما. كان اسمه، صار. قبل بعد، في خرائط قرون مضت، حقيقة، إدعاء. تزوير

¹ مناظر أحسن الكيلاني: تدوين الحديث، تر: عبد الرزاق أسكندر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 2004م، ص 246.

² سعود السنوسي: فئران أمي حصّة، ص 39.

تاريخ. فاطعتهما مستخفاً بجديّة لا تناسب الموضوع. أدعو كلاهما لتسمية خليجه وفق قناعته وإنهاء الأمر، اتفقا بردهما: "ما يصير!"¹، وهكذا يحترف الكل الجدال واختراع الحجج والبراهين، لكن في النهاية لا أحد يقنع الآخر أو يقتنع برأيه، مجرد جدال عقيم لا يوجد طريقاً إلى بر الأمان، فتبقى الحلول مؤجلة ما دام الجميع متعصبين لرأيهم ومتطرفين لجماعاتهم.

ومع هذا فإن الرواية قد حاولت تقديم رؤيتها للحلول التي يمكن أن تعالج الظاهرة، أو على الأقل أن تخفف من حدة الأزمة، التي صارت مثل الوباء الذي ينتشر فيفتك بالجميع دون استثناء، و"السنعوسي" من خلال روايته لم يهمل ما ظهر من اقتراحات وعمليات تصدي لأزمة التطرف، لكنه في المقابل يقدم إنتقاده لهذه الإجراءات التي صعّدت من الأزمة وزادت من وطأتهما، فلم تنتج إلا مشاكل أخرى تضاف إلى ما تعانيه البلاد من شقاقت وصراعات، ونزاعات لا نهاية لها، فكانت هذه الحلول تماماً كمن يصب الزيت على النار فيزداد لهبها؛ "أنظر إلى أيوب بالكاد ألمح ابتسامته، راحت الصبية تروي حكايتها. منذ اقتحم بيتها أفراد ملثمون، يرتدون الأسود، قبل ثلاثة أيام. يجرون والدها على الأرض بعدما أسعوه ضرباً أمام بناته، بسبب نشاطه ضمن جماعة مخالفة للقوانين العرفية"².

فكان الحل الذي اختاره هؤلاء أن يجاربوا الاختلاف، ويحققوا الوحدة الإسلامية باستخدام العنف، ووضع حد للآخر باستئصاله تماماً، وإقصائه من الوجود، فإما أن يجيد عن ما هو عليه، أو تكون نهايته الموت. وكما بينت الرواية فإن الروافض والنواصب كلاهما اختارتا الحل ذاته، فإما أن يكون الحكم لفريق واحد، أو لا يكون إطلاقاً. صحيح أن حلم المسلمين أن يتوحدوا ويكونوا في صف واحد، وتكون كلمتهم واحدة، وينبذوا هذا الخلاف الذي بينهم، إلا أنه في المقابل ليس من الحكمة أن يكون هذا الحل على حساب أمنهم وسلامتهم، لأن هناك فرقا كبيرا بين الدعوة إلى الحق و بين الدعوة إلى الإرهاب، وما يراه هؤلاء جهادا في سبيل إظهار الحق، ما هو إلا إجرام في حق الأبرياء الذين لا حول ولا قوة لهم، وهذا أبدا لا يعتبر حلا بل هو إنذار بهلاك الأمة.

ثم تعرج الرواية على طريق آخر سلّكه البعض لما رأوا أنه الحل المناسب لتخرج البلاد من أزمة التطرف الديني؛ "يهمس أيوب": "إنتبه" أنتبه إلى ضوء هاتفه يزيح ظلمة عن جسد متكوم على درجات السلم. أنحني على الجسد أتحقق من هويته لربما يكون. ولكنه لم يكن. جثة شاب يبدو في أوائل الثلاثين بنظارة طبية سميكة

¹ المصدر نفسه، ص 360.

² مصدر سابق، ص 304.

الإطار. يضم ذراعيه إلى صدره يحضن أوراقا أمسك بواحدة أسأل أيوبا أن يقرب ضوء الهاتف، تتضح حروف العبارة على الورقة: "الدين غفلة!"¹ إقصاء الدين تماما من فكر البشر، لأنه السبب في كل ما آلت إليه البشرية، فهو سبب الخلاف في الماضي والحاضر، وربما حتى في المستقبل، فإذا أرادت البشرية أن توقف صراعاتها ونزاعاتها وحروبها وتعيش في سلام، ودون سفك للدماء فلا بد أن تتخلى عن معتقداتها.

والملاحظة في الرواية قد شكلوا هم كذلك شبكة خاصة بهم، تشكك في حاجة الإنسان للدين، بل وتفرض أن حياته ستكون أفضل من دونه، لأن الكل يتصارع ويتجادل حول أي دين يمثل الدين الحق، ويمثل التشريع الإلهي الصحيح، وعن أي فرقة تمثل الفرقة الناجية من بين الفرق الأخرى، ولهذا يرى هؤلاء أنه لم يعد هناك مجال للنقاش بين الأديان أو الفرق، بل إن الحل الأقرب إلى المنطق، والذي يمكن تطبيقه هو أن تتخلى البشرية عن الدين، حتى لا تجدد سببا آخر يدعوها للحرب أو النزاع، وكأن الدين هو السبب الوحيد الذي يثير النزاع بين البشر.

ومن الواضح في الرواية رفض "السنعوسي" لهذا التوجه وأصحابه، من خلال الشخصيات التي أبدت معارضتها لما كانت تثيره شبكة الإلحاد من أفكار وآراء تنقص من قيمة الدين وأهميته في تحقيق العدل والمساواة بين البشر، مع أن الدين الإسلامي في جوهره بريء من كل الاتهامات التي تطاله، إلا أن هؤلاء قد تطرفوا في آرائهم فواجهوا بذلك التطرف الديني بتطرف أكثر منه خطورة. وبين من يرى أن السبيل لردع الفتنة وقطعها في إقصاء الآخر ومواجهته بالغلظة والخشونة ذاتها، وبين آخرين يرون أن معالجة الأزمة تكون بالتخلي عن المعتقد، يفضل البعض حلا آخر؛ "يرن هاتفني منبها إلى رسالة: "والله اللي رفع السماء إذا ما تركت الكويت... لا إنت ولدي ولا أنا أعرفك!"² الهروب من الأزمة، والاستسلام لها، لفناعتهم بأنها ظاهرة لا حل لها، تماما كالأزمات المزمنة التي ترافق صاحبها حتى الموت، وقد يكون هذا الموقف مبررا إلى حد ما، خصوصا مع ما يسود من انتهاكات للحقوق والحريات، وفرض وإكراه لما لم يلزمه الشرع، وفي ظل هذا الوضع وعدم وجود أي بصيص أمل في النجاة من الأزمة، قرر الكثير من الكويتيين حسب ما جاء في الرواية اللجوء إلى بلدان أخرى بحثا عن الأمن والاستقرار ولأن الكويت لم تعرف أحداث مثل هذه، بل هي مجرد توقعات ووقائع من نسج خيال الكاتب، إلا أنها في المقابل إشارة منه إلى ما تعيشه بلدان أخرى من تفاقم للأزمة، وما عرفته من هجرة للسكان ونزوح إلى بلدان قريبة أو بعيدة.

¹ المصدر نفسه، ص 301-302.

² المصدر السابق، ص 435-436.

"هنا هنا... الملتقى هنا... إخوة مسلمون... إلتم شملنا!"¹.

وهو الحلم الذي تشاركته العديد من الأطراف والجماعات في العالم الإسلامي، فراحت كل طائفة تسعى لتحقيقه حسب توجهها الفكري، وقناعاتها العقائدية، وكانت رواية "فئران أمي حصة" فضاء يسלט الضوء على هذه الإيديولوجيات وتعددتها، والتي رسمت طرقا للتعامل مع الأزمة والخروج منها، والرواية كذلك ومع عرضها لهذه الأفكار والاختلافات فيما بينها، عرضت في المقابل إيديولوجية الكاتب خاصة، والذي حاول من خلال إحدى شخصياته أن يسربها للقارئ، لتعبر عن الطريقة التي يرى أنها الأنجح إلى حد ما، لتكون سراجا منيرا يبدد الظلمة الحالكة التي يتخبط فيها العالم العربي والإسلامي.

فكانت الخطوة الأولى التي لا بد منها للوصول إلى حل لهذه الأزمة أو التقليل منها على الأقل، هي الاعتراف بها والإشارة إلى كل ما يدور حولها بشكل مباشر دون تحفظ أو إخفاء لحقيقة الوضع؛ "كنا في حاجة ملحة إلى من يشير إلى الجرح صراحة، وإن استدعى الأمر فتقه وهدر دمه الفاسد"²، فالتستر على مثل هذه الظواهر لا يؤجل فقط التخلص منها، بل يزيد من انتشارها وتفشيها، وكذلك خطورتها وأضرارها، وفي ظل هذا يصبح من الصعب التحكم فيها أو كبجها.

وما يحدث في العالم العربي مماثل لما سردته الرواية، فبعض البلدان قد بلغت وضعا كارثيا، أكثر مأساوية وأكثر دمارا ودموية، بل والأدهى من ذلك أنها صارت عرضة لكل من هب ودب، ليحكم في شؤونها ويقرر مصيرها؛ "من خلال الرؤية الإيرانية لحل الأزمة السورية التي طرحها وزير الخارجية الإيرانية محمد جواد ظريف، نجد أن إيران تعفى نفسها من المسؤولية وتلقيها على كاهل السعودية وتركيا بالرغم من إسهام إيران بحظ وافر في تأجيج الحرب الأهلية بحضورها العسكري الميليشياوي وبحضورها الطائفي الذي زود الإرهابيين والتكفيريين بممرات إضافية لتكثيف هجراتهم وحضورهم إلى سوريا تحت راية "قتال الشيعة الغزاة"، وفيم يدعو ظريف القوى التي تستغل الإرهاب وتفرضه إلى جيد وسيء إلى نبذ الإرهاب كله (...). فمن الضروري كذلك نبذ الإرهاب الطائفي بكل أشكاله لأنه هادم للوحدة العربية ويهدد استقرار المنطقة العربية ويفتت العمق العربي ويجعله مكشوبا ضعيفا أمام أعدائه، فإذا كانت داعش مرفوضة ويجب القضاء عليها فالإرهاب الذي تمارسه الميليشيات الشيعية في سوريا وقبلها في العراق مرفوض ويجب وقف تمويلها ودعمها وتوجيهها إلى

¹ المصدر نفسه، ص 164.

² المصدر السابق، ص 387.

الداخل العربي"¹، ولهذا فلا بد من القيادات والمسؤولين عموماً في البلدان التي تحمل أعراض المرض أن يتحركوا ويجدوا حلولاً قبل أن يصير مرضاً مزمناً يصعب الشفاء منه.

و"الكويت" هي الأخرى بالنسبة "السعود السنعوسي" تنذر بحدوث كارثة قادمة إذ لم يتم علاج الأزمة في مهدها، والتعامل معها بأكثر حزم وجدية، وكل ما تخيله في الرواية من استفحال لظواهر كالتطرف الديني والطائفية، ثم انتشار الإرهاب، وتدخّل لقوات حفظ السلام الدولية، ما هو إلا تحذير من الأوضاع التي يمكن أن تبلغها "الكويت" إن لم تعترف بمشكلة التطرف الديني التي تعاني منها، وليست الكويت وحدها، وإنما أي بلد آخر يعاني من ذات المشكلة، ولم يقر بوجودها، حتى يبين لشعوب أخرى أن الوضع طبيعي، ولا شيء يدعو للخوف أو القلق، فيمكن أن يكون مصيره كذلك، فلا بد من التفكير أولاً في مصلحة الداخل، قبل التفكير في تأثير الوضع على العلاقات مع الخارج.

فالإشارة إلى جرح كهذا لن يكون من باب التهويل أو المبالغة في وصف الوضع، ولكن لا بد من ذلك حتى لا يصيبه التعفن، فيصل إلى مرحلة يكون الحل فيها الاستئصال لا غير، ومرحلة كهذه لن يكون فيها خير، بل ستجلب الدمار والدموية والهلاك، مرحلة يغيب فيها الحق فيسود الباطل، فيراه الناس حقاً. فمشكلة كهذه لا تحتاج إلى خمول أو كسل أو تهاون في التفكير، بل بحاجة ماسة إلى نظرة شاملة وفاحصة للوضع، يمكن من خلالها الوقوف على الأسباب والعوامل والظروف المختلفة التي أدت إلى ظهورها وانتشارها وبالتالي وضع حلول وطرق علاج جذرية لها؛ "مضت شهور أبذل كل ما في رأسي لإقناعهم، جماعة وطنية حقيقية، أطياها تضم أعضاء من كافة الأطياف. نحن ندق ناقوس الخطر ونسمي الأشياء بأسمائها، نحن في حال مقرفة. "الأمر لا يستدعي"، قال صادق بعدما ضحك على ما يراه مبالغة من جانبي: "تسوي من الحبة قبة" لم يمهلي أشرح بأن الحبة بالفعل صارت وربما خبيثاً: "جماعة بخمس أعضاء بس؟!"، قال مستنكراً فيما أبدى ضاوي تحفظاً التزم فهد الحيادة: "إللي تتفقون عليه" وحده أيوب كان متحمساً مثلي، ربما أكثر عرض أن يكون مقر الجماعة، إن إتفقنا، في شقته بناية أبيه في الجابرية"².

وهكذا تتضح رؤية الكاتب في معالجة التطرف الديني مع شخصيات "عيال فؤادة"، تلك الجماعة التي فقدت الأمل تماماً في كل الجهات السياسية والدينية لما رأت استهتارها في حل الأزمة، وتطورها فيها، ففضلت أن تحمل الجماعة على عاتقها مسؤولية مواجهة التطرف الديني، وإيجاد حلول جذرية، فكانت الفكرة أن تضم

¹ هشام النجار: سوريا التحولات الكبرى... مشكلات الوطن ومستقبل العرب، دار سما للنشر والتوزيع، د ب، ط 1، 2016م، ص 168.

² سعود السنعوسي: فئران أمي حصة، ص 397.

الجماعة أفراداً من كل الأطياف المتنازعة، لتبثّ للآخرين أنه بالإمكان التعايش والتواصل بالرغم من الاختلاف.

والدين لم يكن السبب الوحيد للاختلاف، فمن المستحيل أن يكون البشر سواسية أو متشابهين في كل شيء، فما دمنا نتقبل اختلافاتنا الأخرى وتعايش معها، فلماذا لا يكون الوضع مماثلاً مع اختلافاتنا العقدية، فنتقبلها هي الأخرى دون أن نعتبر الآخر مهدداً لنا أو لوجودنا.

فلا بد إذا من إعادة النظر في أسباب الخلاف والتعامل معها على أنها في الأساس مجرد اختلافات في تطبيق وفهم الشرع، فلما يكون هذا التباين في الفهم والتفسير سبباً للتراع والصراع؟ فإذا أرادت البشرية أن تحد من هذه الحروب التي تتخبط فيها، لا بد لها أولاً أن تتقبل الاختلافات فيما بينها، وتنظر إلى هذا التنوع على أنه أساس استمرار الحياة، وليس العكس، "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم أن الله عليم خبير"¹، وكذلك بالنسبة للمسلمين الذين يلمنون بأن يأتي يوم يكونون فيه صفاً واحداً، وأن تكون كلمتهم سواء، لا بد أن يدركوا أن الله أنزل هذا القرآن للناس كافة على اختلاف طباعهم، وانتماءاتهم وكذا على اختلاف فهمهم واستيعابهم، ثم أن القرآن قد فتح المجال للاجتهد، لكنه في المقابل لم يحتكر ذلك على طائفة دون أخرى، بل إن الطوائف الإسلامية من افترضت ذلك، واعتبرت كل فرقة أن مذهبها هو المذهب الحق الذي لا بد أن يتبعه كل المسلمين لينجوا من النار، وبالتالي بدأ الشقاق يدب في صفوفهم ويضعف من قوتهم التي كان فيما مضى يحسب لها ألف حساب.

ولم يغفل "السنعوسي" دور المرأة البالغ الأهمية في محاربة الأزمة؛ "مضت أيام نعمل، أيوب وأنا، كل ما في وسعنا لتحقيق الفكرة، قال فهد، بعد أيام، إنه اقتنع تماماً بأهمية المشروع بعدما أبدت حوراء وفوزية اهتماماً قال بأتهما أول المنضمين إلى الجماعة: "صرنا سبعة!"²، إذ يرى أنه لا بد من إشراكها هي الأخرى في هموم المجتمع، ووضعها في الصورة، لتساهم بفكرها، وثقافتها، وآرائها، وبهذا يتم نبذ ذلك التطرف الذي يمارس ضدها، ويقيها دائماً في الهامش بدرية أن أي تفاعل لها مع المجتمع يؤدي إلى الاختلاط، وإلى أمور لا يحمد عقباها.

ونتيجة لهذا التصور الخاطئ والتشديد، ظلت المرأة زمناً طويلاً خاصة في العالم العربي في الزاوية منطوية على حالها، تؤدي المهام ذاتها، ولا تبدي أي اعتراض على وضعها لقناعتها التامة بأن الإسلام يأمر بذلك؛

¹ سورة الحجرات، الآية 13.

² سعود السنعوسي: فئران أمي حصّة، ص 397.

"يرى الغزالي أن هناك تقاليد، وتصورات وضعها الناس، ولم يضعها الإسلام، دحرجت الوضع الثقافي والعلمي للمرأة إلى الوراء، واستبق في معاملاتها ظلمات الجاهلية الأولى، متمردة بذلك على تنفيذ التعاليم الإسلامية الجديدة"¹، ولهذا حاولت الرواية تسليط الضوء على وضع المرأة المسلمة، والتهميش الذي تتعرض له جراء آراء متطرفة، والتأكيد على إمكانيتها تقديم سواء بسواء مع الرجل، وليس من المهين أو المخزي لها أن تساهم في إصلاح أحوال الأمة، والعمل على تحقيق الاستقرار فيها؛ بل لا بد أن تكون مصدر قوة لا أن تكون حملاً ثقيلاً على من حولها.

والكاتب لم يحاول إخفاء العقبات التي يمكن أن تواجه أي طرف نزيه يبحث عن حل لمواجهة التطرف الديني، خاصة مع كثرة الأطراف التي يعادي بعضها بعضاً، وفي ظل النزاع الفكري وما تؤثر به وسائل الإعلام وتشره من أفكار يكون من الصعب بلوغ وتحقيق التوافق والاتفاق، إلا أنه كذلك ليس مستحيلاً؛ "الحياة التي أصابني في الندوة المسرحية، أصابني في الديوانية ليلتنا تلك، في كل منا عباس وصالح يظهران وقت نوشك على اتفاق، كنا قد أمضينا شهوراً من دون أن نخطو خطوة تجاه تأسيس الجماعة. خشيت إن تفوهت بكلمة أفسد كل شيء. أدريبي إن لم أحقق مشروعني فسوف يكون الأمر بمثابة فك ارتباط مع من بذلت كل ما في من أمل لإبقائهم أصدقاء. كان أمني الأخير بنا نحن الخمسة، وقد صرنا سبعة، أن نفعل شيئاً"²، فالأهداف التي يسطرها الإنسان قد لا يبلغها بكل سهولة، بل إن الأهداف الكبيرة كثيراً ما يكون طريقها صعباً وشائكاً ومليئاً بالعقبات وأهداف كهذه لا تتحقق بالجهد وحده، ولكن الإيمان بالفكرة والإصرار عليها هو الوقود الذي يغذيها ويجسدها على أرض الواقع.

وهكذا هو الوضع مع "جماعة عيال فؤادة"، فلم يكن من اليسير جمع أطراف من طوائف مختلفة لتكون يداً واحدة، في الوقت الذي كانت فيه جماعاتهم في أوج الصراع، وتبادل الاتهامات فيما بينها، وربما كانت مخاطرة ومجازفة كبيرة من هؤلاء خصوصاً وأهم لا ينتمون إلى أي جماعة بعينها؛ بل كانوا جماعة وطنية تدعو إلى الوحدة لا غير.

وكما كانت غفلة الشعب والشباب على وجه الخصوص سبباً في بروز الأزمة وانتشارها، لا بد أن يكون الشباب مرة أخرى هو القلب النابض لصحوة يمكن أن تنقذ الأمة مما هي عليه من انحراف، وتطرف، وتعصب

¹ حسن علي خاطر: المجتمع العربي المعاصر المقومات والأنماط والثقافة، دراسة تحليلية نقدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1 2001م، ص 102.

² سعود السنوسي: فئران أمي حصة، ص 398.

وإرهاب، وطائفية، هذه المظاهر التي لم تزد الأمة الإسلامية إلا وهنا على وهن، وانكسارا على انكسار، وكأنها دخلت في ليل طويل لا صبح بعده، صحوة بعيدة عن كل أشكال التطرف والتشدد، لا مكان فيها لأننا والآخر تتعامل على أساس احترام الاختلاف تقبل الغير؛ "أيام مضت على حالنا تلك توسّلت إليهم أن ينصتوا إلي. الأمر أبسط من كل تعقيداتهم مدونة إلكترونية وصفحة على الفيسبوك وإذاعة إلكترونية ومساحتي الأسبوعية في الجريدة هذا في البدء، ثم تنسع بأنشطتنا، لكل منا أن يعبر على رأيه فيما لا يخالف هدفنا وجه أيوب دافعي الأول لمواصلة الحديث رغم مقاطعتهم لم أنزعج، كانت نقاشاتهم رغم اختلافاتهم، تطمئني بأنهم مؤمنون بأهمية الفكرة لم نتفق تماما لولا نشرت الصحف، أيامنا تلك، صورا لعبارات مسيئة لصحابة النبي على سور أحد المساجد، وخيرا آخر حول إطلاق نار على زجاج نوافذ حسينية "وين رايجين؟!"، قال ضاوي كأنه يستشعر، للتو خطورة الحال، أجابه أيوب بأننا نحن من يحدّد وجهتنا"¹.

فكانت جماعة "عيال فؤادة" هي الأمل الذي بدأ يرى النور، بعد كل ما شهدته البلاد من غلو وتطرف بلغا حدا لا يمكن السكوت عنه، فالكل صار لا يفوت أية فرصة للكيد للآخر، وإهانة مقدّساته دون اعتبار للقيم والأخلاق، لكنه من بين هذه القلوب المليئة بالحقد والكراهة والضغينة، ظهرت قلوب أخرى تتألم لما آلت إليه أوضاع المسلمين من تشتت وفرقة، شباب كانوا أكثر وعيا وإدراكا من غيرهم لما يقع في ديار المسلمين.

والرواية لا تخاطب فئة واحدة أو طائفة بعينها، ولكنها توجه خطابا شاملا لكل الأطياف على اختلافهم واختلاف انتماءاتهم، "فالسنعوسي" لم يوجه أصابع الاتهام لطرف دون آخر، بل اعتبر أن الكل صنع المشكلة وكل الأيدي ساهمت وشاركت في تفاقمها، ولهذا كان لزاما على الجميع أن يراجعوا أنفسهم، ويعيدوا النظر في أفكارهم، ويكونوا يدا واحدة لمواجهة التطرف الديني، والعبرة ليست في أن يكونوا جماعات مثل أولاد فؤادة، ولكن العبرة في أن يكون تفكير كل شخص مثل تفكيرهم، يتمسك بمذهبه أو طائفته، وفي الوقت ذاته لا يرغب الآخر على إتباعه، أو ينقص من قيمة ما يؤمن به، ومشكلة كهذه لا تحتاج إلا لإخلاص وصدق، وفكر سليم وقلب خال من أمراض كالحقد والكراهة، ليتم حلها ووضع علاج لها، فالإخلاص وحده والتفاني في خدمة الأمة هو ما يمكن أن يعيد الأمور إلى نصابها؛ "اتفقنا ألا تكون جماعتنا مدعومة من أي جهة أو حركة سياسية أو دينية أو حكومية، حتى لا نمثل إلا أنفسنا"².

¹ المصدر نفسه، ص ص 399-400.

² مصدر سابق، ص 400.

وما اختيار "عيال فؤادة" لجماعتهم أن تكون حرة مستقلة عن أي تنظيم، أو هيئة أخرى، إلا دليلاً على عجز هذه الأطراف إيجاد حل للأزمة من جهة، وكذا للتأكيد على أن التزام الحياد والتعامل مع الكل بالطريقة ذاتها هو ما يمكن أن يجنب الوقوع في الصراع.

وقد كانت الكثير من الأطراف السياسية والدينية سبباً في تفاقم الأزمة، فقدت بذلك الثقة بهم، حين فضل بعض السياسيين التستر حتى لا تنتزع علاقتهم مع بلدان أخرى، ورجال الدين الذين انقسموا بين متبع للسياسيين في توجههم، وآخرين هولوا الوضع أكثر من حجمه، فزاد الأمر بهذا سوءاً، وفي المقابل اهترت صورة أئمة كانوا أهل ثقة فصارت تتقاذفهم الألسنة دون اعتبار لما يحملونه في صدورهم من نور القرآن والحديث، فقط لأنهم دعوا إلى إتباع الحق، وسلك طريق الوسطية والاعتدال والكف عن دماء المسلمين.

وبهذا يرى "السنعوسي" أنه في ظل هذه الفوضى وأزمة فقد الثقة، لا بد أن توضع حلول دون أن تتبناها طائفة معينة، وإلا فلن تلقى أذانا صاغية، بل ربما قد يؤدي ذلك إلى نزاع أكثر ضراواً.

الماضي لا يترك ذكريات طيبة دائماً لدى البشر، لكنه يبقى أفضل بكثير إذا ما قورن بحاضر لا يسود فيه إلا الدمار والخراب والخوف، واقع يأبى أن يتغير، وأحداث تزيده مرارة، لتصير القلوب متعلقة بذكريات مضت تحن لها وتود عودتها لتغيير ما آل إليه الوضع؛ "صار دافعاً مضاعفاً لفهد، أكثر من أي وقت سبق، كي يؤمن بأهمية جماعة أولاد فؤادة، وقد مضى على تأسيسها قرابة الأربعة أعوام. "عشان عيالي"، كان يقول عمدنا في السنوات الأولى لنشاطنا، كل من خلال برنامجه الإذاعي وصفحته على الأترنت، الاقتراب من الناس باستشارة حينهم. لم يكن الماضي مثالياً، لم تكن في حاجة للتذكير، لكنه كان أفضل مما صرنا إليه. عملت على إعداد وتقديم برنامجي "حنين أسمي صادق برنامجه" "أنا التاريخ كله"، كان أشد البرامج إثارة للجدل بسبب قضايا يطرحها محاولاً إعادة قراءة التاريخ، وهو ما يرفض الناس إعادة النظر فيه"¹.

كانت الأحداث التي عرفتها "الكويت" منذ تفجيرات المقاهي الشعبية نقطة فاصلة بالنسبة للكويتيين قبل الأحداث وبعدها، إذ غيرت الكثير من العلاقات والمعاملات، فاستجدت مبادئ وأسس جديدة لم يكن لها وجود قبل ذلك. وقد أسهبت الرواية في وصف هذا الوضع، وكثيراً ما كانت تعقد مقارنات بين الفترتين، وكأن الكاتب يريد أن يشعر المتلقين بالفارق الكبير الذي تركته الأحداث، فيثير حينهم، كما أبدت الشخصيات شوقها إلى ما كان سائداً قبل أن ينتشر بينهم التطرف الديني وتفتك بهم الطائفية، ماضي كان

¹ مصدر سابق، ص 411.

يعيش فيه الكويتيون على أسس حسن الحوار واحترام الآخر، وبهذا يكون "السنعوسي" قد إختار أن ينشط الذاكرة ويعيدها إلى ماض لم تعرف فيه هذا القدر من النزاع والصراع، فالعلاج إذا ليس في الخطب والندوات والممتلكيات والمقابلات التي تدعوا إلى الحد من الظاهرة، بل أحيانا يمكن أن يكون الحل أبسط وأسهل وأقرب إلى القلوب من ذلك.

وتطرح الرواية فكرة أخرى كحل للأزمة، وهي إعادة النظر في التاريخ، وقراءته من زوايا أخرى، والتحقق من صحته، بعيدا عن الذاتية. إلا أن فكرة كهذه لن يكون من السهل تطبيقها خصوصا مع تعدد المصادر التاريخية واختلافها، والتشكيك الذي يطالها في كثير من الأحيان، بل ربما إن هذه الحروب الفكرية التي تعتمد على المنطق والعقل قد تكون أكثر إثارة للخلاف والجدل، وهذا ما يزيد الأمر تعقيدا.

"الطابع القديم لإذاعتنا، والاعتماد على ذاكرة الناس البعيدة، حقا تفاعلا كبيرا صارت كبريات شركات الاتصالات والبنوك تتسابق للإعلان في إذاعتنا الإلكترونية وموقعنا على الأنترنت. انتشر أسلوبنا مثل عدوى اتخذت الشركات الأسلوب ذاته، عبر إعلاناتها في التلفزيون والإذاعة والصحف، للوصول إلى العامة من خلال ذاكرتهم. تسوق خدماتها عبر استشارة الناس إلى زمان أول أو زمان الطيبين على حد مصطلحات صارت متداولة لا تكشف عن شيء سوى عطب الذاكرة الذي أصاب الجميع وفيما كنا نذكر المتلقين بما يجبون، كنا نمرر ما نريد قوله إزاء ما يغضون عنه الطرف كرها"¹.

لكي تتحقق الأهداف وتطبق على أرض الواقع، لا بد كخطوة أولى أن يؤمن المرء بها وبنجاحاتها وأهميتها ويصر على ذلك ويخطط له.

لقد كانت حماسة "عيال فؤادة وروح الشباب فيهم، وإيمانهم بقضيتهم، الدافع القوي الذي جعلهم يصلون إلى درجة كبيرة من التأثير في الناس وفي فكرهم، وليس الجهد وحده ما يصنع النجاح ولكن الصدق والتراهة تفعل ذلك.

وهذا تماما ما كان ينقص بعض الأطراف السياسية والدينية التي لم تخلص في سعيها للنجاة من الأزمة، بل استخدمت شعارات كاذبة لاستمالة السذج، وإيهامهم بأن كل خططهم ومخططاتهم في صالح الوطن والأمة فيؤكد "السنعوسي" على ضرورة الإيمان القوي بأنه بالإمكان التخلص من أزمة التطرف الديني إن أصر الجميع على ذلك، وعملوا يدا واحدة لتحقيق الهدف، دون احتكار من جهة دون أخرى، فمشكلة كهذه لا تحتاج إلا

¹ مصدر سابق، ص ص 411-412.

إلى مساندة من الجميع، والكل لا بد أن يبادروا للعمل على حل الأزمة، وترك غرورهم وكبريائهم وتعصبهم الذي حدهم سنوات عديدة من ذلك.

في أزمت كهذه يلتبس على المرء الحق من الباطل، فيرتبط الغموض بكل شيء، لا حقيقة واضحة ولا زيف واضح، الألسنة كلها تتكلم، وكلها ترى أن كلامها هو الصواب، السنة تدعي رفضها للتطرف والتحزب والطائفية لكنها في المقابل لا تعترف إلا بمن كان ينتمي إلى جماعة معينة، ليس من باب الحرص على الهوية والانتماء، بل لأن ذلك يضمن لها معرفة العدو، وبالتالي إيجاد ذريعة لإبعاده أو إقصائه تماماً؛"أصابنا جماعتنا في البدء قدرا لا بأس به من الانتشار تلقاها الكثير من الناس باحتفاء كبير، فيما تحفظ البعض لقاء تحفظنا على الكشف عن أسمائنا ومقر تجمعنا ورفضنا الخروج في لقاءات صحفية انشغل البعض يبحث لنا عن انتماء. الموالي للحكومة أسمونا معارضين، المعارضون أتهمونا بالموالاة الجماعات الدينية لم ترى فينا إلا جماعة خارجة. الجماعات المعادية للدين صنفنا حركة دينية"¹.

و "عيال فؤادة" التي لم تكن لها هوية إلا اسمها، صارت تمثل تهديدا لكل الجماعات الأخرى، راح الكل يفترض لها انتماء معين، لا لشيء إلا لغاية واحدة، أن تفقد منها ثقة ويشكك في نزاهتها، وإخلاصهما كغيرها من الجماعات.

والمسألة ليست مسألة عداً أو كره يصدر من هذه الجهات، لأن ذلك أمر بديهي جدا، فتطرف هؤلاء لم يكن من السهل اندثاره أو القضاء عليه، ما داموا مقتنعين قناعة عمياء لا يخالجها شك بما هم عليه، ولكن القضية في تأثيرهم وتأثير العامة بآرائهم إلى حد لا يمكن فيه الاستمرار في مواجهتهم وإقناع الناس بخطرهم وبالضرر الذي تسببه وجهات نظر كهذه.

والسنعوسي بهذا لا يعتمد تهويل الوضع، أو جعل المتلقي يفقد الأمل، بل لا بد من نقل الصورة كما هي دون تحفظ، إذا كان الهدف من وراء ذلك الإسهام في التوعية، والتقليل من حدة الازمة، وهي إشارة كذلك إلى الشباب الواعي المدرك لحقيقة ما يدور من تطرف وفتن، والذين يسعون إلى إيجاد حلول لما تمر به البلدان العربية والإسلامية عموماً، فالطريق لن تكون معبدة أمامهم، بل سوف يلقون الكثير من العقبات، وربما تحبط عزائمهم وتفقد منهم الثقة جراء ما قد يحاك ضدهم، لكنهم في المقابل إذا لم يفقدوا الأمل وأصرروا على أهدافهم فيمكنهم بلوغها.

¹ المصدر نفسه، ص ص412.

"صرت أنشر فيها المقال تحت اسم ولد فؤادة. طالني، في البدء، هجوم شرس أخرج الجريدة، رغم أنني لا أكتب عدا ما يدور حولي. لا أفهم كيف يتعاطى القارئ مع الكاتب. يصير رقبيا أشد فتكا من أجهزة رقابية. هم يرتكبون خطأ. هو يكتب عن الخطأ. آخرون يلومونه على الكتابة! كان عزائي بأيوب. وبأناس صاروا يؤيدوننا. لا أدري كيف صرنا تاليا، نحن السبعة، سبعة عشرة.. سبعين.. أناس متحمسون تتزايد أعدادهم. طلبة جامعات وجمعيات تطوعية وناشطون، يقيمون ندوات وأنشطة فنية في الأسواق والأماكن العامة. يحملون شعار احموا الناس من الطاعون، ونحن، من بين المتفرجين، لا أحد يتعرفنا، مكوثنا. نحن الخمسة، معظم الوقت في المقر نعمل، قربنا إلينا أكثر من أي وقت. كنت أراقب ابن خالي. كثير الصمت. تغير كثيرا. يناكفه فهد يذكره: "والجهاد يا شيخ؟" يجيبه أولا بأنه ليس شيخا. ثم يشير نحو جهاز الإرسال والميكروفون. يقول ثانيا: "هذا جهاد"¹.

والخوف لا يكون من الأشخاص بقدر ما يكون من أفكارهم التي تنخر العقول وتؤدي إلى ضياعها، تماما كالفيروسات التي تتسبب في التشويش على الأنظمة وإتلافها، وأفكار المتطرفين تثير شيئا من هذا، إذ تسيطر على المرء فيرى الكل على خطأ، ويتعامل وفق ذلك أيضا، فيصير رقبيا يمارس رقابته على الجميع، سواء في أقوالهم أو في أفعالهم، وكأن السلطة حولت له فعل ذلك.

ومشكلة هؤلاء ليست فيما يبدو من أفكار متطرفة وكفى، وإنما في احتكارهم الفكر لأنفسهم دون الآخرين، فيضيّقون على حرية غيرهم ويصادرونها، ويمنعونهم من التعبير عن آرائهم، وفي المقابل يغرقونهم بوابل من الاتهامات الكاذبة، والتي رغم زيفها يمكن أن تؤثر في بعض الفئات فيصدقونها، وإن لم يفعل غيرهم فسوف يذب الشكّ والريبة مكان ذلك.

والإصرار على الهدف والعزيمة القوية لبلوغه، هي الطاقة الدافعة التي يمكن أن تجعل الحلم حقيقة، وجماعة "عيال فؤادة" لم يكن ينقصها ذلك، إذ قررت المواجهة والدفاع عن مجتمع غرق في التطرف الديني، وأهلكته الصراعات الطائفية.

والرّواية لا تسلط الضوء على وضع كهذا إلا لتبين مدى الحاجة إلى عزيمة، وإرادة، ومساندة، وتكاتف جهود الجميع للخروج من الأزمة، ولزرع وعي كهذا لا بد من مخاطبة كل الفئات من طلبة جامعات، ومثقفين، وعلماء، وإقناعهم بضرورة التحرك لمواجهة الأخطار التي تهدد استقرار البلاد وأمنها.

¹ مصدر سابق، ص 412-413.

فالجهد هو الحفاظ على وحدة الأمة، ودفع البلاء والفتنة عنها، وردع أولئك الذين يضمرون الشر لها ويرغبون في رؤيتها منهزمة منكسرة، وهذا هو الجهاد الحقيقي الذي يدعو "السنعوسي" إليه، أما سفك الدماء ونشر الرعب والدمار والخراب، فليس من الجهاد في شيء، بل هو إجرام وإرهاب لا علاقة له بالإسلام ولا بالإنسانية.

تسرد الرواية مشهدا متخيلا لاعتصام شاركت فيه كل الفئات، والطوائف، والشخصيات الدينية، والفنية، والرياضية، وكأنها الصورة التي تأمل "السنعوسي" أن يكون عليها مجتمع "الكويت" والمجتمعات العربية والإسلامية الأخرى، لا معتقد ولا فكر، ولا سياسة تفرقها، الكل ينادي بصوت واحد: لا للتطرف الديني والصراع الطائفي؛ «كنا لا نزال نعيش نشوة الاعتصام الأول "آتية 1" ، قبل يوم من وقتنا ذاك. اعتصام تناقلته وكالات الأنباء صار حديث الناس لأيام. خرج المعتصمون ألوفا، رغم برودة الطقس في مساء شتوي، ينددون بتصريحات أدلى بها نشطاء دينيون متشددون في شبكات التواصل على الأنترنت، أدت إل اشتباكات في مناطق عدة، راح ضحاياها شباب متحمسون أعماهم التطرف. احتشد الناس في الساحة بعدد مغيب الشمس. يتزاحمون مثل حجاج. ترتفع همهماتهم وتخبو مثل هدير بحر. نساء ورجال. شيوخ وعجائز وأطفال. يتقدمهم، في الصفوف الأولى، شيوخ دين وشعراء ونجوم تمثيل وغناء ورياضة أحببناهم صغارا، بعضهم من شدة حماسه تخاله صغيرا لا يزال (...). وفيما أضحكنا عبد الحسين عبد الرضا طيلة حياته، أبكنا يوما ذاك. بدا متعبا. بشارب أبيض لم نألفه. ملقيا غترته على رأسه بإهمال. اكتست ملامحه جدية وحزنا. استند إلى جذع نخلة ينادي بحرقه وقد تغير صوته كثيرا: "نبي نعيش!"¹»

فهو الوعي الذي يريده الكاتب أن يطغى على العقول التي مرت بها سنوات وهي متحجرة منغلقة على ذاتها تتصدى كل محاولة لإخراجها من الدوامة التي تغرق فيها، هذه العقول التي ألفت الصدام مع الآخر وحرصت على التزاع معه، آن الأوان لتغير طريقة تفكيرهما، وتدرك الخطر الذي يسببه تعصبها وتطرفها.

هذا المشهد الذي يعكس تحرر الناس من قيودهم وأغلالهم، والخروج عن صمتهم، وتجاوزهم للخوف والذعر الذي حبسهم، وأخرسهم عددا من السنين، لكي يثبتوا وجودهم ورفضهم لما آلت إليه أحوالهم، وأهم غير راضيين أو موافقين على ما يدور حولهم، فهم لم يبقوا مجرد أراجوزات تلهوا بها الأيدي وتعبث بمصيرها كما تشاء، هم شعب أراد الحرية وأن يعيش بسلام بعيدا عن التطرف والعصبية، لا يريد أن يتجرع

¹ مصدر سابق، ص ص 225-426.

المزيد من الحقد والكراهة، بل يدعو إلى تقبل الآخر على ما هو عليه، فالبشر في النهاية لم ولن يكونوا أبدا نسخة واحدة، لذا ففسيان الاختلافات والتعايش معها، هو ما يمكن أن يفك النزاع ويقضي عليه، وإلا فلن تكون هناك أية فرصة لكي يعم الإسلام وتنتهي الحروب.

وقد تعمد "السنعوسي" إدراج بعض الإشارات في الرواية، كي يثير في المتلقي الحنين إلى زمن كانت تسوده الطيبة والمحبة والألفة، أفراد لم تكن تهمهم طائفية أو انتماء ديني، ما يهمهم أن يكونوا يدا وأمة واحدة تجمعها لا إله إلا الله محمد رسول الله، دون اعتبار للاختلافات المذهبية والطائفية، لأنهم أدركوا أن الخوض في مسائل كهذه لا يجلب إلا الضغينة والفتنة؛ «هذي سوائف ما تنفعل»، أجابته جدته تحته على الانصراف عن أمور لا تجلب إلا عوار الرأس وضغينة القلب "باكر كلنا نموت ونخليك يا وليدي... ربك عزوتك!" أشار فهد إلى برحيّة وسعمرانة وإخلاصة وراء سور الحوش: "أمي حصة تقول كونوا مثل بنات كيفان...»¹.

وهي الحقيقة التي صار يُعرض المسلمون عنها، غير مباليين بها، بل إن قضيتهم الأولى صارت اليوم الصراع بين السنة والشيعة، هذا الصراع الذي يزداد تآزما يوما بعد يوم، والعالم الغربي يشاهد كل هذا، وصورة الإسلام تتهز في المقابل، في الوقت الذي يدعي فيه المتطرفون نشرهم الدعوة والإسلام في العالم، وكيف تكون نظرة العالم للإسلام؟ والمسلمون يتناحرون فيما بينهم، ويسفكون دماء بعضهم البعض، ومع أن الإسلام بريء من كل همجية، وتعصب، وتطرف، إلا أن الآخرين لن يكون بإمكانهم رؤية جوهر الإسلام الصافي، مادامت الرؤية غير واضحة في ظل هذه التجاوزات، والانتهاكات للحقوق والحريات.

لم تكن المشكلة فقط في الفئران التي صارت تهدد البلاد، ولكن المشكلة في أهل البلاد الذين أغفلوا خطر الفئران، ولم يعطوا اهتماما بما يمكن أن تسببه إذا تفشت وانتشرت، فلانكسار كان منهم قبل أن يسببه غيرهم حين سمحوا لفكرهم أن يفرقهم ويشتت صفوفهم، ويضعف قوتهم، ويذهب وحدتهم، وهكذا صار الطريق معبدا أمام الفئران لتنتشر سمها في العقول، وتثير الفتنة بين الناس، وتسيطر عليهم وعلى سلوكهم بكل يسر، ومع انتشار الفئران انتشر الطاعون فلم يسلم منع أحد؛ «تحذيرات بدأت تنتشر مع انطلاق مجموعتنا: "احموا الناس من الطاعون" "الفئران آتية!" ممهورة بتوقيع "أولاد فؤادة"»².

قد يبدو الوضع الذي صورته الرواية متفشيا في "الكويت" مبالغا فيه، أو أن نظرة الكاتب نظرة مأساوية ترى في العالم الظلام والسواد لا غير، لكن "السنعوسي" في روايته لا يعتمد المبالغة في وصف الأمور وتهويلها

¹ المصدر نفسه، ص 74.

² المصدر السابق، ص 26.

إلا بالقدر الذي يمكن من خلاله توعية الناس بما هم غافلون عنه، والخطر الذي يترتب بهم من كل جانب، ولهذا استخدم لغة شديدة، واختار وصف الأحداث بدقة، حتى يظهر ما قد تصل إليه الأمور إن نحن غفلنا عنها. فإن كنا نعيش اليوم مظاهر التطرف الديني دون عنف، فعذا يمكن أن نهض لنجد أنفسنا لاجئين في بلدان أخرى، لأن بلادنا قد استولى عليها الإرهاب ودمرتها الطائفية، وفكرة المؤلف من كل هذا هي أنه لا بد من التحرك ودق ناقوس الخطر، قبل أن يتأزم الوضع أكثر من ذلك، ويبلغ نقطة لا يمكن فعل أي شيء بعدها. ليست كل الحلول التي يتم اقتراحها ناجعة، وليست كل أنواع العلاج يتم تقبلها، بل أحيانا قد ترفض دون إعطائها فرصة، وكأنها هي السبب وراء المشكلة.

كان هذا تماما ما لقيته جماعة "أولاد فؤادة" من جماعات متطرفة تقابل بالعداء كل من يخالف نهجها أو فكرها، والإشكال ليس فقط في رفض تلك الجماعات لها، ولكن المشكلة الأكبر في تحريضها للآخرين لمعادتها وتشويه صورتها بل وفي الفتاوى التفكيرية التي كانت تطلقها مجرد أنها خالفتها فيما ذهبت إليه؛ «أخذ عندك.. زد طينك بلة ! لا أتفوه بكلمة أتأهب لبلته: فتوى، أو ما شابه، أشد قسوة من سابقاتها، تدعو إلى تجنب الاستماع إلى إذاعة أولاد فؤادة أو متابعة موقعها الإلكتروني أو حساباتها في موقع التواصل الاجتماعي... أصحابها على ضلال. غصة في الحلق تفضي إلى مرارة أسفل لساني. عيناني صوب الحفرة أمام مبنى الحسينية. أسأله: ممن؟ يفلت زفرة تشبه ضحكة: كلاهما. هل تصدق؟! صدرت الأولى عن إذاعة أسود الحق، ثم لحقتها تأييدات رجال دين، في الجماعات الأخرى، (...) كلاهما لم يتفق على شيء سوى تجنبنا اليوم. كلاهما يتفق، مرة أولى، ضد من بحت حناجرهم ينادون بكلمة سواء!»¹.

و "السنعوسي" بهذا يؤكد على ضرورة منح الفرصة للجميع دون اعتبار توجههم أو انتماءاتهم، لأننا بحاجة إلى تكاثف الجهود، وتعاون كل الجهات للحد من الأزمة، وعليه فلا بد من الإصغاء لكل الأطراف، ومنحها الفرصة ذاتها دون احتكار آراء طائفة ونبد أخرى.

ومثل هذا الحل لن يجد آذانا صاغية مادام الجميع متمسكين بأرائهم ورافضين للآراء المخالفة، بل ربما من العبث التفكير حتى في اقتراح كهذا.

والرواية قد صورت ذلك الوضع المثير للسخرية، حين حملت أطراف نزبها ومحايده على عاتقها مسؤولية فك التزاع بين الطوائف، خصوصا بعد أن صار صراعا دمويا، فدعت إلى الوحدة وتجاوز الخلافات التي لا نهاية

¹ مصدر سابق، ص ص 108-109.

لها وتوحيد كلمة المسلمين، إلا أنه في النهاية اتفقت هذه الطوائف المتنازعة على مواجهة من أرادوهم أن يتفقوا منذ البداية.

الوضع ليس بحاجة إلى إقصاء الآخر تماما ومحوه من الوجود، ولكنه يحتاج فقط إلى إعادة برمجة العقول، وزرع أفكار جديدة، يمكن من خلالها تقبل الغير على ما هم عليه دون الوقوع في نزاع أو صراع، ووضع كهذا لا ينقصه الهدم والدمار، بل هو بحاجة إلى إصلاح الأمور وإعادة البناء؛ « بعض الأورام لا يكف نموا إلا بموت الجسد، يقول فهد ليتهم يموتون جميعا، ندفن واحدهم، نكايه، في مقبرة الآخر، ونعيش نحن. لمته وأنا أتفهم ضغوطا يواجهها. أجابني: "يا أخي نبي نعيش!"¹ »

الرواية لا تقف حول الشروط التي لا بد أن تتوفر في الحلول، أو في مقترحيها، بل تضع فقط تصورا عن ما يمكن فعله جراء أزمة كهذه، وكيفية التعامل مع مجتمع اجتاحتها أفكار دخيلة لم يكن يعرفها قبلا، أفكار غيرت الكثير لكن من الصعب تغييرها، أو التمرد عليها، مادام الكثير مؤمنا وموقنا بيها، فمن أراد مواجهة التطرف الديني، لا بد عليه أن يواجه الفكر أو العقل الذي أنتجته، والمواجهة لا تكون بالعنف أو السلاح وإنما بالفكر ذاته، لأن القوة لن تزيد الأمر إلا تعقيدا أكثر مما هو عليه.

كونك طبيبا معالجا لا يضمن لك اكتساب مناعة ضد الأمراض، بل يمكن أن تنتقل إليك الإصابة والعدوى، وقد تتعرض إلى خطر أكثر من غيرك، ويصعب معه العلاج؛ "أبحث عن صاحبي. أرهف سمعي أتتبع صوتيهما في حلبة الغبار. ولا صوت عدا: يا أبناء الحرام، يا خوارج، يا وهابية، يا فرس، يا خنازير! كان الأمر مفاجعا. رجال دين نالوا ما يشبه قداسة، يشتمون بأفزع الألفاظ لا علاقة للشجار بشعور الفجعة الذي شلني، الصراخ والاثامات بصوتي فهد وصادق كانت وراء فجيعتي. واحد هما يصرخ في وجه الآخر أسندت جسدي إلى سيارتي. صرت أصفعي هكذا. هكذا. لا لا أشد من هذا. هكذا. لعلي أستفيق من دوار ألم بي (...). صرختي مخنوقة تمزق حنجرتي بسني العالقة. يا كلب إنت وياه. يا عيال الكلب. يلعن أبوكم. بس. بس خلاص."²

و "عيال فؤادة" الذين كانوا يتغنون بشعارهم: "الفئران آتية... احموا الناس من الطاعون" لم يسلموا هم كذلك من الفئران أو من الطاعون الذي نشرته، فمناعتهم لم تكن في المستوى الذي كان من المفروض أن تكون فيه، وكأها تتعرض لفيروس يغير شكله في كل مرة، فتقف حائرة وعاجزة أمامه.

¹ المصدر نفسه، ص 385.

² مصدر سابق، ص 421.

ووضع كهذا حسب ما يراه صاحب الرواية، بحاجة إلى قلوب وعقول خالية تماما من كل ضغينة أو حقد قديم وإلا فلن يجدي الأمر نفعاً، بل ربما يؤول إلى كوارث أكبر مما هي عليه، فلا بد أولاً من التخلص عن تلك الأفكار القديمة الموروثة المتطرفة، والتأكد من أنهما لن تشكل عائقاً أو حاجزاً أمام التعامل مع الآخر مرة أخرى، ومع أن أمراً كهذا يتطلب جهداً كبيراً، إلا أنه في النهاية ليس مستحيلاً.

والصراع الذي صورته الرواية بين "فهد" و"صادق" دليلاً على أن هذا الحل لا خير فيه، أو أن الأزمة لا حل لها ولكن ما تؤكد الرواية أنه لا بد من اتباع الحيلة في مواجهات كهذه، حتى تخرج منتصراً بخسائر أقل ضرراً.

"رائحة التنتنة تزداد كلما اقتربت من الجسر غريب أنني كلما شكوت من رائحة المياه العفنة يجيبني الأصدقاء: "أنت واهم!" وحده أيوب، من بين أولاد فؤادة، يضيف بالرائحة مثلي"¹.

الرائحة التنتنة ليست إلا تلك الأفكار المتطرفة التي استولت على العقول وسيطرت عليها، تلك الأفكار التي لم ينحوا منها كل عيال فؤادة؛ بل استطاعت أن تفتك بهم حين لم يستطع بعضهم التخلص عن أفكار زرعها فيهم "صالح" و "صادق". ورغم تمردهم عليها ورفضهم لها، إلا أنها عادت وأعدت معها صوراً من ذاكرة معطوبة، استرجعت مشاهد من شجار المدرسة بين السنيين والشييعين، وكأن الأحداث تكرر نفسها، إذ لا زال نفس المرض ينخر جسد الأمة ويأبى تركها.

أحياناً قد يكون الحل للتخلص من الخوف في مواجهة الخوف نفسه، فالهروب من المواجهة، والفرار من الواقع والتخفي وراء أفكار واهية لن يغير من الأمر شيئاً، بل سوف يزيده تعقيداً أكثر مما هو عليه، وقد تكون خيارات غير المواجهة ممكنة كذلك، لكنها علاجات مؤقتة سرعان ما تفقد فعاليتها، فيعود الوضع إلى أسوأ مما كان عليه؛ «أواصل قيادتي متمهلاً. أتبين، قبل منتصف الجسر، ما تكشف عنه نيران البراميل المشتعلة، أضيء إنارة السيارة. اشتباك بينهم وهمهمهم. بالسيوف وزجاجات الموتولوف والحجارة. أواصل قيادتي مسرعاً. يجرضني أيوب. يصرخ: "أسرع...أسرع!" أصدم المسوخ أفرق التحامها. تتناثر أجساد على جانبي الجسر. آخرون يرفعون سيوفهم وحجارتهم يركضون وراءنا»².

"عيال فؤادة" الذين أخفوا هويتهم لأكثر من أربع سنوات، قرروا في النهاية مواجهة الفئران بأنفسهم، دون تخف ودون لثام، مواجهة صار لا بد منها بعد أن فشلت كل المحاولات السابقة في التخفيف من المشكلة،

¹ المصدر نفسه، ص 65.

² المصدر السابق، ص ص 436-437.

وكان الرواية منذ صفحاتها الأولى، إلى غاية الصفحة الأخيرة تصف مراحل العلاج التي يمكن اتباعها لحل الأزمة.

الأخاتمة

بعد البحث في الفصل النظري وعرضنا لمختلف ما جاء فيه من مفهوم للتطرف الديني، وجذوره التاريخية، وبعد وقوفنا على الأسباب، والمظاهر، والحلول نخلص إلى النتائج التالية:

- أن اتهام المسلمين وحدهم بالتطرف الديني فيه ظلم وتعسف، فالتطرف لم يكن محصوراً على بلاد المسلمين وحدها، بل ظهر كذلك عند اليهود والنصارى، الذين تطرفوا في دينهم وأجرموا في كثير من الأحيان بدافع ديني.

- لا بد من الاهتمام أكثر بثقافة الشباب وتعليمهم أسس الدين، وتوعيتهم وتحذيرهم من نار الفتنة، التي يمكن أن يسببها التوغل في الدين دون إدراك أو دراية، ولا بد من توعيتهم كذلك بأن الدعوة لا تكون بالغلظة والخشونة أو بترهيب الآخر، بل تكون باللين وحسن المعاملة والصبر.

- يمثل الإرهاب نتيجة حتمية لتأزم ظاهرة التطرف الديني، فالاختلاف في الآراء أو العقائد الدينية والتعصب لها قد يخرج عن دائرة الصراع الفكري. ليرتبط بالعنف، فيصير في النهاية إرهاباً دموياً، ومع أن الإرهاب لا دين له، إلا أن صورة الدين قد اهترت بسبب ما تبديه الجماعات الإرهابية من جرائم وانتهاكات، فظهرت بذلك أصوات تدعو إلى إقصاء الدين، باعتباره المسبب الرئيسي للأزمة.

وبعد عرض ما جاء في رواية "فتران أمي حصة" لصاحبها "سعود السنعوسي" من أسباب ومظاهر، وحلول لقضية التطرف الديني، يكون بذلك الجواب عن الإشكالية المطروحة: هو أن رؤية "السنعوسي" ومعالجته لقضية التطرف الديني كانت نابعة عن قلق إزاء ما يدور في العالم العربي من أوضاع، فالرواية تمثل إنذاراً لما يمكن أن تؤول إليه الأمور، إذا لم يتم التعامل معها والبحث عن علاجات لها، والقيام بإجراءات يمكن من خلالها تدارك الوضع، والخروج من أزمة تتربص من كل الجهات، فيكون بهذا طرق "السنعوسي" للموضوع بهدف إيقاظ الغافلين، وتنبههم بما هو كائن وما يمكن أن يكون.

ومن خلال دراستنا هذه توصلنا إلى النتائج التالية:

- أن رواية "فتران أمي حصة" لم تسع إلى التجريم، وتوجيه أصابع الاتهام لمجرد تحميل المسؤولية لطرف معين، بقدر ما سعت إلى البحث عن حلول للأزمة، وعلاج لها.

- معرفة الحلول لا تكون إلا بالوقوف على الأسباب التي أدت إلى حدوث المشكلة، و"السنعوسي" من خلال الرواية قد سلط الضوء على تلك الظروف والأحداث التي رأى أنها كانت سبباً في ظهور التطرف الديني في "الكويت"، فمثل هذه الظواهر لا تأتي من العدم، وإنما هناك شرارة أولى تؤدي إلى

بروزها وتشكّلها، فإذا تم رصد تلك الشرارة ومعرفة مصدرها الحقيقي، فسوف يكون من الممكن التخلص منها، أو على الأقل الحد من تصاعدها وتزايد أضرارها.

- لم يعتبر "السنعوسي" الدين مسببا مباشرا لظهور التطرف الديني في "الكويت"، بل إن الظروف والأحداث السياسية هي ما خلقت شعبا مضطربا وغير مستقر، زاده الجهل وقلة الوعي انحرافا وانسياقا خلف ما يردد له من خطابات وشعارات كاذبة وزائفة.

- حسب ما ذهب إليه "السنعوسي" إن التطرف الديني قضية وهمية اختلقتها أطراف لنشغل الرأي العام عن قضايا أهم، فبعد أن كان الاهتمام منصبا على تحرير القدس، صار الآن صراعا شيعيا سنيا دمويا بين فرق إسلامية.

- تصورات الكاتب وآراءه لم تكن مستقلة تماما، بل كانت نابعة عن إرث خلفته الأحداث المتتالية التي عرفتها "الكويت"، والتي أثرت في الكثير من العلاقات الداخلية والخارجية فيما بعد، فانعكس كل هذا وبرز بشكل كبير بين ثنايا الرواية.

- لم تُغفل الرواية إبراز صعوبة الوضع الذي آلت إليه المجتمعات العربية، بل وحتى صعوبة البحث عن علاج للأزمة، إلا أنها في المقابل قد قدمت وجهات نظر كثيرة يمكن إتباعها لحل القضية، أو على الأقل التقليل من حدتها، وهذا ما يؤكد أن الخطاب الأدبي هو الآخر قادر على مجارة أنواع الخطاب الأخرى، بما يتضمنه من أفكار وتصورات يمكن الاستعانة والأخذ بها.

- الخروج من أزمة كهذه كما يرى "السنعوسي" لا يكون إلا باستثمار طاقة الشباب، وتوجيهها في الطريق الصحيح، وإشراك المرأة في ذلك، ولا بد من إعادة الذاكرة إلى الوراء، إلى الماضي الذي لم يعرف فيه الكويتيون أي شيء عن الصراع بين الشيعة والسنة، المهم أن الكل مسلم. وبهذا تكون الرواية قد حاولت مواجهة التطرف الديني، وهي بالفعل جرأة من الكاتب وشجاعة نخطت تلك القيود التي ألزمت غيره الصمت.

وكما يبدو من خلال مضمون الرواية، فإن "فئران أمني حصة" لم تكن محاولة للتصعيد من الأزمة، أو زيادة مخاطرها، أو التشجيع عليها من خلال عرض مظاهرها، بل كانت إلى حد ما محاولة من مثقف عربي شاب، أدرك خطورة ما تمر به البلدان العربية، من فتن، فحرر قلمه ليكون داعما ومساندا لتلك الأصوات والأأيادي التي لا زالت تسعى للحد من الأزمة.

وفي الأخير لا بد من الإشارة إلى أن طرحنا لقضية التطرف الديني لم يتناول كل زوايا وأبعاد الظاهرة، لأن ما يثار ويدور حول القضية أكبر بكثير من أن يتناوله باحث واحد، ثم إن قضية كهذه تحيل إلى قضايا أخرى كالعنف، والطائفية والإرهاب، مما يتيح للمتقضي الفرصة لمعالجة القضية من زوايا أخرى متعددة قد لا يكون غيره تطرق إليها.

الملاحق

المحقق الأول

من الروائيين الشباب الذين داع صيتهم في وقت مبكر، ولفت انتباه النقاد والقراء معا، بما قدمه من أعمال على قلتها، إلا أنها استطاعت أن تظفر بما لم يظفر به غيرها، هو "سعود السنعوسي"، روائي كويتي ولد سنة 1981 م، بدأ الكتابة سنة 1990 م تزامنا مع احتلال العراق للكويت، قام بكتابة قصيدة قبل تجاوزه سن التاسعة، وفي مراهقته صار يكتب الخواطر، ثم كتب مقالات عبر الأنترنت، وسنة 2010 م أصدر روايته "سجين المرايا" كأول تجربة روائية له، والتي فازت بجائزة "ليلي العثمان" لإبداع الشباب في القصة والرواية في دورتها الرابعة.

وهو عضو رابطة الأدباء في الكويت ورابطة الصحفيين الكويتيين، وقد كتب في جريدة القبس الكويتية، وسبق أن نشر قصة "البونساي والرجل العجوز" التي حصلت على المركز الأول في مسابقة القصص القصيرة، التي تجربها مجلة "العربي" الكويتية بالتعاون مع "بي بي سي" العربية، وحازت روايته "ساق البامبو" التي تناولت موضوع العمالة الأجنبية في دول الخليج، على الجائزة العالمية للرواية العربية سنة 2013 م، بعد أن اختيرت من بين 133 عمل روائي مقدم لنيل الجائزة.

وإضافة إلى رواياته السابقة أصدر رواية "فئران أمي حصة" سنة 2015 م، التي عاجلت موضوع التطرف الديني والطائفية في الكويت، إلا أن الجهاز الرقابي منعها من أن تطبع أو تتداول بين الكويتيين، إلى غاية صدور قرار من القضاء الكويتي بإلغاء هذا الحظر، فعادت الرواية لتطبع مرة أخرى.

ثم أصدر سنة 2017 م، روايته "حمام الدار" عن دار العربية للعلوم، وقد لقيت هي الأخرى قبولا في الكويت والعالم العربي، لتضيف لـ "سعود السنعوسي" نجاحات أخرى، وتؤكد تمكنه من الفن الروائي، وأن نياله لجائزة "البوكر" لم يكن ضربة حظ.

المراجع:

- جميل السلحوت: مدينة الوديان، الجندي للنشر والتوزيع، القدس، فلسطين، دطه، 2014م.
- الروائي الكويتي "سعود السنعوسي" مؤلف رواية ساق لبامبو، الموقع: <https://www.almsal.com/post/321043> - 03- 2016 .
- نبذة عن حياة الروائي سعود السنعوسي، الموقع: <https://weziwezi.com/08:44:2019-03-28> .
- منار عمر: رواية حمام الدار- للكاتب سعود السنعوسي، الموقع: <https://www.google.com/amp/s/kalam.kutib.com/> مارس 2019.

المحقق الثاني

تنقل رواية "فئران امي حصة" القارئ بين محطات زمنية مختلفة؛ بدءا بحادثة تفجيرات المقاهي الشعبية إلى غاية 2020 م، وقد قسمت إلى أربعة فصول كل فصل فيها يحمل اسما من أسماء فئران "أمي حصة": "شرر" "الظى"، "جمر"، و"رماد"، وهي الفئران التي كانت قد وعدت "أمي حصة" أحفادها أن تروي لهم قصتها.

والرواية تحكي قصة شباب عاش بلد انتشر فيه التطرف الديني، وأهلكته الطائفية، فقرروا مواجهة الأزمة، وإنقاذ البلاد من الطاعون الذي يهددها، وهؤلاء الشباب هم: فهد، وصادق، وأيوب، وضاي، وحواء، وفوزية، والبطل الذي لم يعرف اسمه في الرواية، ولا الطائفة التي ينتمي إليها، وكثيرا ما كان يشار إليه بـ "كتكوت".

يتذكر "كتكوت" أول شجار له بالمدرسة، دافع فيه عن صديقه "صادق" ولد "عباس" بعد أن تعرض لضرب من أحد الأولاد، والسبب كان حول "العمرية" و"العميرية"، حينها لم يدرك سبب الشجار، ثم أدرك بعد أنه خلاف بين فرقتين إسلاميتين، لكنه صار يشك في ذلك، ولا زال يتذكر الأوقات التي قضاها في بيت "آل بن يعقوب" بعد أن علق في الكويت، ولم يسافر رفقة والديه إثر أحداث احتلال العراق للكويت، وتلك القصة التي كانت تسردها جده صديقه "فهد" "أمي حصة"، وما حكته عن موت زوجها الذي راح ضحية في حادثة المقاهي الشعبية، وإثر ذلك أصيبت ابنتها "فوزية" بمرض السكري، والتي دائما ما كانت تقول عنها أنها قليلة حظ، خصوصا بعد أن منعها أخوها "صالح" من إكمال دراستها بالجامعة.

لم تمر أحداث احتلال العراق للكويت على بيت "آل يعقوب" بسلام، كانت أياما عصيبة جدا، قتل وحرق واختطاف، واعتقالات بالجملة دون سبب معروف، اعتقل والد "صادق" "عباس"، ولم يعرف عنه أهله أي خبر ولم يتوقع "صالح" أن يأتي يوم يبحث فيه عن جاره الذي كان كثيرا ما يتهمه بالكفر، لكن بسبب إصرار "أمه حصة" واستعطاف جارتها "أمي زينب" قرر الذهاب والسؤال عنه، ومرت أيام لم يسمع عنهما الأهل أي خبر، ثم بلغهم أنهما في "البصرة"، لم تكن زيارتهما إلى هناك سهلة، فقد دفعت "عائشة" زوجة "صالح" الكثير من مجوهراتها حتى يسمح لها بزيارته، وبعد الزيارة عادوا إلى منزل آل "يعقوب" "بالبصرة"، كانت "حصة" جالسة على كرسي تقابل الباب، تنتظر عودة ولدها، صارت تلك عادتها منذ أن اعتقل، وامتنعت عن الأكل والشرب، عند دخولهم ركضوا متجهين نحوها، يخبرونها أن "صالح" بالبصرة، كانت تلك نظرهما الأخيرة إليهم وانقطعت أنفاسها ماتت بعين مغمضة وأخرى مفتوحة، وكأنها كانت تأبى تركهم على تلك الحالة.

انتهت الحرب وعاد "صالح" ليجد أمه متوفاة، وأخته فاقدة البصر، وعاد "كتكوت" إلى منزله، قبل أن يقرر والداه الانتقال إلى الروضة.

كانت تدور خلافات بين "فهد" و "صادق"، رغم صداقتهما إلا أن انتماءهما إلى طائفتين مختلفتين، كان كثيرا ما يؤدي إلى صراع، ومشادات كلامية بينهما، ولم يكن لهذه الاختلافات تأثير في الأجيال التي عاشت قبل الاحتلال العراقي، إلا أنها بعده صارت أعمق، فصار الكل يتعامل مع أبناء طائفته ويعادي الآخرين.

في ظل هذه الأزمة كان ميلاد "أولاد فؤادة"، الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية الحد من التطرف الديني بعد أن صاروا وباء يترصد استقرار الكويت وأهلها، وصارت الفتنة كفتران ينشرون الطاعون أينما حلوا، كانت بداية عمل الجماعة سنة 2008 م، حين قرر "كتكوت" رفقة "فهد" و"صادق" و"ضاوي" و"أيوب" أن ينسوا كل الخلافات، ويضعوا جانبا ما يفرقهم، فأسسوا مقرا سريا يثون منه برامج "عيال فؤادة". استمر نشاطهم وتفاعل كثير من الناس معهم، ومع صفحتهم الرسمية، فصاروا أعداء لكل الحملات، والكل يترصدهم، وصاروا هدفا لمن يسمون "تباعة الجيف".

وفي عام 2020م، اشتعلت نار الفتنة أكثر بين الطائفتين، لم يعد هناك مجال للتحاور، بات السلاح هو الفيصل في كل شيء، حتى "السرة" التي يقف الآن عندها لم تسلم من شلال الدماء، بل صارت مقرا للبحث حين نادى أهل البيت بحثا عن "فهد" خرجت حالته "عائشة" تسأله عن جواب كان ينتظره منها، انصرف من بيت "آل يعقوب" بعد أن تلقى وابلا من السب، والشتم، واللعنات، من "عائشة" وزوجها "صالح"، الكل كان مذعورا يسأل عن "فهد" و "صادق"، يهاتفهما فلا احد يرد، تصلهم رسائل بأن مقرهم لم يعد سريرا، يذهب إلى هناك ليستطلع الوضع، فيجد دخانا كثيفا يحاصر شقتهم، يقترب من تلك الجثة التي يحملها رجال الإسعاف، إنه "ضاوي" مات مغدورا في المقر، طالته يد المتطرفين أخيرا، لا بد أنه كان يصرخ وحيدا والنار تأكل جسده، كان "أيوب" قد وصل قبله إلى المقر، شهدا معا ما حدث لـ "ضاوي". كل الجهات تترصدهم، وتبيح دماءهم، لم يكن من السهل تجاوز تلك الحواجز والوصول إلى "السرة"، الظلام دامس في بيت آل يعقوب، لا بد أن الكهرباء مقطوعة نتيجة الدمار، أخيرا التقى بأهل البيت "فوزية" و"حوراء" زوجة "فهد"، كانوا بخير لم تطلهم يد المتطرفين بسوء، الكل يسأل عن "فهد" و"صادق"، أحس بغصة ولم يقوَ على الإجابة، فقد تسارعت الأحداث وأحدثت منحنى آخر منذ التقوا صباح ذلك اليوم، كانوا سويا قبل أن يمروا بجماعة من شباب الشيعة والسنة يتشاجرون ويسب بعضهم الآخر، حذراه من التدخل، لكنه كعادته

لم يستمع، ذهب مباشرة ليفك الشجار، لكن الأمور أفلتت من بين أيديهم، سقط على الأرض جراء ضربة تلقاها، لم يعرف مصدرها، آخر ما رآه كان تهجم "فهد" على "صادق"، الفئران احترقت حتى "عيال فؤادة"، تلقت "حوراء" رسالة عن مكان زوجها "فهد"، بلغهم أنه في المستشفى، سارعوا إلى هناك.

نزلت كلمة الطبيب "شد حيلك" عليه كالصاعقة، صوت خفي بداخله يشجعه على الرحيل، لم يعد يدرك ما يحصل أو ما عليه فعله، خرج المستشفى فتبعه "أيوب"، ركبا السيارة، كان يقود بسرعة جنونية، يرى أعلاما خضراء من جهة وسوداء من جهة أخرى، احترق عمدا تلك الجموع التي تحرس المكان، لا يدري إن انتقم من تلك المسوخ، أم أنه انتقم لقلوبهم الضعيفة التي لم تق نفسها من الفئران، فاستفحل فيها الطاعون، نفذ بترين السيارة تماما، ترحل الاثنان منها، فصار يصيح أيوب في صاحبه: أسرع، أسرع، ... أركض، أركض،

...

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المصادر:

1- سعود السنوسي: فتران أمي حصة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط 3، 1436 هـ / 2015 م.

المعاجم والموسوعات

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

2- إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، ط 2، 1399 هـ / 1979 م.

3- عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

4- فرج الله عبد الباري: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري موسوعة العقيدة والأديان، دار الآفاق العربية، مصر، د ط، د ت.

5- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط 4، 2004 م.

6- محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط 8، 1426 هـ / 2005 م.

7- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

8- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الفتاح الحلو، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1406 هـ / 1986 م.

9- محمود حمدي زقزوق: الموسوعة الإسلامية العامة، مطابع تجارية، القاهرة، مصر، د ط، 1424 هـ / 2003 م.

10- المنجد في اللغة والأعلام: دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 45، 2012 م.

المراجع العربية:

- 1- إبراهيم الحارثي: الصهيونية من بابل إلى بوش، دار البشير للثقافة والعلوم، دب، دط، دت.
- 2- أبو الحسن الندوي: الأمة الإسلامية وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 1409 هـ / 1989 م.
- 3- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: السنن، دار التأصيل، القاهرة، مصر، ط 1، 1436 هـ / 2015 م.
- 4- إحسان إلهي ظهير: الشيعة والسنة، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط 3، 1396 هـ / 1976 م.
- 5- أحمد أمين: فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، د ط، 2012 م.
- 6- أحمد محمد أحمد جلي: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة"، شركة الطباعة العربية السعودية، د ط، 1406 هـ / 1986 م.
- 7- أمنية سالم: إسرائيل من الداخل ما لا تعرفه عن المجتمع الإسرائيلي، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، مصر، ط 1، 2016 م.
- 8- أنور قاسم الخضري: ظاهرة التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة التغريب، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 2، 1436 هـ / 2015 م.
- 9- أنور محمد: الإسلام والمسيحية في مواجهة الإرهاب والتطرف الحوار لا المواجهة، دار أيهام للنشر والتوزيع، دب، د ط.
- 10- باسل يوسف النيرب: المرأة في إسرائيل، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط 1، 1427 هـ / 2006 م.
- 11- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، ط 1، 1423 هـ / 2002 م.
- 12- بن كثير، عماد الدين (أبو الفداء) إسماعيل بن الخطيب أبي حفص عمر البصراوي الشافعي: تفسير القرآن العظيم، تح: أبو إسحاق الحويني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1431 هـ / 2010 م.
- 13- بن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي: قصص الأنبياء، تح: عبد الحي الفرماوي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، ط 5، 1417 هـ / 1997 م.

- 14- جاد الحق علي جاد الحق: التطرف الديني وأبعاده أمنيا وسياسيا واجتماعيا، دار أم القرى للطباعة، القاهرة، مصر، د ط، د ت.
- 15- جميل السلحوت: مدينة الوديان، الجندي للنشر والتوزيع، القدس، فلسطين، د ط، 2014 م.
- 16- الحارث بن أسد المحاسبي: العقل وفهم القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ب، ط 1، 1391 هـ / 1971 م.
- 17- المحافظ أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط 1، 1427 هـ / 2006 م.
- 18- حسن علي خاطر: المجتمع العربي المعاصر المقومات والأنماط والثقافة دراسة تحليلية نقدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2001 م.
- 19- خالد كبير علال: جناية المعتزلة على العقل و الشرع مظاهرها، آثارها، أسبابها.
- 20- راشد المبارك: التطرف... حيز عالمي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 1، 1427 هـ / 2006 م.
- 21- ردينة عبد المجيد: سياسة إسرائيل التعليمية تجاه العرب في فلسطين المحتلة، دار المأمون للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط 1، 1432 هـ / 2012 م.
- 22- زكريا، فؤاد: الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة، مؤسسة هنداوي، د ب، د ط، د ت.
- 23- سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط 1، 1430 هـ / 2009 م.
- 24- سعاد منسي: هذا هو إسلامهم، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 2، د ت.
- 25- سعد رستم: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 2، 2005 م.
- 26- سعود بن عبد الرحمان السبعاني: الوهابية دين سعودي جديد كشف المستور في تاريخ مجد المتور، شمس للنشر والإعلان، د ب، ط 2، 2013 م.
- 27- سعيد بن علي بن وهف: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، د ب، ط 1، 1429 هـ / 2008 م.
- 28- سعيد عبد العظيم: قصص الأنبياء عظات وعبر، دار العقيدة، الإسكندرية، مصر، ط 1، د ت.

- 29- سفر بن عبد الرحمان الحوالي: ظاهرة الإرجاع في الفكر الإسلامي، إشراف: محمد قطب، رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص العليا (الدكتوراه)، دار الكلمة للنشر والتوزيع، د ب، ط 1، 1420 هـ / 1990 م.
- 30- السفير طاهر شاش: التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط 1، 1417 هـ / 1997 م.
- 31- سليمان بن صالح الحزاشي: كيف تطورت العلاقة بين اليهود والنصارى من عداوة إلى صداقة؟!، روافد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1430 هـ / 2009 م.
- 32- الشهرستاني، أبو الفتح بن عبد الكريم: الملل والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1413 هـ / 1992 م.
- 33- صابر سعيد بقور: داعش برؤية الجزيرة عبر الفيسبوك الخطاب وأنماط الوعي الجماهيري، دار الخليج للصحافة والنشر، عمان، الأردن، د ط.
- 34- صالح بن عبد الله بن حميد: الغلو والإرهاب، دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 2، 1436 هـ / 2015 م.
- 35- صلاح الصاوي: التطرف الديني الرأي الآخر، الآفات الدولية، د ب، ط 1، 1993 م.
- 36- صلاح عبد الحميد: تنظيم داعش وإدارة الوحشية، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، مصر، ط 1، 2015 م.
- 37- طه جابر فياض العلواني: أدب الاختلاف في الإسلام، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ط 1، 1405 / 1984 م.
- 38- عباس محمود العقاد: الصهيونية العالمية، دار المعارف، مصر، د ط، د ت.
- 39- عبد الرحمان البكري: داعش ومستقبل العالم بين الوضع السياسي والحديث النبوي الشريف، دار الغرباء للنشر، ألمانيا، د ط، 2014 م.
- 40- عبد الرحمان بن معلا اللويحق: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1412 هـ / 1992 م.
- 41- عبد الرحمان حبنكة الميداني: الالتزام الديني منهج وسط.
- 42- عبد القادر شيبية الحمد: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 6، 1433 هـ / 2012 م.

- 43- عبد القادر شيبه الحمد: قصص الأنبياء القصص الحق، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 4، 1434 هـ / 2013 م.
- 44- عبد الكريم الحسيني: الصهيونية الغرب والمقدس والسياسة، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2010 م.
- 45- عبد الله أحمد لطفي الشقري: الأصولية الدينية حول العالم "الأصولية الإنجيلية أنموذجا"، مؤسسة وعي للأبحاث والدراسات، الدوحة، قطر، ط 1، 2016 م.
- 46- عبد الله التل: جذور البلاء، دار الإرشاد للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1390 هـ / 1971 م.
- 47- عبد الله عبد العزيز اليوسف: الأنساق الاجتماعية ودورها في مقاومة الإرهاب والتطرف، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، السعودية، ط 1، 1427 هـ / 2006 م.
- 48- عبد الله محمد الغريب: الخميني بين التطرف والاعتدال دراسة في عقائد الشيعة مختصرا من كتاب "وجاء دور المجوس"، ط 1، 1402 هـ / 1982 م.
- 49- عبد المجيد عمر النجار وآخرون: ظاهرة التطرف والعنف من مواجهة الآثار إلى معالجة الأسباب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، ط 1، 1436 هـ / 2015 م.
- 50- عرفان عبد الحميد فتاح: النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، دار عمار للنشر، عمان، الأردن، ط 1، 1420 هـ / 2000 م.
- 51- عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، دار عمار، عمان، الأردن، ط 1، 1417 هـ / 1997 م.
- 52- علي الكاش: اغتيال العقل الشيعي دراسات في الفكر الشعوبي، إي-كتب، لندن، بريطانيا، ط 1، 2015 م.
- 53- علي بن المنتصر الكتافي: المسلمون في أوروبا وأمريكا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2005 م.
- 54- علي بن عبد العزيز بن علي الشيل: الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف.
- 55- علي جمعة: المتشددون منهجهم... ومناقشة أهم قضاياهم، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 1432 هـ / 2011 م.

- 56- علي محمد الصلابي: فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، ط 1، 1429 هـ / 2008 م.
- 57- عماد الدين خليل: حول إعادة تشكيل العقل المسلم، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ط 1، 1403 هـ / 1982 م.
- 58- عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منهم، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 2، 1416 هـ / 1995 م.
- 59- غالب بن علي عواجي: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، المملكة العربية السعودية، ط 4، 1422 هـ / 2001 م.
- 60- فرغلي تسن: هذا هو الإرهاب، دار روابط للنشر، دار الشقري للنشر، د ب، د ط، 2018 م.
- 61- فرغلي علي الهريدي: حاضر العالم الإسلامي، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، ط 1، 2010 م.
- 62- فهد خليل زايد: الحروب والتسويات بين الماضي والحاضر دراسة تحليلية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2011 م.
- 63- كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، د ط.
- 64- لؤي صافي: العقيدة والسياسة معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط 2، 1419 هـ / 1998 م.
- 65- مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي (المسألة اليهودية)، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 1، 1433 هـ / 2012 م.
- 66- محمد العبد وطارق عبد الحليم: المعتزلة بين القدم والحديث، دار الأرقم، برمنجهام، بريطانيا، ط 1، 1408 هـ / 1987 م.
- 67- محمد الغزالي: الحق المر، دار الشروق، القاهرة، مصر، د ط، د ت.
- 68- محمد الغزالي: عن التعصب توثيق لتاريخ التعصب في الأديان السماوية والمجتمعات العربية، دار دون للنشر والتوزيع، دب، د ط، د ت.
- 69- محمد با كريم محمد با عبد الله: وسطية أهل السنة بين الفرق، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط 1، 1415 هـ / 1994 م.

- 70- محمد بن خليفة التميمي: مقالة التعطيل و الجعد بن درهم، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1418 هـ/1997 م.
- 71- محمد بيومي: حقيقة الشيعة وهل يمكن تقاربهم مع أهل السنة، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، ط 1، 1428 هـ/2007 م.
- 72- محمد حسان: الفتنة بين الصحابة قراء جديدة لاستخراج الحق من بين ركام الباطل، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، د ب، د ط.
- 73- محمد خليفة التونسي: الخطر اليهودي برتوكولات حكماء صهيون، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 4، د ت.
- 74- محمد سرفراز: حركة طالبان من النشوء إلى السقوط، دار الميزان، بيروت، لبنان، ط 1، 1429 هـ/2008 م.
- 75- محمد سرور زين العابدين: الشيعة في لبنان (حركة أمل نموذجاً)، دار الجابية، لندن، بريطانيا، ط 1، 1433 هـ/2012 م.
- 76- محمد سهيل طقوش: تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق) (489-690 هـ/1096-1291 م)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1432 هـ/2011 م.
- 77- محمد عبد الكريم أحمد: بوكو حرام من الجماعة إلى الولاية أزمة التطرف والفساد في إفريقيا، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2017 م.
- 78- محمد عمارة: الإسلام والآخر من يعترف بمن؟... ومن ينكر من؟، مكتبة الشروق الدولية، د ب، د ط، د ت.
- 79- محمد عمارة: الأصولية بين الغرب والإسلام، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 1، 1418 هـ/1998 م.
- 80- محمد مصطفى الزحيلي: الاعتدال في التدين فكراً وسلوكاً ومنهجاً، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط 2، 1992 م.
- 81- محمود دياب: الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيوني المعاصر، مطبوعات الشعب، د ب، د ط.
- 82- محمود عبد السلام: الفكر الإعلامي الحديث، دار المعترف للنشر والتوزيع، د ب، ط 1، 1438 هـ/2017 م.
- 83- مراد وهبه: الأصولية والعلمانية، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط 1، د ت.

- 84- مسلم، الحافظ أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1427 هـ / 2006 م.
- 85- نعمان عبد الرزاق السامرائي: التكفير جذوره أسبابه مبرراته، المنارة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 2، 1406 هـ / 1986 م.
- 86- النووي، الحافظ محيي الدين أبو زكرياء يحيى بن شرف بن مري: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج شرح النووي على مسلم، بيت الأفكار الدولية، الأردن، د ط، د ت.
- 87- هشام النجار: سوريا التحولات الكبرى... مشكلات الوطن ومستقبل العرب، دار سما للنشر والتوزيع، دب، ط 1، 2016 م.
- 88- وليام كار: اليهود وراء كل جريمة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1402 هـ / 1982 م.
- 89- ياسر حلمي الشاعر: التاريخ الأسود للجماعة بين يهودية حسن البنا و ماسونية الإخوان، إي-كتب، لندن، بريطانيا، ط 1، 2014 م.
- 90- يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، كتاب الأمة، قطر، ط 3، 1403 هـ / 1982 م.
- 91- يوسف القرضاوي: ظاهرة الغلو في التكفير، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط 3، 1411 هـ / 1990 م.
- 92- يوسف الكلام: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط 1، 2009 م.

المراجع المترجمة

- 1- إيان س لوستك: الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الأرض والرب، تر: حسني زينه، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، ط 1، 1991 م.
- 2- إيجناس جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي، تر: محمد يوسف موسى وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، د ط، 2013 م.
- 3- روجيه غارودي: الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها، تر: خليل أحمد خليل، دار عام ألفين، باريس، فرنسا، د ط، 2000 م.

4- مناظر أحسن الكيلاني: تدوين الحديث، تر: عبد الرزاق إسكندر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 2004 م.

5- ناحوت جلوب فون: اليهود واليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات، تر: رشاد الشامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، ط 1، 2001 م.

المجلات:

1- دراسات إسلامية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية، العدد 11، 1426 هـ / 2005 م.

2- دراسات شرق أوسطية، مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن، العدد 16، صيف 2012.

3- الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، العدد 75، 2008 م.

المراجع الإلكترونية:

1- سبيلا، محمد: ثقافة التشدد... والعنف السياسي، الموقع:

<https://www.Google.Com/amp/s/www.Alittihad.Ae/articleamp/80699/>

26 أغسطس 2015 م، 45: 09، 2015

الْفَهْرِس

فهرس المحتويات:

الصفحة	المحتويات
أ، ت	مقدمة
4	الفصل الأول: مدخل إلى التطرف الديني
5	المبحث الأول: تعريف التطرف لديني
14	المبحث الثاني: الفرق بين التطرف والمصطلحات المتقاربة في الاستعمال (التنطع، والتشدد، والغلو، والتعصب)
22	المبحث الثالث: جذور التطرف الديني التاريخية
23	أ- عند اليهود
30	ب- عند النصارى
33	ج- عند المسلمين
46	المبحث الرابع: أسباب التطرف الديني و مظاهره
46	أ- أسباب التطرف الديني
49	ب- مظاهر التطرف الديني
66	المبحث الخامس: معالجة التطرف الديني من منظور إسلامي
71	الفصل الثاني: حضور التطرف الديني في رواية فتران أمي حصة
72	المبحث الأول: مظاهر التطرف الديني وآثاره في ضوء الرواية
99	المبحث الثاني: أسباب ظهور التطرف الديني وتفشييه في الرواية
113	المبحث الثالث: معالجة التطرف الديني
132	الخاتمة
136	الملاحق
142	المصادر والمراجع
152	فهرس الموضوعات

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على طبيعة الرؤية الأدبية لقضية التطرف الديني من خلال رواية "فئران أمي حصة" لسعود السنعوسي، وتم اتباع المنهج الوصفي وتطبيق أداة تحليل المحتوى لاستنتاج النص واستخراج الأفكار التي يطرحها وكيفية معالجتها للقضية، وبناء على هذا أظهرت نتائج الدراسة أن القضية قد طالها الكثير من التشويش من أطراف عديدة أرادت أن تصل إلى غايات محددة ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتحريض على الفكر المتطرف وتغذيته، مما يضمن لها بلوغ هذه الأهداف، وهذه تماماً هي الفكرة التي عرضتها الرواية والتي حاولت من خلالها وضع القارئ العربي في الصورة، وتقديم تصور عن الوضع الذي يمكن أن تؤول إليه الأحداث إذا لم يتم تدارك الأزمة.

الكلمات المفتاحية:

التطرف الديني - التعصب - الغلو - التنطع - التشدد - الإرهاب - الدين - الأصولية - رجال الدين - السياسة - التكفير - الغلظة - الآخر - الجماعة - الفرقة الناجية - الشيعة - السنة.